وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بغداد

كلية التربية للبنات

قسم اللغة العربية

بنى الجدل في الخطاب القرآني

دراسة أسلوبية

أطروحة قدمتها

خولة عبد الحميد عودة التميمي

إلى مجلس كلية التربية للبنات في جامعة بغداد ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ الدكتور : كاصد ياسر الزيدي

1427هـ 2006م

إقرار المشرف

اشهد أن إعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ (بنى الجدل في الخطاب القرآني دراسة أسلوبية) المقدمة من الطالبة (خولة عبد الحميد عودة التميمي) جرى تحت إشرافي في قسم اللغة العربية /كلية التربية للبنات/جامعة بغداد ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها .

التوقيع :

الأستاذ الدكتور

كاصد ياسر الزيدي

التاريخ : / / 2006

بناء على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة :

التوقيع :

الأستاذ المساعد الدكتور

حسن منديل

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ : / / 2006

بسم الله الرحمن الرحيم

أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي
النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا

صدق الله العلي العظيم

(الأنعام : 122)

الإهداء

الله يـــا حـــامي الشـــريعة ... أتقـــر وهـــي كـــذا مروعـــه
بـــك تســـتغيث وقلبهـــا ... لـــك عـــن جـــوى يشـــكو صـــدوعه
فصـــدورها ضـــاقت بســـر ... المـــوت فـــاذن أن تذيعـــه
أيـــن الذريعـــة لا قـــرار ... علـــى العـــدى أيـــن الذريعـــه
لا ينجـــع الإمهـــال بالعـــا ... تـــي فـــق وأرق جنيعـــه
يـــابن الترائـــك والبواتـــك ... مـــن ضـــبا البـــيض الصـــنيعه
مـــات التصـــبر بانتظـــا ... رك أيهـــا المحيـــي الشـــريعه
فـــانهض فمـــا أبقـــى التحمـــل ... غيـــر أحشـــاء جزوعـــه
قـــد مزقـــت ثـــوب الأســـى ... وشـــكت لواصـــلها القطيعـــع
فالســـيف أن بـــه شـــفاء ... قلـــوب شـــيعتك الوجيعـــه
فســـواه مـــنهم لـــيس يـــنعش ... هـــذه الـــنفس الصـــريعه
طالـــت حبـــال عواتـــق ... فمتـــى تعـــود بـــه قطيعـــه
كـــم ذا القعـــود وديـــنكم ... هـــدمت قواعـــده الرفيعـــه
تنعـــى الفـــروع أصـــوله ... وأصـــوله تنعـــى فروعـــه
فيـــه تحكـــم مـــن أبـــاح الـــ ... يـــوم حرمتـــه المنيعـــه
فاشـــحذ شـــبا عضـــب لـــه الأ ... رواح مذعنـــة مطيعـــه
إن يـــدعها خفـــت لدعـــ ... وتـــه وان ثقلـــت ســـريعه
واطلـــب بـــه بـــدم القتيـــل ... بكـــربلا فـــي خيـــر شـــيعه
مـــاذا يهيجـــك إن صـــبرت ... لوقعـــة الطـــف الفضـــيعه
أتـــرى تجـــيء فجيعـــة ... بـــأمض مـــن تلـــك الفجيعـــه
حيـــث الحســـين علـــى الثـــرى ... خيـــل العـــدى طحنـــت ضـــلوعه
قتلتـــه آل أميـــة ... ضـــام إلـــى جنـــب الشـــريعه
ورضـــيعه بـــدم الوريـــد ... مخضـــب فاطلـــب رضـــيعه

يـــــا غيـــــرة الله اهتفـــــي بحميـــــة الـــــدين المنيعـــــه
ودعـــــي جنـــــود الله تمـــــلأ هـــــذه الأرض الوســـــيعه
واستأصـــــلي حتـــــى الرضـــــيع لآل حـــــــرب والرضـــــــيعه
مـــا ذنـــب أهـــل البيـــت حـــ تـــى مـــنهم أخلـــو ربوعـــه
تركـــوهم شـــتى مصـــارعهم وأجمعهـــــا فضـــــيعه
فمغيـــب كالبـــدر ترتقـــب الـــورى شـــوقا طلوعـــه
ومكابـــد للســـم قـــد ســـقيت حشاشـــــته نقيعـــــه
ومضـــــرج بالســـــيف آثـــــر عـــــزه وأبـــــى خضـــــوعه
ألفـــــى بمشـــــرعة الـــــردى فخـــرا علـــى ظمـــأ شـــروعه
فقضـــى كمـــا اشـــتهت الحميـــة تشـــكر الهيجـــا صـــنيعه
ومصـــــــفد لله ســـــــلم أمـــــر مـــــا قاســـــى جميعـــــه
وســـــبية باتـــــت بـــــأفعى الهـــــم مهجتهـــــا لســـــيعه
ســـلبت ومـــا ســـلبت محـــا مـــد عزهـــا الغـــر البديعـــه
وكـــــرائم التنزيـــــل بـــــين أميـــــة بـــــرزت مروعـــــه
آل الرســـــالة لـــــم تـــــزل كبـــــدي لـــــرزؤكم صـــــديعه
ولكـــــم حلوبـــــة فكرتـــــي در الثنـــــا تمـــــري ضـــــروعه
وبكـــــم أروض مـــــن القـــــوا فـــــي كـــــل فاركـــــة شـــــموعه
تحكـــــي مخائلهـــــا بـــــروق الغيـــــث معطيـــــة منوعـــــه
فلـــــدي واكفهـــــا وعنـــــه ســـــواي خلبهـــــا لموعـــــه
فتقبلوهـــــــا إننـــــــي لغـــــد أقـــــدمها ذريعـــــه
أرجـــو بهـــا فـــي الحشـــر راحـــة هـــذه الـــنفس الهلوعـــه
وعلـــــيكم الصـــــلوات مـــــا حنـــــت مطوقـــــة ســـــجوعه

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	4 . 1
التمهيد : في مفهوم البنى والخطاب	15 . 5
1 . في مفهوم البنى	9 . 5
2 . في مفهوم الخطاب	15 . 10
الفصل الأول : الجدل وقضاياه ووسائله	40 . 16
المبحث الأول : في الجدل	24 . 16
المبحث الثاني : في قضايا الجدل ووسائله	30 . 25
المبحث الثالث : في مقاربات الجدل	40 . 31
الفصل الثاني : المستوى الصوتي للبنية الجدلية وايحاءاتها	103 . 41
المبحث الأول : الفاصلة	63 . 41
المبحث الثاني : النبر	70 . 64
المبحث الثالث : التكرار والتوازي	103 . 76
الفصل الثالث : المستوى التركيبي لبنية الجدل	158 . 104
1 . تراكيب اسمية	111 . 106
2 . تراكيب فعلية	119 . 112
3 . تراكيب استفهامية	131 . 120
4 . تراكيب شرطية	138 . 132
5 . تراكيب تقابلية	158 . 139
الفصل الرابع : تحولات بنى الجدل ودلالاتها	206 . 159
المبحث الأول : العدول في التعبير	1182 . 159
المبحث الثاني : الإجمال والتفصيل	193 . 183
المبحث الثالث : تحولات بنى مشاهد القيامة	203 . 194
الخاتمة	206 . 204
المصادر والمراجع	221 . 207
ملخص الأطروحة باللغة الإنكليزية	

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله حق حمده ، المتفضل على عباده بالإيمان بعد التبيين والبرهان ، والصلاة والسلام على خير خلقه ، الموصوف بالرحمة ، وعلى آله الأطهار ، وأصحابه الأخيار، وسلم تسليما كثيرا .

بعد أن درست جانبا من جوانب القرآن الكريم في الماجستير ، ونعمت بروعة تعبيره وإعجازه ، وأصبحت عيني لا تنفك عن ملاحظة معانيه السامية ، وكان لي في ليلي ونهاري ، نورا تمثل لي في تلك المعاني ، لذلك لم استطع الحياد عن دراسته ، فصرت أبحث عن دراسة جانب منه ، فاستوقفتني الجوانب النفسية فيه ، تلك التي دار عليها جانب من البيان القرآني في آياته ، وصولا إلى غاياته في الدعوة إلى الإسلام ، والإيمان بالله وحده ، ونبذ العقيدة الوثنية ، وقد تعددت أساليبه للوصول إلى هذه الغاية ، آخذة بنظر الاعتبار المتلقي لهذه الأساليب ، بما سيؤثر في فكره ، ونفسه ، وصولا إلى الاقتناع المعتمد على العقل والفكر ، فضلا عن الأسس النفسية لكل من المخاطب والمخاطب . فكان موضوع (الجدل) الذي يمثل أسلوبا مهما . اعتمده القرآن الكريم في كثير من آياته للوصول إلى غاياته المختلفة ، فاخترته في هذه المرحلة الدراسية . الدكتوراه . موضوعا لأطروحتي سميته (بنى الجدل في الخطاب القرآني . دراسة أسلوبية) ، محددة فيه البنية الجدلية ، ومبينة أسلوبه فيها ، والكيفية في استعماله لها ، للوصول إلى أهدافه منها .

وقد جعلت البحث في أربعة فصول يتقدمها التمهيد ، أوضحت فيه مفهوم البنية لغة واصطلاحا ، وتباين مفهومها لدى النحاة والنقاد العرب ، وأوضحت فيه مفهوم الخطاب من خلال الدراسات والمفاهيم التي تناولته ، وبينت طائفة من أنواعه في القرآن الكريم .

وكان الفصل الأول بعنوان (الجدل قضاياه ووسائله) في ثلاثة مباحث الأول: (في الجدل) الذي أوضحت فيه هذا المصطلح لغة واصطلاحا ، فحددت مفهومه وبينت أنواعه . والثاني : (في قضايا الجدل ووسائله) بينت فيه القضايا التي وقف فيها القرآن مجادلا مجادليه ، وبيّنت وسائله التي اعتمدها إزاءهم لتحقيق ذلك . والثالث : (في مقاربات الجدل) بينت فيه الألفاظ التي تقارب لفظة الجدل في مفهومها ، وأوضحت الفرق بينها وبين مفهوم الجدل .

وكان الفصل الثاني بعنوان (المستوى الصوتي للبنية الجدلية وإيحاءاتها) في ثلاثة مباحث ، الأول : (الفاصلة) درست فيه الفاصلة في البنية الجدلية من خلال بنائها المقطعي ، وتأثيرها في البنية ، والثاني : (النبر) أوضحت فيه مفهوم النبر لغة واصطلاحا ، وأثره في هذه البنية ، والثالث : (التكرار والتوازي) أوضحت فيه المصطلحين لغة واصطلاحا ،وأثرهما في البنية الجدلية.

أما الفصل الثالث فكان بعنوان (المستوى التركيبي لبنى الجدل) درست فيه خمسة تراكيب وهي : 1. تراكيب اسمية ، 2 . تراكيب فعلية ، 3 . تراكيب الاستفهام ، 4 . تراكيب شرطية ، 5 . تراكيب تقابلية . موضحة أسلوبها المعتمد في هذه البنية ودلالتها فيه .

أما الفصل الرابع فكان بعنوان (تحولات البنى ودلالاتها) تناولت فيه دراسة النصوص الجدلية التي يطرأ عليها تغيير وتحول في سياقاتها المختلفة ينتج عنها دلالة لا يمكن أن تتحدد بغير هذا التغيير في النسق ، وكان في ثلاثة مباحث ، الأول : (العدول في التعبير) درست فيه أسلوب الالتفات في البنية الجدلية ، بعد أن أوضحت فيه المصطلح لغة واصطلاحا ، موضحة الأنواع التي وردت منه فيها ، والثاني (الإجمال والتفصيل) أوضحت فيه البنية الجدلية التي اعتمدت هذا الأسلوب ببنيتيه الثنائية والمتعددة . والثالث (من تحولات بنى مشاهد القيامة) درست فيها عددا من مشاهد القيامة التي اعتمدت موضوعا جدليا واحدا ، من خلال أنساق متغايرة موضحة الدلالة لهذا التغيير .

وإذا كان لابد من ذكر المصادر التي اعتمدها البحث ، كان من اللازم ذكر الدراسات التي اقتربت بعنواناتها ومفهومها من هذه الدراسة ، ومنها كتب كان لها

الجدل عنوانا وهي (الجدل في القرآن الكريم للدكتور حسين الشرقاوي) ، و(مناهج الجدل في القرآن الكريم للدكتور زاهر عوض الألمعي) ، و(جدلية القرآن الكريم خليل احمد خليل) .

وتميل هذه الدراسات في بحثها إلى الموضوعية والفلسفية في تناول المصطلح من دون الخروج إلى المستويات الفنية ، والأسلوبية . وتوجد كذلك دراستان جامعيتان تقتربان في عنوانيهما من مفهوم الدراسة ، إلا أنهما تختلفان في تناولهما الموضوع ، وهما : (أسلوبية الحوار في القرآن الكريم) للدكتور رسول حمود حسن حبيب الدوري ، إذ درس الحوار بشكل عام دون تحديد ، فدرس طرائق الحوار المباشرة منه وغير المباشرة ، ودرس تركيب الجملة الحوارية معتمدا مبدأ العدول فيها ، ودرس الدلالة المعجمية للفظة في السياق الحواري . والدراسة الثانية هي (المحاجة في القرآن الكريم دراسة دلالية) للدكتورة أسيل متعب مطرود الجنابي ، درست فيها نوعا واحدا من أنواع الجدل متناولة إياه من الجوانب الصرفية ، والدلالية ، والبلاغية ، متمثلة في النوع الأخير منه بالتشبيه ، والاستعارة ، والكناية ، وقد أفدت منهما كثيرا ، إذ لم تتناول البنية الجدلية كما تناولتها من خلال مستوياتها الأسلوبية الثلاثة.

فجاءت دراستي لهذه البنية بمنهج فني يختلف عن الدراسات السابقة لها ، وبنصوص لم يتطرق إلى كثير منها في تلك الدراسات قدر الإمكان ، معتمدة بذلك على الدراسات النقدية والبلاغية ، فضلا عن المعجمات والتفاسير ، ولاسيما (مجمع البيان في تفسير القرآن) للطبرسي ، و(إرشاد العقل السليم) لأبي السعود ، و(الميزان في تفسير القرآن) للطباطبائي ، محاولة الوقوف على ما لم يقف عنده غيري .

وفي الختام أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور كاصد ياسر الزيدي الذي قدم لي يد التوجيه في كل خطوة من خطوات هذا العمل للوصول إلى سبيل الأمان به ، فجزاه الله عني أحسن الجزاء وأفضله ، وأمد في عمره، وأتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الدكتور حيدر لازم مطلك ، الذي اقترح علي هذا الموضوع ، وشجعني على العمل فيه ، فجزاه الله عني خير الجزاء ووفقه لكل خير، وأشكر أساتذتي في القسم كافة ، وعمادة الكلية ، وفقهم الله لخدمة العلم وطلبته .

وأشكر الزملاء الذين ساندوني في عملي هذا بكتاب أو كلمة تشجيع وأخص بالذكر الدكتورة أنوار مجيد سرحان ، والدكتورة فاطمة بدر ، والدكتورة سهام جاسم ، وبلقيس خلف ، والدكتورة زينة جبار ، والأخ مهدي جاسم وفقهم الله لكل خير .

وآمل أن يتقبل الله عملي هذا ويرضاه ، ويكتب له النجاح ، والتوفيق ، والقبول ، وأن يغفر لي كل ما لا يرضيه . والحمد لله رب العالمين .

الباحثة

خولة عبد الحميد التميمي

التمهيد

في مفهوم البنى والخطاب

1 . في مفهوم البنى .

2 . في مفهوم الخطاب .

التمهيد

في مفهوم البنى والخطاب

1 ـ في البنى :

قبل أن نتحدث عن مفهوم الجدل بشكل عام ، والجدل في القرآن الكريم بشكل خاص ، لابد لنا من التحدث في مصطلحات لها تأثيرها في تحديد بحثنا عن الجدل وتمييزه ، ألا وهما مصطلحا البنية والخطاب .

اشتق مصطلح (البنى) جمع (بنية) في اللغات الأوربية من الأصل اللاتيني (Structure) ، الذي يعني البناء أو الطريقة التي يقام بها مبنى ما[1] . وهذا المعنى هو نفسه الذي تشير إليه المعجمات العربية في تحديدها دلالة جذر (ب . ن . ي) ؛ إذ يعني البناء الذي هو نقيض الهدم[2] .

وحكى الأزهري عن الليث بن المظفر (ت أواخر ق2 للهجرة) أنه يقال : ((بنى البنّاء البناء بنيا ، وبناء ، وبنى مقصور))[3] .

فدلالة التشييد ، والبناء ، والتركيب ، هي الغالبة على مفهوم لفظ (بنية) في الاستعمال اللغوي ، فبناء الشيء يكون بضم بعضه إلى بعض[4] ، ويقال بنيت الشيء الأمر بناء : أقمته[5] .

وقد وردت لفظة (بنى) بصيغ متعددة في القرآن الكريم في نحو اثنين وعشرين موضعا دالة على الإشادة والتكوين[6] ، على صيغة الفعل (بنى) ، والأسماء (بناء) ، و(بنيان) ، و(مبنى) إلا أنه لم ترد لفظة (بنية).

وأكثر ما دار عليه معنى لفظة(بنية) هو الضم،والإقامة،والتأسيس،والتنمية[7]

---

1) ينظر : نظرية البنائية في النقد الأدبي ، صلاح فضل : 175 .

2) ينظر : القاموس المحيط : 307/4 .

3) تهذيب اللغة : 490/15 .

4) ينظر : مقاييس اللغة : 138/1 .

5) ينظر : الأفعال ، لابن القطاع : 104/1 .

6) ينظر : البنى والدلالات في لغة القصص القرآني دراسة فنية (أطروحة دكتوراه) : 18 .

7) ينظر : المعجم الوسيط : 71/1 .

وقد ((انتقل في إطار هذه المعاني للدلالة على نظم الكلام وتأليفه فقالوا : بنى كلاما وشعرا ، وهذا كلام حسن المباني ،وبنى كلامه : احتذاه ، وهذا البيت مبني على بيت كذا))[1]

وتعريف بنية الكلام هو ((صياغته ووضع ألفاظه ورصف عباراته))[2] ، ويصدق هذا أيضا على بنية الكلمة أي صياغتها ، وكذلك على حروف المباني ، وهي الأصوات التي تبنى منها الكلمة إذ لا يشكل الصوت وحده معنى مستقلا[3] ، وإن كان له في مواضع إيحاء معنويا ، كالشدة في إيحاء الهمزة في قوله تعالى ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[*] .

فلفظ (البنية) في العربية يدور في معنى التكوين والكيفية التي شيد البناء عليها[4].

وقد تباين النحاة والنقاد العرب في نظرتهم لمفهوم مصطلح (البنية) ، فاستعمل النحاة ثلاثة معان للمصطلح : الأول : لزوم آخر اللفظ علامة واحدة في أحواله التركيبية والسياقية كلها[5] ، والثاني هو الصيغة والوزن[6] ، والثالث يراد به التركيب بناء على معنى الضم والإقامة ؛ إذ استعمل القدماء هذه المادة اللغوية للدلالة على معنى تركيب الكلام وصياغته[7] . فجعلوا المبنى ملائما للمعنى ، وعنوا به ما يعنيه اليوم عدد من اللغويين بكلمة بنية[8] ، إذ استعملوها على الأسلوب

---

1) أساس البلاغة ، للزمخشري : 52 (بنى) .

2) معجم النقد العربي القديم : 80 .

3) ينظر : البنى والدلالات في لغة القصص القرآني (أطروحة) : 19 .

*) في تصوير إرسال الشياطين على الكافرين تخويفا وتعذيبا لهم .

4) ينظر : مشكلة البنية ن فؤاد زكريا : 32 .

5) ينظر : الكتاب : 12/1 ، والمقتضب : 4/1 ، والخصائص : 38/1 .

6) ينظر :الكتاب : 12،12،110/1 ، والمقتضب : 35/1 .

7) ينظر : نظرية البنائية في النقد الأدبي : 175 ، والبنى والدلالات في لغة القصص القرآني : 20 .

8) ينظر :مشكلة البنية : 32 ، وللمزيد ينظر : الكتاب : 80/1 ، والمقتضب 11/2 .

الخاص بكل فن من فنون الشعر[1] ، واستعملت للدلالة على تكوين الشكل والتنظيم[2] ، واستعملها النقاد مرادا بها دلالتها الصرفية[3] .

وقد فهم الحاتمي (ت388هـ) البنية بمعنى التكوين والصياغة[4] ، على حين تحدث عنها ابن رشيق (ت456هـ) بوصفها علاقات الأجزاء التي تتكون منها القصيدة[5].

ويعني مفهوم البناء لدى حازم القرطاجني (ت684هـ) ((طرق اجتلاب المعاني ، وكيفيات التئامها ، وبناء بعضها على بعض ، وتآلف اللفظ والمعنى ، واتفاق الوزن والقافية))[6] .

أما مفهوم مصطلح البنية في الدراسات الأوربية الحديثة فهو لا يبعد من حيث المعنى العام عما عرفناه لدى العرب القدماء ، إذ ((يتميز الاستخدام القديم لكلمة بنية في اللغات الأوربية بالوضوح ، فقد كانت تدل على الشكل الذي يشيد به مبنى ما ، ثم لم تلبث أن اتسعت لتشمل الطريقة التي تتكيف بها الأجزاء لتكون كلا ما سواء أكان جسما حيا أو معدنيا أو قولا لغويا))[7] ، وهذا يعني أيضا تضامن الأجزاء فيما بينها .

فالبنية هي ما يكشف عنها التحليل الداخلي لكل ما ، والعناصر والعلاقات القائمة بينها ووصفها ، والنظام الذي تتخذه[8] . فقد عرفها (جان بياجيه) بأنها ((نسق من التحولات له قوانينه الخاصة باعتباره نسقا في مقابل الخصائص المميزة

---

1) ينظر : الشعر والشعراء ، ابن قتيبة : 94/1 .

2) ينظر : عيار الشعر ، ابن طباطبا العلوي : 11 .

3) ينظر : نقد الشعر ، قدامة بن جعفر : 236 ، 251 ، 331 .

4) ينظر : حلية المحاضرة في صناعة الشعر : 236/1 .

5) ينظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني : 261/1 ، 262 ، والبناء الفني في النقد العربي الحديث (بحث) ، مرشد الزبيدي : 110 .

6) البنى والدلالات في لغة القصص القرآني : 26 ، وينظر : منهاج البلغاء وسراج الأدباء: 11، 32 ، 22 وما بعدها .

7) نظرية البنائية في النقد الأدبي : 176 .

8) المصدر نفسه : 176 .

للعناصر ، علما أن من شأن هذا النسق أن يظل قائما ويزداد ثراء بفضل الدور الذي تقوم به تلك التحولات نفسها ،دون أن يكون من شأن هذه التحولات أن تخرج عن حدود ذلك النسق، أو أن تهيب بأية عناصر أخرى تكون خارجة عنه))[1] .

ويعرفها (ليفي شتراوس) بأنها ((تحمل . أولا وقبل كل شيء . طابع النسق أو النظام . فالبنية تتألف من عناصر يكون من شأن أي تحول يعرض للواحد منها ، أن يحدث تحولا في باقي العناصر الأخرى))[2] .

ويقول (البير سوبول) ((إن مفهوم البنية لهو مفهوم من العلاقات الباطنة والثابتة ، المتعلقة وفقا لمبدأ الأولوية المطلقة للكل على الأجزاء ، بحيث لا يكون من الممكن فهم أي عنصر من عناصر البنية خارجا عن الوضع الذي يشغله داخل تلك البنية ، التي داخل المنظومة الكلية الشاملة))[3] .

ويعرفها (لالاند) بقوله : ((هي كل مكون من ظواهر متماسكة ، يتوقف كل منها على ما عداه ، ولا يمكنه أن يكون ما هو إلا بفضل علاقته بما عداه))[4] .

فالبنية إذن تتضمن ثلاث خصائص ، وهي : الشمولية / الكلية ، والتحول ، والتحكم الذاتي /الانتظام الذاتي .

أما الشمولية / الكلية فتعني التماسك الداخلي وترابط الأجزاء ، واختصاصها بخواص هي غير الخواص التي تكون خارج الكيان[5] ، ((لكنها خاضعة لقوانين تتحكم في النظام بأشمله ، وتسمى قوانين التركيب ولا تقتصر على مجرد تداعيات تجميعية متراكمة ، ولكنها تضفي على المجموع صفات تميزه بهذا الاعتبار عن العناصر المكونة له))[6] .

---

1) مشكلة البنية : 32 .

2) المصدر نفسه : 35 .

3) المصدر نفسه : 39 .

4) المصدر نفسه : 43 ، وينظر : نظرية البنائية في النقد الأدبي : 176 .

5) ينظر :البنيوية وعلم الإشارة:13.14،وينظر:معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة:31.

6) نظرية البنائية في النقد الأدبي : 189 .

أما فكرة التحول فتتمثل في قدرتها على تحويل الجمل الأساس إلى تشكيلات جديدة دالة ، وتشتمل على فكرة الانتظام الذاتي الذي يجعلها مكتفية بنفسها لإجراء التحويلات[1] . أي أن البنية تحافظ على نفسها في نوع من الدائرة المغلقة في تشكيل بنية أخرى أكبر منها[2] .

وهذا ما قصد إليه أيضا موركاروفسكي حين درس البنية ووصفها بالفاعلية والدينامية ، وقصد بالفاعلية الوظيفية التي تقوم بها العناصر كلها ضمن كلية تجمعها ، أما الدينامية في كل ما هو بنائي ، فقصد بها جميع الوظائف وعلاقاتها المتبادلة التي تكون خاضعة لتغييرات متلاحقة[3] .

فالبنية إذن نسق من العلاقات الداخلية تتصف بالوحدة والانتظام ، وان أي تغيير في هذه العلاقات يؤدي إلى تغير في النسق نفسه ، ومن ثم تغيير في الدلالة، بوصف النسق كلا دالا . وهذا يقتضي دراسة النص دراسة آنية وصفية[4] ، تؤكد أن اللغة نظام أو نسق من القيم العلامية الداخلية الخاصة مما يعد وسيلة للتواصل[5] .

وبما أن الجملة هي فكرة الذهن المجسدة التي لا توصف إلا بواسطة محس ، فإن وصف بنية الجملة ومعرفة علاقاتها ، وعناصر تحويلها هو السبيل إلى معرفة المعنى ، فالتغيير في الدوال يؤدي إلى تغير في المدلولات[6] .

1) ينظر : البنيوية وعلم الإشارة ، ترنس هوبكنز ، ترجمة مجيد الماشطة : 13 . 24 .
2) ينظر : نظرية البنائية : 190 .
3) ينظر : مفهومات في بنية النص ، ترجمة وائل بركات : 39 .
4) ينظر : عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو ، اديث كيرزويل : 229 . 290 .
5) ينظر : علم اللغة العام : 33 . 41 ، والبنى والدلالات في لغة القصص القرآني : 27 .
6) ينظر : في التحليل اللغوي ، خليل أحمد عمايرة : 33 .

2 . في مفهوم الخطاب

يعد الخطاب (Discourse) من المصطلحات الحديثة نسبيا ، التي شاعت في المدة الأخيرة . وقد اختلف الباحثون ، والنقاد ، والمترجمون العرب ، وغير العرب ، في تحديد مفهوم الخطاب ، على الرغم من استعمالهم الواسع لهذا المصطلح في نتاجاتهم على اختلاف حقولها المعرفية ، ولاسيما الأدبية منها .

وقد أرجع الفيلسوف الفرنسي (فوكو) هذا الإبهام الذي يحيط بتعريف الخطاب إلى ((اختلاف الفهم وتطوراته لدى الباحثين في النظرة إلى لفظ الخطاب))[1] . وعلل ذلك بإعطاء اللسانيين لفظ الخطاب معنى ، في حين يعطي المناطقة وأنصار التحليل التواصلي معنى آخر له[2] .

ولكننا نستطيع أن نحدد أهم المنظورات التي تناولت مفهوم الخطاب ؛ التي حاولت تحديد مفهومه بين المدارس الفكرية والحقول المعرفية ، مؤكدين تداخل هذه المفاهيم فيما بينها ، وهي :

1 . المنظور اللساني .

2 . المنظور السيميائي (ما بعد البنيوية) .

3 . المنظور الاجتماعي التواصلي .

وأظهر مفاهيم هذا المصطلح ومدلولاته هي :

إن الخطاب مرادف في مفهومه لـ(الكلام) (Parole) بحسب ما يقرره سوسير على اعتبار أن الخطاب يأتي من فرد فاعل له ، أي طرف منجز للغة عبر التلفظ أو البيان[3] ، فالخطاب هو الكلام والذات المنتجة له هي التي تمنحه خصوصيته .

والخطاب مرادف للملفوظ (Enounce) ، ولكنه يتميز في أنه كما عرفه (هارس) بأنه ((ملفوظ طويل أو هو متتالية من الجمل تكون منغلقة يمكن من خلالها

---

1) حفريات المعرفة ، ميشل فوكو : 102 .

2) ينظر : المصدر نفسه : 102 .

3) ينظر : الخطاب المرجعيات السيميائية السوسيولوجية . الأيديولوجية (بحث) : 6 . 7 .

معاينة بنية سلسلة من العناصر))[1] ،والملفوظ عنده ((كل جزء من أجزاء الكلام يقوم به متكلم))[2]، ويعد ((كلاما منجزا ووحدة متكاملة دلاليا))[3] .

أما (بنفست) فيعرف الخطاب بأنه ((الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل))[4] ، فهو ينظر إليه من خلال نظرية التلقي ؛ التي تفترض وجود مرسل ومتلق معا .

وهو بنظرته تلك لا يقصرها على ما كان شفويا من الخطاب ، بل على ما كان مكتوبا أيضا ، لأن ((الخطاب في واقعه المادي مكون من أشياء منطوقة ومكتوبة))[5] .

وهناك مفهوم آخر للخطاب من المنظور اللساني ، وهو ما كان منسوبا لفاعل ووحدة لغوية ، تجاوز أبعادها الجملة أو الرسالة أو المقول . إذ يتناول أصحاب هذا الاتجاه مفهوم الخطاب من خلال المرسلة الجاكبسونية التي هي :

السياق
Context

المخاطب ←——— الرسالة ———→ المخاطب
Addressers Massage Addressee

السنن (الشفرة)
Code

قناة التوصيل
Contact

فللخطاب إذن ذات منجزة ، فاعلة ، وذات متلقية ، فيأتي تأكيد أهمية الإيصال التي تتصل ضمنا بمفهوم الرسالة[6] .

---

1) تحليل الخطاب الروائي ، سعيد يقطين : 17 .

2) المصدر نفسه : 24 .

3) المصدر نفسه : 24 .

4) المصدر نفسه : 16 .

5) جينالوجيا المعرفة ، ميشال فوكو ن ترجمة احمد السلطاني : 6 .

6) ينظر : مدارات نقدية في إشكالية النقد والحداثة والإبداع ، فاضل ثامر : 220 . 221 .

وقد امتد هذا المفهوم اللساني للخطاب داخل المشروع البنيوي ، إذ بقي المفهوم اللساني مهيمنا .

أما (فوكو) فيختلف في مفهومه للخطاب عن اللسانيين ، إذ يرى أن الخطاب ((شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب ينطوي على الهيمنة والمخاطر في الوقت نفسه))[1] . ويتميز الخطاب عنده في أنه مؤلف من نص وكلام وكتابة ، إذ إنه يشمل كل إنتاج ذهني أيا كان نوعه ، نثرا أم شعرا ، وأيا كانت كيفية إنتاجه منطوقا أم مكتوبا ، وأيا كان منتجه، فرديا أم جماعيا ، ذاتيا أم مؤسسيا ، فهو لا يقف عند حد الإنتاج الفردي الذاتي يعبر عنه أو يحمل معناه ،بل قد يكون خطاب مؤسسة أو مدة زمنية أو فرعا معرفيا ما[2]؛ إذ ((يتحدد الخطاب كمجموعة من العبارات التي تنسب إلى نظام التكوين نفسه وعندها تستطيع الكلام عن خطاب إخباري اقتصادي أو ثقافي أو غيره))[3] .

ونستطيع أن نجد عدة تعريفات للخطاب ، إذ هو .كما تقدمت الإشارة . لا يؤطر في مفهوم واحد ، أو تعريف واحد ، بحسب الدراسات والحقول المعرفية التي تناولته . فالخطاب أيضا هو مجموع التعابير الخاصة التي تتحدد بوظائفها الاجتماعية ومشروعها الأيديولوجي (الفكري)[4] .

وقد يشير المصطلح إلى ((الطريقة التي تشكل بها الجمل نظاما وتتابعا تسهم به في نسق كلي متغاير ومتحد الخواص ، على نحو يمكن أن تتآلف بجمل في

1) نظام الخطاب :9 ، وينظر : ميشال فوكو تكنلوجيا الخطاب تكنلوجيا السلطة ، تكنلوجيا السيطرة على الجسد : 14 وما بعدها .

2) ينظر : المصدر نفسه : 9 ، ودليل الناقد الأدبي ، إضاءة لأكثر من خمسين مصطلحا نقديا معاصرا ، ميجان الرويلي : 89 .

3) الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب (أطروحة دكتوراه) : 40 .

4) ينظر : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة : 83 .

خطاب بعينه لتشكل نصا مفردا))[1] ، وبأنه ((على الأخص التعبير عن الفكر وتوسيعه بواسطة سلسلة من الألفاظ والقضايا المترابطة))[2] .

ويمكن أن نلخص مفهوم الخطاب من خلال الاصطلاح الأكثر عمومية له ، فهو ((نظام تعبير متقن ومضبوط))[3] .

ويمكن أن يكون الخطاب مرادفا للنص أيضا ، فقد استعمل عدد من الباحثين في شؤون الأدب ، ومن البنيويين والتفكيكيين الخطاب بمعنى النص ومنهم تودروف ، وجيرار جينت ، وفاينريش ، بحيث لا يميزون بينهما[4] .

فالخطاب ((مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة ، أي أنه تتابع مترابط من صور الاستعمال النصي يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق))[5] .

فالخطاب وفق هذا يشمل النصوص والأقوال ذات النظام البنائي[6] ، فيكون الخطاب بهذا المفهوم أوسع من النص ، إذ إنه يشتمل عليه ؛ لأن النص يرجع إلى الخطاب ؛ الذي يكون بدوره ((مجموعة من المنتجات الفكرية التي يراد إيصالها إلى متلق عبر نصوص مكتوبة ، أو مسموعة ، أو مرئية ، والتي تقدم موقفا شموليا ، أو جزئيا من قضية ، أو مشكلة قائمة ، أو مفترضة ، أي ما يقدم من الفكر وجهة نظر في موضوع ما))[7] .

ومن خلال هذا نستطيع القول إن الخطاب لا يقف عند حد المخاطبة . مخاطبة شخص معين لآخر . كما هو في المفهوم القديم ، بل إنه يعني أيضا التعبير عن المعاني والأفكار .

---

1) عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو : 270 .

2) الموسوعة الفلسفية العربية ، د. معن زيادة : 770 .

3) حفريات المعرفة : 34 .

4) ينظر : انفتاح النص الروائي (النص . السياق) ، سعيد يقطين : 10 .

5) النص والخطاب والاجراء : 6 مقدمة المترجم .

6) ينظر : حفريات المعرفة : 34 .

7) الخطاب العلماني العربي المعاصر تاريخيته وبنيته الموضوعية (بحث) : 209 ، وينظر: الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب : 41 .

ويختلف الخطاب من نص إلى آخر بطبيعة الحال ، وذلك بحسب المرسل . ولهذا نجد أن الخطاب القرآني امتاز بكثير من الخصائص التعبيرية والأسلوبية ، وتفرد بها عن كلام العرب وتعابيرهم ، وعما ورد في الشعر ، والأمثال ، وغير ذلك . إذ إن القرآن الكريم منزل من عند الله ، فهو سبحانه الذي كون أسلوبه ، ومعانيه ، ونظامه اللغوي ، سواء أتعلق بالأصوات اللغوية (الفونيمات) ، أم التراكيب الصوتية ، أم تعلق بالتراكيب اللغوية ، من جمل اسمية وفعلية ، ومن أشباه الجمل الحرفية ، والظرفية الزمانية أو المكانية في التراكيب ، كما في (يوم القيامة ونحوها من التراكيب الإضافية .

ولا بد من أن نذكر ، أن للخطاب في القرآن الكريم أنواعا عدة ذكرها العلماء ، ومنهم الزركشي (ت 794هـ) الذي جعل للخطاب القرآني أربعين وجها[1] .

ونذكر من أنواع الخطاب القرآني ؛ الخطاب العام وهو المراد به العموم ، ومنه قوله تعالى ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[2] ، والخطاب الخاص ، وهو المراد به الخصوص ومنه قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [3] ، وهناك الخطاب الخاص والمراد به العموم ، كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾[4] ، والنوع الآخر من الخطاب هو خطاب العام ، مرادا به الخصوص ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[5] ، فالمنادي هنا واحد ، وإن ورد بصيغة الجماعة ، وهناك خطاب الجنس ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾

1) ينظر : البرهان في علوم القرآن ، للزركشي : 217 .
2) الكهف : 49 .
3) المائدة : 67 .
4) الطلاق : 1 .
5) الحجرات : 4 .

[1] ، وخطاب النوع ومنه قوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [2] ، وخطاب العين كقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [3] ، وغيرها من أنواع الخطاب القرآني الكثيرة .

1) الأنفال : 64 .

2) البقرة : 47 .

3) طه : 11 . 12 .

الفصـــل الأول

الجدل قضاياه ووسائله ومقارباته

المبحث الأول : في الجدل

المبحث الثاني : في قضايا الجدل ووسائله

المبحث الثالث : في مقاربات الجدل

المبحث الأول

في الجدل

من المصطلحات التي حفل بها التعبير القرآني ، وعرفتها العرب في كلامها (مصطلح الجدل) ، وله لدى اللغويين عدة دلالات ، فمنها أنه ((اللدد في الخصومة والقدرة عليها ، وقد جادلته مجادلة وجدالا ، ورجل جدل ومجدل . ويقال جادلت الرجل فجدلته جدلا أي غلبته ، ورجل جدل : إذا كان أقوى في الخصام . وجادله أي خاصمه))[1] ، وقد خص (الجدل) بمقابلة الحجة بالحجة . أما (المجادلة) فهي المناظرة والمخاصمة[2] .

وقد جعل الراغب في مفرداته أصل مادة (جدل) من قولك جدلت الحبل ((أي أحكمت فتله ، ومن جدلت البناء)) وبين أن ((الأجدل : الصقر المحكم البنية...)) . فكأن المتجادلين يفتل كل منهما الآخر من رأيه .وذكر بصيغة التضعيف : قيل إن الجدال الصراع ، واسقاط الإنسان صاحبه على الجدال ، وهي الأرض الصلبة[3] .

بل إن ابن فارس (ت395هـ) جعل هذه الخصومة ممتدة،إذ ذكر أن الجدل ((من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه ،وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام))[4].

وامتد هذا المعنى اللغوي للجدل في المعنى الاصطلاحي ، إذ عرفه بعض العلماء بأنه ((علم يقتدر به على حفظ أي وضع يراد ، ولو كان باطلا ، وهدم أي وضع يراد ولو كان حقا))[5] .

والجدل على هذا علم لا يتعلق بأدلة معينة ، بل هو قدرة أو ملكة يؤتاها الشخص ، ولو لم يحط بشيء من الكتاب، والسنة ،ونحوهما ،وقد يدور الكلام فيه بالحق ،وقد يدور بالباطل، إذ ليس كل مجادل محقا ،أو مبطلا .

---

1) لسان العرب : 111/13 ، مادة (جدل) .

2) ينظر : المصدر نفسه : 111/13 .

3) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني : 87 .

4) مقاييس اللغة : 189 ، مادة (جدل) .

5) التعريفات ، للجرجاني : 66 .

وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته أن الجدل معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية ،وغيرهم ... وقيل فيه : إنه المعرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ الرأي وهدمه ، سواء أكان ذلك الرأي في الفقه أم غيره[1] .

ويبدو مما تقدم من التعاريف أن مفهوم الجدل يدور عموما على المخاصمة والمغالبة . حتى إنه شاع عند العوام ، بل عند المتعلمين وكثير من المثقفين أن الجدل صفة مذمومة ، وأن الشخص الذي يوصف بأنه جدلي ، من يجادل شخصا مذموما ، وهذا يدل على أن الجدل عندهم ظاهرة متعلقة ومتصلة بالباطل والبعد عن الحق ، وأنها مجرد محاولة للكسب على حساب الحق والحقيقة .

وهذا في الواقع فهم خاطئ لحقيقة الجدل ، والدليل على ذلك النص القرآني ، إذ يتبين لقارئه في مواضع مختلفة منه سواء ما يتحدث منها عن الحق أم عن الباطل ؛ أن الجدل يمكن أن يقسم على نوعين (جدل مرضي) ، وآخر (غير مرضي) .

فالجدل المرضي : الذي يبنى على مجرد النقاش وبيان الحجة ، وإظهار الرأي لنصرة الحق ، بدليل أنه سبحانه وتعالى أمر نبيه المصطفى محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يجادل المخالفين للدين (بالتي هي أحسن) ، أي بأسلوب وطريقة لا تثير فيهم النكير ، ولا تجعلهم ينفرون،فقال تعالى: (وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)() ، وجعله في سياق الحكمة والموعظة في قوله تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)[2]، وبذلك يتبين أن ((الجدال أحوج إلى كمال الحسن من الموعظة ، ولذلك أجاز سبحانه من الموعظة حسنتها ، ولم يجز من

1) ينظر : تاريخ ابن خلدون : 457/1 .

2) النحل : 125 .

المجادلة إلا بالتي هي أحسن))[1] . فالمجادلة مجازة . هنا . من لدن الله سبحانه وتعالى ، بل هي في أحوال أمر ، إذ ورد الفعل بصيغة الأمر ، حين أمر نبيه الكريم بمجادلة المخالفين بأسلوب ارتضاه سبحانه ، وعلمه لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فهو جدل مرضي منه سبحانه وتعالى ، وهو جدل فكري ينصر الحق ، ويدفع الباطل ، وهذا جدل الحق الذي لا يقصد منه المنازعة والمهاترة بل يراد به إظهار الحق ، وإبطال الباطل للمجادل .

ومن جدال الحق ؛ جدال نوح (عليه السلام) لقومه،إذ وصفوه بأنه أكثر من جدالهم ، وذلك في قوله تعالى :(قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا)[2]، فجدال نوح (عليه السلام) . هنا . هو جدال الحق ،ولكن لم يرغب به الكافرون، إذ جادلهم بوحدانية الله ، وبين لهم الحقائق ، فرفضوا مجادلته إياهم بذلك ، وتحدوه بأن يأتيهم بما وعدهم به من العذاب ، فدعا ربه بأن يعاقبهم ويوقع بهم العذاب. فهو إذن جدال محمود وحسن ؛ ((لأنه لو لم يكن حسنا لما استعمله نوح مع قومه ؛ لأن الأنبياء لا يفعلون إلا ما يحسن فعله))[3] .

والدليل على قبول الجدل . في الحق . السماح به يوم القيامة ، إذ لا يقف الإنسان مكتوف اليدين أمام مصيره ، بل يترك له المجال والفرصة للدفاع عن نفسه ، في ظل قانون عدالة الله التي تحترم حق الإنسان الطبيعي في الدفاع عن نفسه ، وذلك في قوله تعالى : (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ)[4] ، وقد اكتسبت لفظة الجدل دلالة الاعتذار في هذا النسق القرآني ،وكقولهم (رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا) ... الآية ، وقولهم (والله

1) الميزان في تفسير القرآن : 398/12 .

2) هود : 32 .

3) التبيان في تفسير القرآن : 547/5 .

4) النحل : 111 .

ربنا ما كنا مشركين)[1] ، حرصا منهم على التخلص من العقاب الذي استحقوه بما كانوا يعملون من السوء ، على أنه ليس كل الجدل مذموما ومرفوضا ، كيف وهي صفة من الصفات الملازمة للانسان في طبيعة خلقه وتكوينه ، بل هي ((ظاهرة إنسانية من تلك الخواص التي تميز الإنسان من غيره من الكائنات))[2] فقد قال تعالى : (وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً)[3] ، ذلك أنه ((قد فطر الإنسان على أن يواجه الحياة بكل ما فيها من أوضاع ، وأحداث ، وملابسات وأفكار بعقلية منفتحة قلقة ، لا تستقر على حال ، فتراه يفتش عن الشيء وضده ، وعن الحق والباطل ، ليجادل في هذا ويحاور في ذاك))[4] .

ولما كان الأنبياء يعلمون بإجازة الجدل ، فقد استعملوه مع ملائكة الله المرسلين إليهم ، وهو ما حصل مع النبي إبراهيم (عليه السلام) ، حين جاءته البشرى بالولد ، ففرح كثيرا ، وفرحت زوجته ، وصكت وجهها عجبا من ذلك لأنها عجوز كما قالت . وزوجها شيخ ، فكيف تحمل ، وهما بهذه الحال ؟ وقد ذكر تعالى ذلك على لسانها بقوله : (قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ)[5] ، فلما ذهب عن إبراهيم (عليه السلام) الروع ، وهو الخوف الشديد ، جادل ملائكة البشرى في قوم لوط (عليه السلام) ، محاولا ثنيهم عن معاقبتهم ، وهو ما عبر عنه بقوله تعالى : (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ)[6].

---

1) ينظر : مدارك التنزيل ، للنسفي : 302/2 .

2) مقال في الإنسان ، عائشة عبد الرحمن : 94 .

3) الكهف : 54 .

4) الحوار في القرآن ، محمد حسين فضل الله : 21 .

5) هود : 72 .

6) هود : 74 .

في هذا الموقف نهي إبراهيم (عليه السلام) عن الجدل ، لأن أمر الله سبحانه في عقاب قوم لوط قد جاء ، ولهذا قال تعالى : ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [1] ، فالنهي عن الجدل هنا ليس نهيا مطلقا ، بل هو نهي محدود مخصوص بمقام معين ، وهو هذا المقام الذي أرسل الملائكة فيه لعقاب قوم لوط ؛ الذين كانوا يعملون الفاحشة ، وما ذلك إلا دلالة على إفساح المجال في المجادلة .

على أن للمجادلة حدودا ومعايير وضعت للالتزام بها من قبل أنبياء الله ورسله (عليهم السلام) ، لكي لا يخرج الكلام إلى مجرد المنازعات والمهاترات ، من دون الوصول إلى الحقيقة أو اثبات الحق ، ولذلك نهى القرآن الكريم النبي محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الجدال عن الذين وصفم بأنهم (يختانون أنفسهم) ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ [2] ، فوصفهم سبحانه وتعالى ودمغهم بالخيانة ، نهيا لهم عن الجدل عن ((أولئك النفر من المسلمين الذين أرادوا الصاق تهمة السرقة ببعض اليهود ، ليرفعوها عن أنفسهم ، ظنا منهم أن يهوديته سوف تكون أساسا صالحا للحكم عليه))[3] ، محاولين توظيف الجدل في خدمة الخيانة والخائنين .

وكذلك نهاهم سبحانه عن الجدال عن الكافرين والمنافقين في قوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[4] ، إذ هم لا يستحقون الدفاع عنهم ، فإذا جادلوا عنهم في الدنيا ، فمن يجادل عنهم في الآخرة ؟ .

---

1) هود : 76 .

2) النساء : 107 .

3) الحوار في القرآن : 26 .

4) النساء : 109 .

وبذلك يتبين أن الجدل ضربان :

جدل يؤمر به ، وجدل ينهى عنه ، وهناك أكثر من نص لا يمنع الجدل مادام على الحق ، كجدل تلك المرأة التي اشتكت زوجها إلى الله حين حرمها على نفسه ، بعبارة كان يقولها الجاهليون ، فكانت تجادل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا الموضوع بعد تحريم زوجها لها عن نفسه ، وكانت تشفع هذا الجدل بالشكوى إلى الله ، في قوله تعالى : ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾[1] ، فالجدل هنا مرضي ، وسمى القرآن ما دار بينهما تحاورا ، وهذا التعبير ذو قيمة أدبية كبيرة ؛ لأنه سماه حوارا ، وليس كل حوار جدلا .

أما المفهوم الآخر للجدل فهو (الجدل غير المرضي) ؛ لأنه (جدل الباطل)، كما في قوله تعالى : (﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[2]. وقد نعت سبحانه الذي يجادلون بالباطل بالكافرين،وذلك في قوله تعالى : (﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾[3].

ومن الجدل المذموم ، الجدل في الله تعالى بغير علم ، الذي ذكره القرآن بقوله تعالى (﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[4] ، أي بغير ما يتحرى في العقل من حجج وأدلة ، (ولا هدى) مما يمكن أن يؤكد الفكرة المضادة على أساس الوضوح الذي يزيل الغموض ، ويمنع الالتباس ، ويحمي من الضياع ..(ولا كتاب منير) يشتمل على الحقائق المشرقة التي تضيء للناس سبيل الحق ، فتدلهم عليه في الفكر والحياة[5] .

---

1) المجادلة : 1 .

2) غافر : 5 .

3) الكهف : 56 .

4) الحج : 3 ، 8 .

5) ينظر : من وحي القرآن ، ابراهيم أنيس : 18 / 202 .

فالقرآن الكريم ينهانا عن الجدل الذي لا طائل وراءه ، ويحثنا على الأسلوب القرآني المتنوع الذي يعبر عن الفكر بأكثر من طريقة ، ويواجه الواقع الإنساني بأكثر من فكرة ، ويحرك الفكر في أكثر من موقع .. لينفتح على الحقيقة، فيهتدي بها ، من خلال استعمال وسائل الهداية التي أودعها الله سبحانه في تكوين الإنسان من السمع ، والبصر ، والعقل .

ولم تخص الآية القرآنية هنا جدل الكافرين حسب ،بل جدل المؤمنين أيضا، إذ قال تعالى : (ومن الناس) ، فهناك من المؤمنين الذين يمثلون الفكر الإسلامي قد يدخلون في جدال مع خصومهم ، والعكس أيضا صحيح ، من دون أن يعرف كل منهم من أفكارهم وأفكار خصومهم إلا طائفة من المفاهيم العامة ، التي يحيطها الغموض في أذهانهم من كل جانب ، مما يجعلهم يسيئون إلى الفكرة الرئيسة التي يحاولون الجدال عنها ، ومن ثم ينعكس على حركة الدعوة الإسلامية نفسها ، فعلى الداعية المسلم ((أن يتزود بالثقافة الإسلامية التي تجعله قويا في حجته أمام خصومه من موقع المعرفة العميقة للإسلام لا من مركز ضعف خصومه ، كما أن عليه أن يحيط بالثقافة المضادة التي يمتلكها أعداء الإسلام ، مما يعتبرونه سندا لمبادئهم ، وحجة أفكارهم))[1] .

وهناك الجدل الذي يمكن أن نطلق عليه الجدل الشيطاني،وهو الذي يكون بوحي من الشيطان وتسويل منه،وهو الذي بينه القرآن بأسلوب التوكيد بمؤكدين هما (إن) و(اللام) ، في قوله تعالى (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)[2]،فوصف أولئك الكافرين بأنهم أولياء للشياطين ، وبذلك يوجهون الجدل في اتجاه الباطل ، وإنكار الحق الواضح.

1) الحوار في القرآن : 51 . 52 .

2) الأنعام : 121 .

ومن الجدل المذموم ما يصح تسميته (الجدل المتكلف) وهو الذي عبر عنه القرآن في قوله تعالى : (مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا)[1] ، إذ قصد بالجدل الذي ذكر في هذه الآية الكريمة إضاعة الفكرة التي كان النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يحاول إيصالها إلى الكافرين ، حول عيسى بن مريم (عليه السلام) من أنه (عبد الله ورسوله) ، إنكارا منهم للحق ، واعراضا عنه ، إذ اتجهوا بالحديث عنه من خلال الفكرة المنحرفة ، وهي فكرة تأليه عيسى بن مريم من النصارى ، حتى أثاروا التساؤل عن المفاضلة بينه وبين ما يعبدون ، على أساس اختلاف الموقفين، موقف النصارى ، وموقف الكافرين ، لما يدعو إليه الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقد سلكوا ((طريق الجدل المحض الذي يدفع الإنسان إلى الهروب من الموقف الحق إلى موقف آخر يثير الضباب فيه حول الحق ، بالأساليب المختلفة من المغالطة وأمثالها ، ليهاجموه من خلال ذلك))[2] .

فالجدل المذموم وهو الجدل بالباطل مرفوض في القرآن الكريم ؛ لأنه ((نقيض الايمان وانحياز للباطل بمعناه الديني الفرقاني ، إذ الجدل بما هو موقف نقيض يتعارض مع اليقين الاعتقادي القائم على التسليم أو الانقياد))[3] .

ومن الجدل المذموم ما ورد بمعنى (المماراة) وليس الصراع الفكري ، وذلك في قوله تعالى : (فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ) [4] ، فالجدال هنا يعني ((المماراة في الحج))[5] ، وهو مذموم ؛ لأنه سبق بنهي هو (لا جدال) ، فالأداة (لا) هنا ناهية وقد وردت في سياق نهي عن الرفث ، والفسوق ، إذ الرفث هو الفحش من القول ، والفسوق هو الخروج من طريق الحق[6] .

---

1) الزخرف : 58 .

2) الحوار في القرآن : 25 .

3) جدلية القرآن ، د. خليل عمايرة : 22 .

4) البقرة : 197 .

5) معاني القرآن ، الفراء : 120/1 .

6) لسان العرب : 153/2 ، مادة (رفث) ، و308/10 ، ومادة (فسق) .

فالجدل إذن أشبه بصراع فكري يستند إلى العقل ، قائم على أساس الحقيقة الواضحة لدى صاحبها فمنهم من يجادل بالحق ، مما يجعل القضية تنمو في فضاء الرسالة الربانية ، لا في إطار الذات والمنفعة ، ومنهم من يجادل بالباطل مدفوعا برغبات النفس وشهواتها ، بعيدا عن طابع الحق والصدق .

على أن الجدل القرآني ليس كجدل الفلاسفة وأصحاب المنطق ، وأهل الكلام ، بل هو جدل بروح قرآنية ، وصياغة قرآنية بلسان عربي مبين ، وذلك ((أن القرآن جاء مخاطبا العقل البشري في أجل مظاهر القوة والبيان والبرهان ؛ إذ الاعتماد في الاستدلال على وفق قانون الفكرة التي تصدق بما تشاهد وتحس دون عمل فكري دقيق أقوى أثرا وأبلغ حجة))[1] .

ولذلك فإن الجدل العقلي هو الذي أمر به سبحانه وتعالى من حيث لزوم ارتباطه ((بالحقائق ولا يمكن أن يحظى بها الفكر الذاتي دون الاستعانة بالهدى الإلهي وإلا وقع في المتشابهات وانزلق بعقله في هوة الضلالات))[2] .

والجدل أسلوب من أساليب التأثير الكثيرة التي اعتمدها القرآن الكريم لترسيخ العقيدة والدين في النفس البشرية .إذ تكون متعددة الجوانب من وجدان وعقل أو إرادة، فلم يترك القرآن الكريم منفذا يمكن أن يحقق منه هذا الهدف إلا وولجه ، ومنه هذا المنفذ العقلي إذ ((نراه قد اتجه إلى العقل والمنطق يفند الشبهة ويسوق الدليل ، ويقطع على المنكرين والمعاندين طريق الاعتذار العقيم))[3] . وذلك الاعتذار لا يقوم على حجة ولا يسنده دليل .

1) الحوار في القرآن ، اسماعيل إبراهيم السامرائي ، كلية الشريعة ، رسالة ماجستير : 38

2) الجدل في القرآن ، حسن الشرقاوي : 23 .

3) أسلوب الدعوة القرآنية ، عبد العاني محمد سعيد بركة : 146 .

المبحث الثاني

في قضايا الجدل ووسائله

تعددت القضايا التي جادل الخطاب القرآني مجادليه ، وأول قضية يجدر عرضها هي قضية (التوحيد) ؛ إذ كانت القضية الأولى التي واجه بها الإسلام الكفرة المشركين ، فقد أنكر القرآن الكريم على المشركين ما هم فيه من عبادة الأصنام ، وفكرة تعدد الآلهة ،وأن يكون هناك صلة بين الخالق الحقيقي المخصوص بالعبادة، وبين هذه الأصنام التي يتقربون بها . في زعمهم . كما حكى عنهم القرآن في قوله تعالى : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى)[1] .

وقد صور القرآن الكريم في سورة (ص) اعتراضهم وما استندوا إليه من دليل ،وهو قولهم : (أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ * أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا) [2] .

ففكرة التوحيد عند هؤلاء القوم عجيبة ، صاحبها . في تصورهم . مختلق لها ؛ لأن الرواية لم تنقلها لهم ، وإنها عندهم لمؤامرة فليثبتوا على آلهتهم إذن ، هذا تصورهم للموضوع ، ومن هنا عمد القرآن في مجادلتهم ، إذ قال تعالى (... بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ * أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ * جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ

---

1) الزمر : 3 .

2) ص : 5 . 8 .

﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ [1] .

ومن القضايا التي جادل فيها القرآن ، قضية البعث ، إذ أنكر المشركون المعاد والنشور فحكاه القرآن في قوله تعالى : ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ * قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[2] .

ومن هذه القضايا محاولة تحدي المشركين للقرآن الكريم ، إذ شككوا في صدقه وتنزيله ، وأخذوا يجادلون الرسول في صدق ذلك وفي أنه من الله الواحد الأحد ، وشككوا به في إنه افتراء ، فانبرى القرآن يجادلهم ويتحداهم في أن يأتوا بعشر سور من مثله أن استطاعوا ، ثم قال تعالى : ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [3] ، أي ((فاتوا بسورة من كلامكم الذي هو مثله في العربية ، إذ كنتم عربا وهو بيان نظير بيانكم ، وكلام شبه كلامكم))[4] .

وجادل القرآن كذلك في قضية نبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ،إذ كانت من المشركين موضع جدال،وهي بالطبع لم تكن مع نبوة نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فحسب،بل مع الأنبياء والرسل كلهم،إذ تمثل النبوة حدثا غير عادي في حياة الناس ((لأنها ليست مجرد دعوة تغييرية تتحرك على أساس بشري يخضع لما يخضع له البشر. عادة . من إمكانات وطاقات،وقوة وضعف، بل هي دعوة تتميز بارتباطها بما وراء هذا العالم،من خلال الوحي الذي هو ظاهرة غير عادية لأنه يمثل الاتصال غير المنظور بالقوى غير المنظورة))[5] .

---

1) ص : 8 . 14 .

2) المؤمنون : 81 . 82 .

3) الإسراء : 88 .

4) جامع البيان ، الطبري : 241/1 .

5) الحوار في القرآن : 95 .

فالوحي ليس من عالم البشر المادي ؛ بل هو من عالم آخر يختلف عنه في كل شيء ، ولهذا أثارت هذه القضية جملة من الاستفسارات التي اتخذت طابعا جدليا شديدا ، لم يتوقف عند حد الرفض بالكلمات ، بل استطال إلى رفض شخص الرسول الذي تتجسد فيه الرسالة وطلبوا ما هو غير منظوم ، وقد تجلى في مثل قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ [1]، هذا من القضايا المهمة كقضية صحة الرسالة،وقضية التحليل والتحريم، وقضية الصفات الإلهية ،وغيرها من القضايا التي وقف فيها القرآن مجادلا لمن جادله فيها.

وسائل الجدل

أما وسائل الجدل القرآني فقد تعددت أيضا في عرض الحقائق واثبات الحق ومنها استناده إلى فقدان الدليل لدى المجادلين وسلك القرآن أسلوب التلقين ، كما في قوله تعالى : ﴿... قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾[2] ، فالقرآن يطالب هنا بالدليل لإثبات ما يدعون ، إلا أنهم لا يستطيعون أن يقدموا كتابا أو إثارة من علم ، ولم يبق لديهم إلا الظن الذي لا يغني من الحق شيئا إلا التخرصات التي لا يثبت بها علم لأنها لا تستند إلى دليل .

واستعمل القرآن الكريم الطريقة العقلية وسيلة من وسائل الجدل في عرض الحقائق واثباتها ، كما في قوله تعالى : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي

---

1) المؤمنون : 24 .

2) الأنعام : 148 .

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ)[1] .

وذلك في قصة مشرك أتى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأمسك عظما وفتته بيده ، إذ قيل هو أبي بن خلف ، أو العاص بن وائل جاء بعظم بال متفتت وقال : يا محمد أتزعم أن الله يبعث هذا ؟ فقال : نعم ، فنزلت الآية[2] .

فالقرآن يجادل العقل والمنطق ، فالقدرة التي ولدت النطفة من التراب ثم ولدت الإنسان من النطفة ((هي التي تعطي التراب سر الحياة ليتحول إلى إنسان كامل من جديد ، فإن القدرة على الانتقال من العدم إلى الوجود في البداية ، تستلزم القدرة على ذلك في النهاية ، لأن أساس الإمكان والاستحالة فيهما واحد لا يختلف ولا يتعدد))[3] .

واعتمد القرآن في جدله كذلك الطريقة الحسية إذ إنها تقرب الفكرة ليجعلها شيئا مألوفا للإنسان ، لقربه من المشاهدات الحسية التي تتكرر أمامه في كل وقت كالذي في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) إلى أن قال : (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[4] . فإحياء الأرض بالماء عملية محسة من لدن الإنسان ، وإن موت النبات واحياءه ثانية بالبذور ظاهرة يتحسسها الإنسان في حياته أيضا ، فهي صورة تشبه تماما عملية موت الإنسان وإحيائه من جديد .

---

1) يس : 77 . 81 .

2) مجمع البيان في تفسير القرآن ، الطبرسي : 437/6 .

3) الحوار في القرآن : 90 .

4) الحج : 5 . 6 .

ويلحظ أن القرآن اعتمد الطبيعة في كثير من مجادلاته للمخالفين ، بما فيها من ظواهر وسنن ، ونظام واتساق لإثبات الحقائق، إذ إن الطبيعة هي أقرب شيء للإنسان ، فيستطيع أن يتأكد بنفسه ويتلمس صحة الأمر ، ومنه قوله تعالى : ﴿بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾[1] ،فكان الجواب عما زعموا : ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ * بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ * أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾[2] .

فالقرآن هنا يجادل المنكرين للبعث بآيات عظام ومشاهد ضخام ، كانوا ((يمرون عليها ليلا ونهارا ،إذا قيس بها أمر البعث كان في نفسه أيسر منها فعلا، فهم ينكرون وقوعه في وقت لا ينكرون فيه ولا يقبل منهم لو أنكروا هذه المقدمات))[3] .

---

1) ق : 2 . 3 .

2) ق : 4 . 11 .

3) خصائص التعبير القرآني ، وسماته البلاغية ، د. عبد العظيم المجمعي : 455/1 .

ويلحظ أن أسلوب التدرج في الإقناع من أساليب القرآن الكريم في الجدل فهو مثلا يجري على لسان إبراهيم (عليه السلام) في جدله لأبيه في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[1].

فقد أنكر على أبيه وقومه اتخاذهم الأصنام آلهة ووصفهم بالضلال المبين ، ثم سلك معهم مسلك مجاراة الخصم فيما يزعم من باطل ؛ ليستعرض شبهة تلو الأخرى ، فيبطلها وهكذا ، حتى إذا لم يبق له شيء يمكنه الاستمساك به دفع الشبهة مرة واحدة ، وأثبت ما هو مطلوب أن يثبت[2] .

فهذا عمليا استدراج للخصوم إلى الإنكار بصورة عملية ، ليشاهدوها ويتحسسوها كي يهتدوا إلى الإيمان الحق ، فإذا كان الكوكب وهو في السماء ، والقمر وأثره في الكون ظاهر ، والشمس هي مصدر الدفء والنور ... إذا كانت هذه الأشياء العلوية الفائقة مرفوضة أن تكون أربابا ، فما بالك بالتماثيل والأصنام التي كان يعبدها قوم إبراهيم ؟ وبذلك لم ((يتوجه القرآن بالدليل إلى العقل وحده ، وإنما خاطب جميع القوى المدركة والمؤثرة في النفس الإنسانية ، وتدرج بالدليل من مرحلة إلى أخرى عامدا إلى الإثارة الوجدانية تارة ، وتحريك العاطفة تارة أخرى ، وهز مشاعر الرجاء والخوف ، ووجه النظر إلى المحس المشاهد ، وقاس عليه البعيد الغائب ، وقطع السبيل على المجادل وسد جميع الثغرات أمام الناظر حتى لا يجد غضاضة في التسليم ، ولا مرارة في القبول ولا محيصا من الإذعان))[3] .

---

1) الأنعام : 74 .

2) ينظر : خصائص التعبير القرآني : 456/1 .

3) المصدر نفسه : 456/1 .

المبحث الثالث

مقاربات الجدل

استعمل الجدل فيما له تعلق بالعمل من سعادة ، وشقاء ، وخير ، وشر ، ونفع ، وضرر ، وما ينبغي أن يختار ويؤثر ، وما لا ينبغي ، وهي من الأمور الاعتبارية ، أو المقدمات المشهورة ، أو المسلمة[1] ، لذا نجد أن للجدل مجالا واسعا في القرآن الكريم ، فلم يقف عند لفظة الجدل وحدها ؛ بل عمد إلى ألفاظ أخرى دالة على الجدل أيضا ، وإن قاربتها في الدلالة ولم ترادفها ترادفا تاما .

ويمكننا تقسيم ألفاظ مقاربات الجدل على قسمين :

الأول : ألفاظ دالة على باطل ، وهي :

1 . مارى : إذ وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم دالة على الجدل ، فقد قال الراغب في مفرداته : إن المرية هي التردد في الأمر ، وهي أخص من الشك ، أما الامتراء والمماراة فهي : ((المحاجة فيما فيه مرية ، وأصله من مريت الناقة ، إذا مسحت ضرعها للحلب ، فتسمية الجدال مماراة لما فيه من إصرار المماري بالبحث ليفرغ خصمه كل ما عنده من الكلام فينتهي عنه))[2] .

والفرق بين (الجدال) و(المراء) ، هو أن المراء مذموم جميعه ؛ لأنه مخاصمة في الحق بعد ظهوره ، كمري الضرع بعد دروره ،وليس كذلك الجدال[3]، فقد يكون مخاصمة في الحق والباطل ، كما تقدم بيان ذلك في المبحث الأول من هذا الفصل .

وقد وردت المرية في القرآن الكريم بعدة نصوص لكل منها دلالة خاصة ، ففي قوله تعالى : ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾[4] .

---

(1) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : 267/5 .

(2) مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب (مرى) .

(3) ينظر : مجمع البيان : 268/5 .

(4) الكهف : 22 .

فالمراء الظاهر هنا هو الجدال الظاهر غير المتعمق فيه ، وقيل إن المراء الظاهر هو ما يذهب بحجة الخصم ، ((يقال : ظهر إذا ذهب ، فالمعنى في تفسير الآية يكون : إذا كان ربك أعلم وقد أنبأك نبأهم ، فلا تحاجهم في الفتية إلا محاجة ظاهرة غير متعمق فيها ، . أو محاجة ذاهبة لحجتهم ، ولا تطلب الفتيا في الفتية من أحد منهم فربك حسبك))[1] .

ومن الجدل المعبر عنه بالمراء ؛ لكونه غير محمود ، قوله تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾[2] ، فالمماراة في الساعة هنا تعني الإصرار على إنكار الساعة بالجدال ، إذ ((كانوا في ضلال بعيد ؛ لأنهم أخطأوا طريق الحياة))[3] ، فالإصرار على الجدل دلت عليه لفظة (المماراة) ، ومنه ما جرى بأسلوب الاستفهام قوله تعالى : ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾[4] ، فالاستفهام الداخل على اللفظة توبيخي ، والخطاب للمشركين ؛ إذ أصروا على مجادلة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأرادوه أن يذعن لما يرون فيقول ((بخلاف ما يدعيه وتجريم به وهو يشاهد ذلك عيانا))[5] .

ووردت المماراة في نص آخر في الإنذار والتخويف ، وذلك في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾[6] ، فبين تعالى أن النبي لوط (عليه السلام) أنذرهم بطش ربهم الشديد ، فجادلوا في إنذاره وتخويفه[7] .

---

(1) الميزان في تفسير القرآن : 269/13 .
(2) الشورى : 18 .
(3) الميزان في تفسير القرآن : 40/18 .
(4) النجم : 12 .
(5) ينظر : التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي : 425/9 .
(6) القمر : 36 .
(7) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : 31/19 .

2 . خصم : الخصومة كثيرا ما تؤدي إلى الجدل ، إذ يقال : ((خاصمه خصاما ومخاصمة ، فخصمه يخصمه خصما : غلبه بالحجة . والخصومة الاسم من التخاصم ، ورجل خصم : جدل ، والخصم بكسر الصاد : الشديد الخصومة))[1] ، وقد أرجع الأصفهاني أصل المخاصمة إلى تعلق ((كل واحد يخصم الآخر إلى جانبه ، وان يجذب كل واحد خصم الجوالق من جانبه))[2] .

والفرق بين (المخاصمة) و(المجادلة) هو أن المجادلة تعني المنازعة فيما وقع فيه خلاف بين اثنين ، على حين تعني المخاصمة المنازعة بالمخالفة بين اثنين على وجه الغلظة[3] ، فالخصم هو ((المدعي على غيره حقا من الحقوق ، والمنازع له فيه ، ويعبر به عن الواحد والاثنين والجماعة بلفظ واحد))[4] .

وعليه قوله تعالى : ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾[5] ؛ إذ إن الكفار الذين ادخلوا الجحيم كانوا فيها يختصمون ، أي ينازع بعضهم بعضا ((لما فيه من إنكار عليه وإغلاظ له))[6] ، ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾[7] ، أي مجادلة بعضهم لبعض[8] .

ووصف تعالى لونا آخر من البشر بقوله : ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[9] ، فخصيم في اللغة بمعنى مخاصم ، مثل جليس ومجالس ، وعلى ذلك قوله تعالى :

---

(1) لسان العرب : 180/12 . (مادة خصم) .
(2) مفردات ألفاظ القرآن للراغب : 149 ، مادة (خصم) .
(3) ينظر : مجمع البيان : 183/3 .
(4) المصدر نفسه : 351/8 .
(5) الشعراء : 96 .
(6) التبيان : 37/8 .
(7) ص : 64 .
(8) ينظر : التبيان : 578/8 .
(9) النحل : 4 .

(وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيماً)[1] ، أي لا تكن عنهم مخاصما. وقال ابن منظور : ولا يصح أن يقرأ على هذا (خصما) ؛ لأنه غير متعد ، لأن الخصم : العالم بالخصومة وان لم يخاصم ، والخصيم : الذي يخاصم غيره[2] ، وعلى هذا يكون معنى الخصيم في الآية : المجادل بالباطل ، الظاهر الخصومة . فبعد أن خلقه الله سبحانه ومكنه أخذ يخاصم في نفسه ((وفيه تعريض لفاحش ما ارتكبه الإنسان من تضييع حق نعمة الله عليه))[3] .

3 . ألد : الألد في اللغة ((الخصم الجدل الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق ، الشديد الخصومة ، واشتقاقه من لديدي العنق وهما صفحتاه ، وتأويله أن خصمه أي وجه أخذ من وجوه الخصومة غلبه في ذلك))[4] .

وعليه قوله تعالى : (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً)[5] ، أي تخوف بالقرآن الكريم قوما ذوي جدل مخاصمين[6] ، ومنه قوله تعالى في وصف مثل هذا النوع من الناس : (وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ)[7] ، أي الشديد الجدل بالخصومة إلى ما يريد ، إذ وصف الله تعالى المنافقين ((فقال ومن الناس من يعجبك يا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله في الظاهر وباطنه بخلافه ،

(1) النساء : 105 .
(2) ينظر : لسان العرب : 180/12 ، مادة (خصم) .
(3) مجمع البيان : 139/6 .
(4) لسان العرب : 391/3 ، مادة (لدد) ، وينظر : المفردات : 149 . مادة (لدد) .
(5) مريم : 97 .
(6) ينظر : التبيان : 854/7 .
(7) البقرة : 204 .

ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام))[1] ، فهو شديد الخصومة عند المخاصمة ، جدل مبطل[2] ، وهي صفات ذم لهذا اللون من الناس .

4 . سلق : السلق في اللغة شدة الصوت ((وسلق لغة في صلق أي صاح، وهو أيضا رفع الصوت عند موت إنسان ، أو عند مصيبة ...وسلقه بلسانه يسلقه سلقا : أسمعه ما يكره فأكثر ، وسلقه بالكلام سلقا : إذا آذاه ، وهو شدة القول باللسان))[3] ، وذكر الراغب[4] في مفرداته أن السلق هو بسط بقهر ، إما باليد أو باللسان ، فاللفظة على هذا يوصف بها جانب الباطل قال تعالى في وصف المنافقين : ﴿إِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾[5] ، أي ((آذوكم بالكلام وخاصموكم بألسنة سليطة ذربة . وقيل معناه : بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة ، يقولون أعطونا أعطونا فلستم بأحق بها منا))[6] .

5 . شاق : المشاقة والشقاق غلبة العداوة والخلاف ، يقال : شاقه مشاقة وشقاقا : خالفه[7] ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[8] ، فهو عداوة وخلاف بين اثنين ، إذ سمي كذلك ؛ لأن كل فريق من فريقي العداوة قصد شقا وناحية غير شق صاحبه[9] .

فهو اختلاف بين جانبين يكون كل منهما في جانب مناوئ للآخر ، ومنه قوله تعالى : ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ

---

(1) التبيان في تفسير القرآن : 179/2 .
(2) ينظر : مجمع البيان : 54/2 .
(3) لسان العرب : 159/10 . 160 . مادة (سلق) .
(4) مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب : 239 . مادة (سلق) .
(5) الأحزاب : 19 .
(6) مجمع البيان : 142/8 ، وينظر : إرشاد العقل السليم : 96/7 .
(7) ينظر : لسان العرب : 183/10 . مادة (شاق) .
(8) الحج : 53 .
(9) ينظر : لسان العرب : 183/10 ، مادة (شاق) .

﴿فِيهِمْ﴾[1] ، أي تكونون في جانب والمسلمون في جانب[2] ، فالله سبحانه وتعالى يخزيهم يوم القيامة ، ويضرب عليهم الذلة والهوان بمخاصمتهم أهل الحق بإيجاد الاختلاف في دين الله[3] ، المؤدي إلى الافتراق[4] .

6 . ألحد : الإلحاد في اللغة : الميل عن القصد ... ولحد إليه بلسانه : مال[5] ، ومنه لحد القبر ؛ لأنه في جانبه بخلاف الضريح الذي في الوسط[6] : وأصل الإلحاد : ((الميل والعدول عن الشيء))[7] ، وقال الفيروزآبادي[8] : ألحد : بمعنى مال ، وعدل ، وماری ، وجادل .

فالإلحاد من العدول عن الشيء ، والجدل ، والمماراة ؛ إذ قال تعالى:﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾[9] ، وقيل : إن اللحد بمعنى الميل إلى جانب ، والإلحاد بمعنى الجدال والمماراة[10] .

7 . حاج : ترد مادة (حاج) في اللغة على (القصد) ، فكل قصد حج ، ثم اختص بهذا الاسم (القصد) إلى البيت الحرام للنسك ...ومن الباب الحجة ، وهي جادة الطريق ، ويمكن أن تكون الحجة مشتقة من هذا ، لأنها تقصد ، أو بها يقصد الحق المطلوب ، يقال حاججت فلانا فحججته أي : غلبته بالحجة ، وذلك الظفر

---

(1) النحل : 27 .
(2) ينظر : مجمع البيان : 148/6 .
(3) الميزان في تفسير القرآن : 233/12 .
(4) ينظر : المصدر نفسه : 312/1 .
(5) ينظر : لسان العرب : 389/3 . مادة (لحد) .
(6) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب : 448 . مادة (لحد) .
(7) النهاية في غريب الحديث : 236/4 .
(8) ينظر : القاموس المحيط : 335/1 .
(9) الأعراف : 180 .
(10) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : 345/8 .

يكون عند الخصومة ، والجمع حجج والمصدر الحجاج))[1] .

((ويفهم من الأصل اللغوي لمادة (حاج) أن الدلالة فيه على معنى القصد ، ليست عامة بل القصد فيها يكون خاصا بالتغلب على الخصم ، بما يعرض له من حجة . فالحجاج لا يكون إلا بين طرفين يقصد كل منهما خصمه بحجة ، يريد بها الظفر عليه وغلبته))[2] .

والفرق بينهما هو أن (المحاجة) تتطلب ظهور الحجة المقتضبة للإقناع و((ما دل به على صحة الدعوى))[3] ، أو ((الاستدلال على صدق الدعوى أو كذبها))[4] ، وهو ما لا يشترط في الجدل ، إذ ((المطلوب بالحجاج ظهور الحجة ، والمطلوب بالجدال الرجوع عن المذهب))[5] .

فالحجاج : إظهار صدق أو كذب دعوى المحاجج، في حين أن الجدل محاولة المجادل تغيير العقيدة والفكر،سواء أظهر حجة أم لم يظهرها ، لأن القصد الدخول في صراع في الرأي من أجل فكرة أو هدف يريد المحاجج إثباته ،((فقد يكتفي فيه المجادل بالإيضاح والأسلوب المؤثر الذي لا يحتاج فيه إلى براهين))[6]

وقد ذكرت إحدى الباحثات فروقا بين الجدل والمحاجة منها أن المحاجة تستمد دلالتها من لفظها ، في حين أن لفظة الجدل تستمد دلالتها من السياق الذي ترد فيه ، فضلا عن أن الحجاج لا يكون إلا بين طرفين بينهما خلاف ، في حين أن الجدل قد يحدث حتى بين طرفين متفقين))[7] .

---

(1) لسان العرب : 48/3 . 51 ، مادة (حاج) ، ومقاييس اللغة :29/2 . 30، وتهذيب اللغة : 390/3.

(2) المحاجة في القرآن الكريم . دراسة دلالية . أطروحة دكتوراه : 7 .

(3) التعريفات ، للجرجاني : 50 .

(4) المعجم الفلسفي : 445/1 .

(5) مجمع البيان : 157/5 .

(6) المحاجة في القرآن الكريم دراسة دلالية : 13 .

(7) المصدر نفسه : 13 .

الثاني : ألفاظ قد لا تدل على باطل

1 . شجر : يقال ((اشتجر القوم : تخالفوا ، ورماح شواجر ومشجرة ومشاجرة : مختلفة متداخلة ، وشجر بينهم الأمر يشجر شجرا ، وشجر بين القوم: إذا اختلف الأمر بينهم))[1] . والشجار والمشاجرة من المنازعة[2] ، وجاءت التسمية من التفاف الشجر وتداخل أغصانه[3] ، فكأن الدعاوى والأقوال اختلط بعضها ببعض))[4] .

قال تعالى في محكم كتابه ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[5] ، إذ هو اختلاف في الأمر فيما بينهم[6] .

2 . نازع : نزع الشيء ينزعه نزعا ، فهو منزوع ونزيع ، وانتزعه فانتزع ، اقتلعه فاقتلع ، ((وفرق سيبويه بين نزع وانتزع فقال : انتزع : استلب ، ونزع : حول الشيء عن موضعه وإن كان على نحو استلاب ، وأصل النزع الجذب والقلع ، ومنه نزع الميت روحه))[7] . وهي ((المجاذبة ويعبر بها عن المخاصمة والمجادلة))[8] .

فالتنازع يعني الاختلاف والجدال بين المتنازعين ؛ إذ ((ينزع كل منهما الآخر عما هو فيه ، والتسليم هو النتيجة))[9] .

وقد لا يكون هذا التنازع بين قوم باطل وقوم حق ، فقد يكون بين قوم الحق أنفسهم ، أي كما قال تعالى : ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[10]،

---

(1) لسان العرب : 394/4 . مادة (شجر) .
(2) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب : 256 . مادة (شجر) .
(3) ينظر : مجمع البيان : 120/3 .
(4) الميزان في تفسير القرآن : 404/4 .
(5) النساء : 65 .
(6) ينظر : إرشاد العقل السليم ، لأبي السعود : 197/2 .
(7) لسان العرب : 349/8 . مادة (نزع) .
(8) مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب : 487 . مادة (نزع) .
(9)الميزان في تفسير القرآن : 93/9 .
(10) النساء : 59 .

فالمخاطبون هنا بهذا الرد هم المؤمنون ، إذ جاء في صدر الآية قوله تعالى ((يا أيها الذين آمنوا)) فالتنازع ورد بين المؤمنين أنفسهم ، وليس مع رسول الله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ؛ إذ لو كانوا كذلك لخرجوا عن الحق وتشبهوا بالقوم الكافرين المجادلين بالباطل . فهو تنازع في حكم الله في القضية المتنازع فيها ((بقرينة الآيات التالية الذامة لمن يرجع إلى حكم الطاغوت دون حكم الله ورسوله))[1] .

فالتنازع قد يكون اختلافا في الآراء واختلاطها[2] ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾[3] .

3 . حاور : ومن المفاهيم القريبة من الجدل ؛ (مفهوم الحوار)، وهو تبادل الكلام ومنه المحاورة وهي : ((مراجعة الكلام في المخاطبة ، تقول : حاورته في النطق وأحرت له جوابا وما أحار بكلمة))[4] .

فهو أسلوب من أساليب القرآن الكريم يقوم على ((المراجعة في الكلام بين المتكلم ومحاور له ، أو بين أكثر من ذلك ، إذ يتعاقب الأشخاص على الإرسال والتلقي))[5] ، وله موضوع معين ، وهدف محدد ، إلا أنه لا يتحدد بالخصومة أو الصراع الفكري والعقلي ، كما في الحال في الجدل ، لذا فليس كل حوار جدلا . والدليل على تباين المفهومين ورودهما في آية واحدة في قوله تعالى ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[6] . فقد وردت لفظة (الجدل) في المقام الأول وهو مقام خصومة مع زوجها

(1) الميزان في تفسير القرآن : 389/4 .
(2) ينظر : إرشاد العقل السليم : 25/4 .
(3) طه : 62 .
(4) تهذيب اللغة ، الأزهري : 727/5 ، مادة (حور) .
(5) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، سعيد علوش : 78 .
(6) المجادلة : 1 .

على نية مضاف معلوم من المقام أي (تجادلك في زوجها)[1] ، في حين وردت لفظة (حوار) في المقام الثاني ، وهو ليس مقام صراع ، إذ إن المقام مع الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)[2] .

وقد ترد معاني الجدل في ألفاظ أخرى عن طريق الكناية كقوله تعالى (ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ)[3] ، إذ أمر الله سبحانه وتعالى برفع اليد عنهم وتركهم وما هم فيه من الباطل ((وهو كناية عن النهي عن الجدال معهم والاحتجاج عليهم لإثبات هذه الحقيقة ، وهي أنهم سوف يودون الإسلام ويتمنونه ، ولا سبيل لهم إلى تحصيله وتدارك ما فات منه ...أي ذرهم ولا تجادلهم ولا تحاجهم فلا حاجة إلى ذلك لأنهم سوف يعلمون ذلك فإن الحق ظاهر لا محالة))[4].

(1) ينظر : التفسير الكبير : 251/29 ، وينظر : أسلوبية الحوار في القرآن الكريم : أطروحة دكتوراه ، رسول محمود الدوري ، كلية الآداب ، جامعة بغداد : 8 .

(2) ينظر : أسلوبية الحوار في القرآن الكريم ، أطروحة الدكتوراه : 9 .

(3) الحجر : 3 .

(4) الميزان في تفسير القرآن : 97/12 .

الفصل الثانـي

المستوى الصوتي للبنـية الجدلية وإيحاءاتها

المبحث الأول : الفاصلة

المبحث الثاني : النبر

المبحث الثالث : التكرار والتوازي

المبحث الأول

الفاصلة

الفاصلة

هي اسم مشتق من قولهم فصل الشيء فصلا ، والفصل لغة ((بون ما بين الشيئين ، والفصل من الجسد موضع المفصل ، وبين كل فصل ، والفاصلة : الخرزة التي بين الخرزتين في النظام ، وقد فصل النظم ، وعقد مفصل : أي جعل كل لؤلؤ بين خرزة))[1] .

أما في الاصطلاح فقد عرفها الرماني بأنها ((حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني)) وأن الفواصل بلاغة والأسجاع عيب ، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها))[2] . بل أن الباقلاني جعل من الفاصلة نظاما أساسيا في الإعجاز البياني وبأنها (نسيج وحده)[3] .

وقد اختصت لفظة الفاصلة بإطلاقها على الكلمات الأواخر للآيات القرآنية[4] ، وان اختلفت عنها في أنها لا تأتي اعتباطا ، ولا تخضع للضرورات التي يخضع لها الشعر ، وسميت كذلك لأنها ينفصل عندها الكلامان ، إذ إنها تفصل ما بين الآية والتي بعدها ، وقد أرجع بعضهم هذه التسمية إلى قوله تعالى : ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾،استنادا إلى لفظة ((فصلت))[5] .

وتتسم الفاصلة بموسيقية أي (جرس وإيقاع) لها أثرها في أذن السامع ، فضلا عن ارتباطها الوثيق بالمعنى الذي كثيرا ما توحي به ، إذ لا تعد الفاصلة ((أداة أو

---

1) لسان العرب مادة (فصل) : 521/11 .

2) النكت في إعجاز القرآن ، الرماني : 97 – 98 .

3) ينظر : إعجاز القرآن: 57، والجرس والإيقاع في تعبير القرآن : 352 .

4) ينظر : الإتقان في علوم القران ، السيوطي : 2 / 97 .

5) ينظر : الفاصلة القرآنية ، عبد الفتاح لاشين : 6 ، والآية في سورة هود : 1.

وسيلة تابعة لشيء آخر ، بل هي عامل مستقل ، صورة تضاف إلى غيرها وهي كغيرها من الصور لا تظهر وظيفتها الحقيقية إلا في علاقتها بالمعنى))[1] ، على أساس فرضية أسلوبية تؤكد أن لا قيمة للصوت بذاته ، وإنما في طرق توظيفه خدمة للنص[2] .

ولهذا نجد أن القرآن الكريم قد عني بفواصل الآيات الكريمة ، لما لها من أثر ((في إحداث التأثير النفسي والوجداني المطلوبين في بدء الدعوة الإسلامية خاصة ، لأنها أكدت أول ما أكدت أصول الدين والعقيدة))[3] . فجاءت الفاصلة في القرآن منوعة بحسب الموقف الذي يستدعيه ويعبر عنه السياق . ((وبذلك يرتبط هذا في تصوير القرآن لموقف تصوير يتناسب مع طبيعة الموضوع))[4] .

والأصل في الفاصلة أنها وقفة ،إذ إن المفصل هو ((الوقفة تماما))[5]، وفي هذا يقول الزركشي (ت794 هـ): ((أن مبنى الفواصل على الوقف ، ولهذا شاع مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس ،وكذا المفتوح والمنصوب غير المنون))[6] .

وقد قسم البلاغيون الفاصلة القرآنية اعتمادا على حرف الروي الخاص بها ووزنها إلى ثلاثة أقسام ، فان اشتركت فاصلتان فأكثر في حرف الروي أو الوزن فإنهما من (المتوازي) ، وأما إذا اتفقتا في الوزن فقط فهما من (الموزون) ، فإن اتفقتا في الروي دون الوزن فهما من (المطرف)[7] .

ومنهم من نظر إلى العلاقة بين الفاصلة وقرينتها ، فوضع لها في ضوء ذلك مصطلحات فنية منها : (التمكين) ،و(التصدير)، و(الإيغال)، و(التوشيح)[8] .

---

1) بنية اللغة الشعرية جان كوهن : 74 .

2) ينظر : شعر صلاح عبد الصبور دراسة أسلوبية ، رسالة ماجستير : 62 .

3) الجرس والإيقاع في التعبير القرآني : 35 .

4) التصوير الفني في القران ، سيد قطب : 86 .

5) ينظر : أقنعة النص ، سعيد الغانمي : 74 .

6) البرهان في علوم القران : 69/1 .

7) ينظر : المصدر نفسه : 75/1 ، وينظر الفاصلة القرآنية : 19 .

8) ينظر : الفاصلة القرآنية : 39 – 42 .

وهناك دراسات تناولت الفاصلة على أساس البنية المقطعية[1] ،وقد اخترت هذا المنهج لدراسة فاصلة البنية الجدلية في القرآن ، لما لهذا المنهج من ميزة بيان روعة الفاصلة الجدلية بشكل أوضح .

والبنية المقطعية هي ((مجموعة من الأصوات المفردة تتألف من صوت طليق واحد معه صوت حبيس فأكثر))[2] ، وتقسم المقاطع العربية إلى ستة :

1- المقطع القصير ويتكون من : صامت + مصوت قصير

مثل : كَ ، تَ ، بَ

2- المقطع الطويل المفتوح ، ويتكون من : صامت + مصوت طويل

مثل : ما ، في

3- المقطع الطويل المغلق ، ويتكون من : صامت + مصوت قصير + صامت

مثل : قد ، لم

4- المقطع المزيد ، ويتكون من : صامت + مصوت طويل + صامت

مثل : باب ، قال

5- المقطع المديد ، ويتكون من : صامت + مصوت قصير صامتان

مثل نهر ، بحر .

6- المقطع المتمادي ، ويتكون من : صامت + مصوت طويل + صامتان

مثل : سار ، شاب

ولهذا ستكون دراسة الفاصلة بحسب مقاطعها الأحادية ، والثنائية أو الثلاثية ، والرباعية ، والخماسية .

1) ينظر على سبيل المثال (سورة القيامة دراسة أسلوبية) :9 .

2) تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص ، محمد مفتاح : 45 – 46 .

1- الفاصلة الأحادية المقطع

وردت الفواصل الأحادية المقطع في البنية الجدلية قليلة جدا ، قياسا إلى سائر فواصل البنية الجدلية ، وذلك لما يحتاج إليه الجدل ، والنقاش ، وعرض الفكرة للاستدراج ، والإقناع من نفس أطول ، وصبر أكبر .

ومن الفواصل الأحادية المقطع ما ورد في قوله تعالى ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[1] إذ تشكلت الفاصلة في التعبير أحادية المقطع (طين) على الوجه الآتي :

صامت + صائت طويل + صامت

وهو تكوين المقطع المزيد . وهذا التشكيل المقطعي يتناسب وسياق المعادلة الظنية من إبليس الذي أمر بالسجود لآدم بعد خلقه ، مجادلا خالقه . عز وجل . جدال عنت وجهل ، ووضع لا يرتضى الجدال فيه ، وإنما كان عليه الإطاعة والانقياد حين أمر بالسجود لآدم تكريما له ، وليس سجود عبادة .

وقد أفصحت الفاصلة (طين) عن خطأ هذه المعادلة التي وضعها إبليس نتيجة لاعتقاده هو نفسه ، من خلال الإيقاع والجرس مقارنا بـ (النار) التي خلق منها ، فجرس المقطع المزيد (طين) ألقى بضلال الثبوت ،والرزانة،والأناة ،والحلم بتتابع صوتي (الياء) ، وهو صوت لين مجهور[2] ،ثم صوت (النون) ،وهو صوت متوسط الجرس يتسم بالغنة[3] ،إذ إنه من الأصوات ((التي تستعمل استعمالا سلسا، وتبين بيانا غير مستكره، وتحس حسا غير مستبشع))[4] .

وفي الوقت نفسه أوجد هذا التتابع بين الصوتين نسقا إيقاعيا داخليا ينسجم وطبيعة تفكر إبليس ؛الذي احتج به على زعمه بأفضليته على آدم (عليه السلام).

---

1) الأعراف : 12 .

2) ينظر : الأصوات اللغوية ، عبد القادر عبد الجليل : 176 .

3) ينظر : اللهجات العربية في التراث ، د. احمد علم الدين الجندي : 105 .

4) كتاب الموسيقى الكبير للفارابي : 1074 ، وينظر : الجرس والإيقاع في تعبير القرآن : 355 .

وذلك بالتغاير بين صوتي المقطع المزيد (الألف) في (نار) ، و(الياء) في (طين) ، فضلا عن وجود النون الذلقية والراء ذات التردد العالي في (نار) ذلك كله أوجد جرسا خفيفا ، وسريعا ، يتساوق ، والخفة ، والطيش ، والارتفاع علوا في جوهر النار ، كما لاحظ ذلك الطبري[1] إلا أن ثقل الطاء المطبقة وشدتها في الفاصلة (طين) من جهة ، والنون المستعلية ذات الجرس الفخم الرنان[2] ، رجح كفة الطين على النار في الأفضلية .

فالفاصلة (طين) بإيقاعها وجرسها رسمت الاعتقاد الشيطاني ، وأوضحت كذلك خطأ اعتقاده .

ومن الفواصل الأحادية المقطع المتصلة بموضوع الوحدانية (هاد) و (واق) في قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾[3].

ففي السياق الجدلي لقضية الوحدانية ((والقول في اهتداء المهتدين وضلال الضالين والمقايسة بين الفريقين وما ينتهي إليه عاقبة أمر كل منهما))[4] تأتي هاتان الفاصلتان (هاد)، و(واق)، لتتضافرا في رسم المعنى في ذهن المتلقي ، من خلال الجرس الذي توحي به بأصواتها ، فعدم الهدى وإصابة الحق ، وغياب الحماية،والشفاعة ، ترسمهما أصوات الفاصلتين ، فالجرس الشديد المتمثل بحرف الروي في الفاصلتين وهو (الدال) و(القاف) ، الذي ختمت به الفاصلتان على الرغم

1) ينظر : جامع البيان : 8 / 170 .

2) ينظر : اللهجات العربية : 727 .

3) الرعد : 33 – 34 .

4) الميزان في تفسير القرآن : 17 / 254 .

من ابتداء الأولى (هاد) بصوت رخو ، مهموس ، رقيق ، وهو الهاء[1] ، أما الفاصلة (واق) فقد بدأت بصوت لين ، يجمع بين السهولة ، واليسر في التحقيق الصوتي وهو (الواو)[2] ، إلا أن انتهاء الفاصلتين بصوتي القلقلة (الدال والقاف) منح الإيقاع شدة وقوة ، من حيث إن حروف القلقلة ((ترتكز في إنتاجها على جوانب الشدة والانفجار المصاحبين لإنتاجها))[3] ، فضلا عن أن (الألف) في وسط كل من الفاصلتين منح دلالة الاتساع في الإبعاد من هداية الله سبحانه وتعالى، وغياب من يقيهم من عذابه إذا وقع ، إذ ترسمه الألف بتشكيلها الأدائي ، إذ يتسع مخرجها لهواء الصوت أشد اتساع ، مقارنة ببقية الأصوات[4].

2- الفواصل الثنائية المقطع

حققت الفاصلة الثنائية المقطع ظهورا أوسع من الفاصلة الأحادية المقطع في البنية الجدلية ، إذ تمكنت من رسم المعنى الجدلي ، وتحقيقه من خلال مقاطعها وأصواتها ، كالذي في قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ * وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾[5] .

1) ينظر : الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل : 183 .

2) ينظر : المصدر نفسه : 157 .

3) الأصوات اللغوية : 278 .

4) ينظر : المصدر نفسه 280 .

5) هود : 62 – 64 .

فقد اتسمت الآيات بإيقاع سريع لقلة عدد مقاطع الفواصل ويلحظ هنا على المقاطع انتقالها من القصير إلى المزيد ، ما عدا الفاصلة الثانية التي انتقلت من الطويل المغلق إلى المزيد وذلك يتمثل بالآتي :

مـ / ريب : قصير + مزيد

تخـ / سير : طويل مغلق + مزيد

قـ / ريب : قصير + مزيد

وفي هذا دلالة على سرعة الوقوع في الأمر ، ثم الغلو فيه ، فالفاصلة الأولى (مريب) بمقطعها القصير / مـ / قد صورت سرعة الوقوع في الريبة ، ثم المقطع المزيد الذي أشار إلى غلوهم في الارتياب ، إذ لم يكتفوا بتشكيكهم بدعوة نبيهم لإبعاد قومهم عنه ، بل أرادوا تراجعه هو نفسه عنها ، وذلك بإثارة جانب الكرامة الاجتماعية في نفسه (عليه السلام) ، والإيحاء إليه بأن هذه الدعوة قد أفقدته مركزه لديهم ، وثقتهم به ، واعتمادهم عليه ، ليكون ذلك حافزا له على التراجع عنها[1] . ولهذا لم يكتفوا بقولهم :(وإننا لفي شك مما تدعونا إليه) بل ختموا ذلك بالفاصلة (مريب) ؛ ليتضح المعنى ويكتمل ؛ إذ إن الريبة هي الشك ((إلا أن مع الريبة تهمة للمعنى ليست في نقيضه))[2] .

وفضلا عن ذلك فإن الدلالة اللفظية تتسق مع الدلالة الصوتية لتحقيق المعنى المراد ، فصوت الميم المجهور مع الراء ذي التردد العالي المجهور ، ثم الانخفاض بصوت اللين الطويل الياء ، ثم التوقف عند الباء الانفجاري الشديد ، منح اللفظة جرسا فخما ، يلائم فظاعة تفكيرهم في رد الدعوة .

وهذا يصدق أيضا على الفاصلة الثالثة (قريب) ، التي صورت وقوعهم في عذاب الله سبحانه بتكذيبهم نبيهم ، وعقرهم ناقة الله . فوردت أصوات الفاصلة متواشجة ، ووقوع الصاعقة التي تنزل بهم[3] ، وقد صور ذلك صوت (القاف)

---

1) ينظر : الحوار في القرآن : 244 .

2) التبيان في تفسير القرآن : 6 /170 .

3) ينظر : زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج جمال الدين ابن الجوزي القرشي : 100/4 .

الانفجاري[1] ، بل إن انتهاء الفاصلة بصوت انفجاري شديد آخر وهو (الباء) أسهم في تصوير إحاطة العذاب بهم من كل جانب .

أما الفاصلة (تخسير) فمثلت الرد على الحجج الواهية التي ساقها المشركون لرفض دعوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)[2] وقد ناسب ذلك ورودها بمقطع طويل مغلق ممتد ومزيد ، أي بإيقاع أطول . فالزمن الذي تنطق بها هذه الفاصلة أطول من الفاصلتين الأخريين (مريب وقريب) ، فضلا عن كونها تمثل الامتداد الطبيعي لهما ، فمن وقع في الريبة سيناله العذاب القريب الذي بشرهم به نبيهم وكلاهما خسارة ، إذ فسر التخسير بأنه النقصان[3] والإهلاك[4] ، والمادة اللغوية تدل على ذلك ، إذ هي من خسر يخسر خسارة وخسرانا ، ويمكن رسم مخطط يوضح هذا الامتداد المؤدي إلى النقصان بالآتي : .

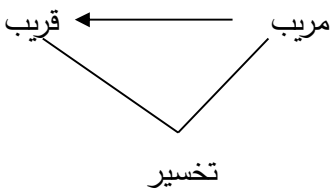

ولتصدر صوت (التاء) الشديد المهموس[5] في أول الفاصلة دلالة على المبالغة في الخسارة التي تصيبهم ، فضلا عن وجود (السين) الصفيرية التي تنشأ من ضيق المجرى عند مخرج الصوت[6] والصفير ((حدة الصوت ، كالصوت الخارج من ضغط ثقب))[7] .

---

1) ينظر : الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل : 179 .

2) ينظر : الميزان في تفسير القران : 312/10 .

3) ينظر : زاد المسير : / 98 .

4) ينظر : لسان العرب:239/4 ،مادة (خسر) وينظر مجمع البحرين ، للطريحي:646/1 .

5) ينظر : الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل : 161 .

6) ينظر : المصدر نفسه : 164 .

7) مخارج الحروف وصفاتها ، ابن الطحان الأشبيلي :94 .

وقد أحيطت (السين) بصوت (الخاء) الاحتكاكي من جهة ، إذ يشعر بتشكيله الأدائي بالصعوبة في نطقه ؛ ذلك أنه ((يرتفع الجزء الخلفي من ظهر اللسان ، وهو في رجوع شديد إلى الوراء باتجاه الحنك اللين (أو الطبق) على مستوى اللهاة ،بحيث يكاد يلتصق بها وبحيث يكون هناك فراغ ضيق يسمح للهواء المزفور بالمرور بصعوبة))[1]

ومن جهة أخرى ، فإن صوت الياء المجهور الممدود ، القريب من نطق الكسرة ، يجعله أقرب إلى الأصوات الاحتكاكية[2] ، وهذا يزيد من ضيق مجرى الهواء ، الأمر الذي يؤدي إلى علو الصفير ووضوحه ، تصويرا لعظم الخسارة .

ومن الفواصل الثنائية المقطع ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا * أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾[3]

فقد تشكلت مقاطع الفواصل على الوجه الآتي :

عز / زا

ضد / دا مقطع طويل مغلق + مقطع طويل مفتوح

أز / زا

وقد أحدث التماثل المقطعي للفواصل ، والتماثل الفونيمي في نهاية المقطع الثاني من الفواصل وهو (الألف الممدودة) ،إيقاعا متوازيا ، بحيث لا يشعر القارئ لها بأي انزياح أو انحراف إيقاعي،وكأنها ((موزونة بميزان شديد الحساسية))[4]. فالإيقاع في الفواصل يأتي مسترسلا ، إلا أن النسيج الكامن في كل فاصلة من هذه الفواصل خلق موسيقى داخلية توازي هذا الإيقاع الخارجي للفواصل ، مفصحة عن

1) علم الأصوات العام : 125 .

2) ينظر : المصدر نفسه : 138 – 139 .

3) مريم : 81 – 83 .

4) التصوير الفني في القرآن : 90 .

دلالاتها . والموسيقى الداخلية خلقها أولا التغاير في النوع المقطعي بين المقطعين في الفاصلة الواحدة ، فقد ورد المقطع الأول طويلا مغلقا ، والمقطع الثاني طويلا مفتوحا . فضلا عن أن وجود صوت الكسرة في المقطع الأول من الفاصلتين الأولى والثانية ثم الألف الممدودة في المقطع الثاني ، قد أحدث تصاعدا نغميا يتسق مع الانغلاق والانفتاح اللذين في المقطعين ، وهذا بدوره يتسق مع الدلالة التي أحدثتها الفاصلة بالانتقال من حال إلى حال .

فالعز الذي رجوه من آلهتهم التي يعبدونها ، بشفاعتها ونصرتها لهم[1] ، قد استحال إلى عداوة ، إذ إن آلهتهم التي أرادوها عزا لهم ، صارت عدوا لهم تخاصمهم ، وتكذبهم[2] .

وقد تضافرت أصوات الفاصلتين المتضادتين معنويا ، وهما : (عزا) ، (ضدا) ، لتصوير هذا التحول والانتقال . فبعد أن كانت أصوات الفاصلة الأولى ذات جرس رخو رقيق (العين والزاي)[3] ، تأتي الفاصلة الثانية بأصواتها الانفجارية المجهورة فـ (الضاد) بما فيه من ثقل واستعلاء[4] ،يتعاضد و(الدال) الشديد الجرس، ليرسم التضاد بين ما كانوا يأملونه من العزة ،والخصومة والعداوة التي سيلاقونها.

ولم يتوقف جزاؤهم عند هذا الحد ، بل وردت الفاصلة الثالثة لتصور لهم زيادة ألمهم التي سببتها لهم هذه الآلهة التي أرادوها عزا لأنفسهم ، بتحريك الشياطين لهم ((بإزعاج نحو ما فيه شقاؤهم وليسوا مع ذلك مطلقي العنان ، بل إنما هو بإذن من الله يسمى إرسالا))[5] .

وقد نتج فعل التهييج ، والتحريك ، والإزعاج للتحريض من تضافر على اتباع الباطل ،بتضعيف (الزاي) مما أدى إلى وجوده في المقطعين ،وهذا منحه مدة زمنية

---

1) ينظر : جامع البيان : 155/16 .

2) ينظر : مجمع البيان : 6 / 448 ، والميزان في تفسير القرآن : 14 / 108 .

3) الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل : 163 ، 180 .

4) المصدر نفسه : 272 .

5) الميزان ي تفسير القرآن : 109/14 .

أطول في نطقه ، وبما فيه من جهر ، إذ يعد (الزاي) من الأصوات الصفيرية التي تمتاز بقوة الاحتكاك لضيق منفذ خروج الهواء معها[1] .

وقد عمد في الفاصلة (أزا) إلى عملية استبدال صوت بآخر ، يتضادان في الصفة، مما نقل الفعل من مجرد التحريك إلى عملية تحريك بشدة حين أبدلت (الهاء) (همزة) فمع أن الأز والهز بمعنى عام واحد ، إلا أن بينهما فارقا دلاليا أحدثه الاستبدال الصوتي ؛ إذ (الهاء) صوت رخو ، استبدلت به الهمزة التي هي صوت شديد ، فضلا عن أنها تحتاج في نطقها إلى جهد عضلي يزيد على ما يحتاج إليه صوت آخر ، مما يجعلها تعد من اشد الأصوات نطقا وأشقها[2] . ولذا روي أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ((كان يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل))[3] .

ومن الفواصل الثنائية المقطع ما ورد في قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[4].

فالفواصل تتجاذب في هذه الآيات الكريمة بين موقفين جدليين هما موقف إنكار المعاد والبعث ؛ وموقف تأكيد هذا الحدث الدال على القدرة الإلهية بأيسر دليل وأقواها وقد تشكلت هذه الفواصل على الوجه الآتي :

مـ / بين

ر / ميم مقطع قصير + مزيد

ء / ليم

1) ينظر : الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل : 163 .

2) ينظر : الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس : 78 .

3) مفردات الفاظ القرآن : 12 ، مادة (أز) .

4) يس : 77 – 79 .

فلم يحدث تغاير في نوع المقاطع ، على الرغم من اختلاف الموقف ، وهذا يدل على موازاة المواجهة بالقوة والتحدي أنفسهما أي أن كل فاصلة اتسقت بنسق يختلف في مفهومه عن الآخر .

وعلى الرغم من تماثل المقاطع بين الفواصل ، إلا أن اختلاف الأصوات التي تألفت منها وردت متغايرة ، ولاسيما في المقطع الأول ؛حيث (الميم، والراء، والعين) . وما هذا التغاير الصوتي إلا لتغاير الموقف والحدث . فالفاصلة الأولى وردت لتعبر عن موقف الإنسان المجادل الخاصم لربه بلسانه وبنطقه[1] ، فكانت أصوات الفاصلة تمثل هذا النطق والبيان من خلال الصوتين الشفويين (الميم والياء) ، ومن خلال (النون) ، التي تتميز بالوضوح السمعي ؛ إذ تعد من أوضح الأصوات الصامتة في السمع[2] ، فضلا عن أن جميع أصوات الفاصلة (مبين) تهتز الأوتار الصوتية عند النطق بها[3] .

أما البيان الذي احتواه هذا المنطق ، فقد رسمتها أصوات اللفظة بجرسها السلس الجميل ، المتأتي من غنة الميم ، وصوت اللين الطويل (الياء) ،ثم ذلاقة النون وغنتها، التي منحت الفاصلة جرسا تنغيميا تطريبيا يتناسب وسلاسة البيان الذي يوصف به النطق المبين . وأما فخامة هذا البيان فقد صورته الأصوات الأربعة (الميم،والباء ،والياء ،والنون)،إذ جميعها مجهوره متسقة من هذا الجانب ، والدلالة التي تعمل الفاصلة على تصويرها ورسمها ، هي أن يبين المخاصم ((لمن سمع خصومته وقيله))[4] .

وقد أوحت مقاطع الفاصلة بالمعنى إيحاء ، فبعد أن كان الإنسان شيئا لا يذكر في عالم الغيب مهينا ، هو مخاصم يجادل في الخلق . فالانتقال من المقطع القصير إلى المزيد يصور انتقال الإنسان من حال إلى حال .

---

1) ينظر : جامع البيان : 9 / 272 .

2) ينظر : الأصوات اللغوية د . عبد القادر عبد الجليل 173 .

3) المصدر نفسه : 17 ، 273 .

4) جامع البيان : 23 / 39 .

وقد تمركزت بؤرة الجدل في الفاصلة الثانية (رميم) ، إذ ضرب المجادل مثلا . في ظنه . على صعوبة إعادة الخلق من العظم البالي ؛ نتيجة لصعوبة الإعادة والمعاد[1] في تصوره الخاطئ القاصر ، المعزول عن إدراك القدرة الإلهية المتصرفة في الكون .

ولم تتوقف صعوبة الخلق عند المجادل بالعظم البالي حسب ، وإنما اختصت بالعظم البالي المسحوق والمهشم ، إذ رسمت الفاصلة عملية تفتيت العظام المجادل بها من خلال (الراء) في المقطع الأول من الفاصلة ، وهو صوت تكراري[2] ، إذ يرتعد اللسان عند النطق به عدة مرات ((عدها البعض من 2 – 4 ذبدبات))[3] ، قبل الانتهاء من نطقه ، وكأنه يصور عملية البدء بسحق هذا العظم وضربه ، إلا أن مجيئه بمقطع قصير يدل على عدم احتياج هذا العظم إلى أكثر من هذه الضربات ليسحق سحقا،وإنما ضربة واحدة يمكن أن تفتته وذلك لبلوه. ويصور المقطع الثاني (المزيد) عملية تفتيته من خلال الأداء التشكيلي لهذا الصوت صور سحق هذا العظم ،إذ يتكون الميم عند نطقه ((بانطباق الشفتين بشكل تام بوجه التيار الهوائي المندفع من الرئتين ، حيث يحبس في موضع من الفم خلف الشفتين ويخفض الحنك اللين ، فيأخذ الهواء مسراه عن طريق الأنف))[4] .

ثم ينتقل مباشرة إلى صوت الياء ويحدث معها انفراج في الشفتين ، ثم يعود صوت الميم لتنطبق الشفتان ثانية ، وكأن هذه الأصوات تصور عملية التفتيت والسحق وكأنها تجري أمام العين ، تماما كما حدث في الواقع ، إذ يذكر أن احد المشركين جاء بعظم بال وفتته أمام النبي الكريم (ص) جدالا[5] .

أما الفاصلة الثالثة (عليم) فوردت في سياق مجادلة النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) لهؤلاء المنكرين للمعاد لتنبئ عن علمه سبحانه بكل جنس من

---

1) ينظر : مجمع البيان : 8 / 291 ، والميزان في تفسير القرآن : 17 / 111 .

2) ينظر : الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل : 175 .

3) المصدر نفسه : 175 .

4) المصدر نفسه : 175 .

5) ينظر : مجمع البيان : 437/6 .

أجناس الخلق[1] .

وامتاز المقطع الأول القصير بحرف العين ، ليعبر عن قوة المجابهة والثقة بالمواجهة ؛ إذ يعد (العين) من أنصع الأصوات جرسا[2] . أما المقطع الثاني فتميز بصوت (اللام) الذي يعد من أكثر الأصوات وضوحا في السمع ، قياسا بسائر الأصوات[3] ، فعبر اللام عن الكلية لهذا العلم .

3- الفواصل الثلاثية المقاطع

سجلت الفاصلة الثلاثية المقاطع في البنية الجدلية نسبة عالية من التعبير . ولعل استعمال القرآن الكريم للكلمات الثلاثية من الأفعال ، والأسماء ، مجردة ، ومزيدة . بشكل كبير . هو الذي يبين سبب كثرتها[4] .

ومن الفواصل الثلاثية ما ورد في قوله تعالى في جدل هود (عليه السلام) مع قومه الذين ملئوا عصيانا وتمردا ، إذ قال سبحانه في كتابه العزيز : ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ * يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلا تَعْقِلُونَ * وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾[5] .

فوردت الفواصل مكملة لدعوة النبي هود (عليه السلام) لقومه ، بعد أن تمكن من معرفة مكمن الإحساس في كيانهم وواقعهم ، إذ كان النقص لديهم في الماء

1) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : 8 / 476 .
2) ينظر : الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل : 173 .
3) ينظر : المصدر نفسه : 174 .
4) ينظر : صفاء الكلمة : 13 .
5) هود (50 – 52) .

النازل من السماء ، وذهاب هيبتهم ، فضلا عن غرورهم وزهوهم بقوتهم التي كانت لهم[1] فالتشكيل المقطعي لهذه الفواصل هو الآتي :

مفـ / تـ / رون

تعـ / قـ / لون طويل مغلق + قصير + مزيد

مجـ / رـ / مين

فورد البناء المقطعي لهذه الفواصل متوازيا مع المعنى الذي قصدت الآيات التعبير عنه ، وهو إيقافهم عند الحد الذي وصلوا إليه ، ونقلهم إلى حال أخرى ترتضيه لهم على لسان هود (عليه السلام) ، لذلك نجد أن الفاصلة تنوقلت بين اللين والشدة في مقاطعها وأصواتها ، فكان المقطع الأول من الفواصل الثلاث طويلا مغلقا ، على حين ورد مزيدا في مقطعها الثالث (رون / لون / مبين) ، بل إن أصوات الفاصلة تواشجت مع المقاطع ؛ لتعطي الدلالة الواضحة لهذه الفاصلة . إذ نجد أن المقطع الأول من الفواصل الثلاث عبر بأصوات أغلبيتها مجهورة متوسطة وهي (الميم ،والعين)، ماعدا (الفاء) ، و(التاء) اللذين كانا مهموسين مرققين .

والمقطع الأول هو أول ما يواجه السامع ، فكانت الفاصلة الأولى بمقطعها الأول ، أول ما يطرق أذن السامع ، وكانت بين الجهر والهمس تعاضدا مع أسلوب الدعوة الذي اعتمد الشدة واللين .

واعتمد المقطع الثاني الأصوات الانفجارية الشديدة ، وهما :(التاء ، والقاف) اللذان عبرا عما هم فيه من الافتراء وعدم التعقل ، إلا أن هذا الاعتماد على الأصوات المجهورة والانفجارية في المقاطع قابله الاعتماد على أصوات الاستفال[2] وهي (الجيم ، والميم، والفاء، والتاء، والعين، والواو، والنون) ؛ وهي صفة ضد الاستعلاء[3] . وهذا يتسق وموقف النبي هود (عليه السلام) ، في حكمة أسلوبه في

1) ينظر : الحوار في القرآن الكريم : 237 .

2) هو انخفاض اللسان والصوت عند النطق بها إلى قاع الفم ، ينظر : الأصوات اللغوية ، عبد القاهر عبد الجليل : 273 .

3) ينظر : المصدر نفسه : 273 .

الجدل الذي يجمع بين القوة واللين ؛القوة في التعبير عن رأيه وعقيدته، واللين في عرضه للفكرة بأسلوبه .

وقد ورد جدلهم له في قوله تعالى : ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾[1] .

فالفاصلتان تتشكلان مقطعيا بالوجه الآتي :

تشـ / ر / كون

تنـ / ظ / رون طويل مغلق + قصير + مزيد

فالمقطع الأول من الفاصلتين (تشـ) و(تنـ) بدأ بصوت انفجاري شديد هو (التاء)،وقد ورد ذلك مناسبا لما يتطلبه موقف النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) مما واجهوه به من الإنكار لحجته من غير حجة ، ورفض لدعوته ، وذلك لاستضعافهم له ولقوله،بل إنهم رموه بالمس في عقله بسبب مهاجمته لآلهتهم ، حتى وان اقترنت (بالتاء) أصوات ليست شديدة حيث (النون والشين) المتوسطتان، إلا أنها حافظت على قوتها من حيث إن (النون) صوت مجهور ،والشين صوت احتكاكي.

أما المقطع الثاني من الفاصلتين فاتسم بغلبة الأصوات القوية ، وهما صوتا الراء ،والظاء ، فالراء صوت مجهور ، والظاء صوت مطبق[2] ، وهو مستعل ، والاستعلاء من صفات القوة[3] .

ونجد أن المقطع الأول الطويل المغلق ورد موازيا للدلالة التي في كلام النبي هود (عليه السلام) التي حققتها الفاصلة (تشركون) إذ كان رده . في بدايته . إغلاقا للحوار بإعلانه البراءة من شركائهم . بشهادة الله وشهادتهم . ليكون ذلك حدا فاصلا بينه وبينهم في نهاية الجدال .

---

1) هود : 54 . 55 .

2) الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل : 175 .

3) ينظر : المصدر نفسه : 272 .

أما أصوات المقطع المزيد من الفاصلتين ، وهما (كون)،(رون)، متمثلا بصوتي (الكاف)،و(الراء) فقد أعلنت مواجهتها لأسلوب الاستضعاف واللامبالاة به، بأسلوب القوة متمثلا بصوت الكاف الانفجاري ، ومن ثم الاستهانة بكل ما يمثلون من قوة بتحديه إياهم بأن يكيدوه ويهاجموه جميعا بأسلوب المواجهة القوية متمثلا بصوت الراء المطبق ذو الوضوح السمعي[1] .

ومن الفواصل الثلاثية المقطع ما ورد في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً * انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً * تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً * بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً * إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً﴾[2] .

فالتشكيل المقطعي لفواصل الآيات هو على الوجه الآتي :

نـ / ذيـ / را قصير + طويل مفتوح + طويل مفتوح

مس / حو / را طويل مغلق + طويل مفتوح + طويل مفتوح

سـ / بيـ / لا

قـ / صو / را

سـ / عيـ / را قصير + طويل مفتوح + طويل مفتوح

ز / فيـ / را

ثـ / بو / را

1) ينظر : الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل : 66 ، وعلم الأصوات : 118 .

2) الفرقان : 7 – 12 .

نستطيع أن نقسم البنية الجدلية للفواصل على قسمين : أحدهما يتضمن فاصلتين للمجادلين ، الذين ينفون اقتران النبوة بالبشرية ، وثلاث فواصل وردت ردا على إنكارهم ويمكن أن نبين ذلك بالمخطط الآتي :

نذيرا + مسحورا ـ قصورا + سعيرا + زفيرا + ثبورا

اما الفاصلة المتوسطة الحالين (سبيلا) فقد استطاعت أن تكون الحاجز بينهما برسمها حدود كل من الجانبين ؛ إذ رسمت حدود المنكرين للنبوة من خلال التغاير الفونيمي الحاصل في المقطع الثالث لها (اللام + الألف) من جهة ، لتدل به على أنه إنكار ممتد في أعماقهم لا رجعة لهم منه . وقد أكد ذلك إطلاق الألف فضلا عن المقطع الطويل الذي احتواهما ، فهم قد ضلوا بما قالوا ضلالا ((لا يستطيعون معه أن يردوا سبيل الحق ولا يرجى لهم معه الاهتداء))[1] .

فلو كتبنا الفاصلة بشكل آخر بحسب دلالة المقطع الأخير لكان الآتي (سبيل + لا ـ لا + سبل) فهي لام مفخمة لأنها مفتوحة ، أما الجانب الثاني وهو جانب الرد على إنكارهم ، فقد استطاعت الفاصلة (سبيلا) أن تحسم موقف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إزاء هذا الجدل ، بالإفصاح عن أنه لا جدوى من جدالهم بطريقتهم نفسها للاحتجاج بصحة نبوته ، بل الجدوى برسم طريق أخرى في طريقة الجدل ، وذلك ببيان قدرة الله سبحانه بإعطائه رسوله قصورا وجنات تجري من تحتها الأنهار ، ردا عليهم . وهذا صوره صوتا (اللام،والألف) في المقطع الثالث منها . فصوت اللام يتميز بالوضوح السمعي (sonority)[2] ، وقد منحها الألف امتدادا يطول معه النطق بها عن سائر المقاطع الثلاثة الأخيرة من الفواصل .

أما أصوات الفواصل فتقسم على قسمين أيضا بحسب الجانبين اللذين ذكرناهما آنفا ، فأصوات الفواصل الأولى المتمثلة بالانكسار ، ما عدا المقطع الثالث منها ، هي (ن ، ذ ، ب ، م ، س ، ح ، و) وأغلبها أصوات مجهورة ، منها (ن ، ذ ، ب ، م ، و) مقابل صوتين مهموسين هما (س ، ح) . أما أصوات الجانب الثاني وهي : (ق ، ص ، و ، س ، ع ، ي ، ن ، ف ، ث، ب) ففيها خمسة

1) الميزان في تفسير القرآن : 15/ 185 .

2) الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل : 174 .

أصوات مجهورة هي: (و ، ع , ي , ز ، ب) تقابلها خمسة مهموسة هي (ق ، ص ، س ، ف ، ث) ،

وغلبة أصوات الجهر في فواصل الجانب الأول ، تشعر بتعنت المجادلين وعدم رغبتهم بالاقتناع ، وبحرصهم على تغيير الحال لصالحهم . في حين اشعر تساوي الأصوات في الجهر والهمس في الجانب الثاني على الاعتدال والثبات والاتزان من لدن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ لم يقابل تعنت المشركين بمثله وهذا يرجع إلى خلقه الرفيع الذي وصفه الله بقوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] .

4- الفواصل الرباعية المقاطع

كان للفاصلة الرباعية المقاطع ، نصيب يكاد يقترب بنسبته من الفاصلة الثلاثية المقاطع . وقد أخذت مكانها في التعبير عن المعنى وتكميله ومنها ما ورد في قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[2] ، فتشكيل الفاصلة المقطعي ورد على الوجه الآتي :

يـ / فر /ر / طون : قصير + طويل مغلق + قصير + مزيد

فالفاصلة الرباعية المقاطع وردت مناسبة ومعنى الآية ، إذ بدأت الآية بقوله تعالى (القاهر) ، ثم ختمت بذكر الموت . فهو الأمر الذي لا يمكن الجدال فيه ، فناسب ختم الآية بالفاصلة (يفرطون) تعبيرا عن ائتمار الملائكة بأمره سبحانه ، وبأنهم يفعلون ما يؤمرون به ((فالملائكة المقصودون في أمر التوفي لا يقصرون عن الحد المكشوف لهم من موت فلان في الساعة الفلانية))[3] مثلا .

---

1) القلم : 4 .

2) الأنعام : 61 .

3) الميزان في تفسير القرآن : 7 / 130 .

وقد تشكلت الفاصلة من أصوات متوازنة في الجهر والهمس ؛ إذ بدأ المقطع الأول بصوت لين مجهور ، وهو (الياء)، ثم تلاه صوت مهموس رخو بجرس رقيق وهو (الفاء) ، ثم تلاه صوت مكرر مجهور، إلا أنه ذو جرس خفيف وهو الراء،ثم تلاه صوت (الطاء) المهموس الذي هو انفجاري مطبق،لذا ورد جرسه فخما.ثم ختمت الفاصلة بالنون وهو من الأصوات الذلقية المتوسطة الجرس فيلحظ هنا عدم غلبة الجرس الشديد على سائر الأصوات ، وبالمقابل عدم غلبة الجرس الرقيق بل نجد هنا نوعا من التناسق والتناسب بين الجرس الشديد والجرس الرقيق (يفرطون)،إذ عدم التفريط فيه إشارة إلى عدم الزيادة أو النقصان في الأمر[1].

كما أن هناك تناسبا بين طول مقاطع الفاصلة ، إذ تناوبت المقاطع ما بين قصير وطويل ، تناسقا مع دلالة الفاصلة .

ومن الفواصل الرباعية ما ورد في قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[2]

فقد تشكلت الفواصل في هذه البنية الجدلية من أربعة مقاطع على الوجه الآتي :

لـ / مخـ / ر / جون : قصير + طويل مغلق + قصير مزيد

أل / أو / و / لين : طويل مغلق + طويل مغلق + قصير + مزيد

أل / مجـ / ر / مين : طويل مغلق + طويل مغلق + قصير + مزيد

فالمقاطع الطويلة تسيطر على فواصل هذه الآيات التي تتضمن جدلا بين منكري البعث ، والرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) . وهذا التشكيل يتناسب وفكرة الاستبعاد والاستنكار التي تسيطر على هؤلاء المنكرين المعاندين .

1) ينظر : مجمع البيان : 4 / 73 .

2) النمل : 67 . 69 .

5- الفواصل الخماسية المقطع

وردت الفاصلة الخماسية المقاطع بنسبة أقل من الفواصل الثلاثية،والرباعية المقاطع في البنية الجدلية ، إلا أنها كانت محققة للمعنى الذي قصدته البنية . فالفواصل القرآنية ((تابعة للمعنى وليس المعنى تابعا لها،وهي بالتزامها الموسيقى المتفاوت في الدرجة والنوع تتمتع بحرية تامة في الانتصاب برؤوس الآية))[1] .

ومن الفواصل الخماسية المقطع ما ورد في قوله تعالى:﴿يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [2] ، فالتشكيل المقطعي للفاصلة ورد على الوجه الآتي :

يـ / تـ / فكـ / رون : قصير + قصير + طويل مغلق + قصير + مزيد

والآية مسوقة ضمن الهيكل الجدلي في السورة ، لتضع أمام منكري وحدانية الله حججا تؤكد ربوبيته تعالى ، ولم يفرض الله سبحانه وتعالى عليهم حججه ، بل أخذهم بالجدل والمناقشة ، وهذا ما تفصح عنه الفاصلة (يتفكرون) إذ يدعوهم إلى التفكر والتأمل بنعمه الأرضية والسماوية ، التي من خلالها يستطيعون التوصل إلى معرفة وحدانيته سبحانه . والتفكر هو أول مراحل المعرفة [3] ومن ثم يوجب ذلك الإنابة والطاعة لله والاعتراف بوحدانيته تعالى .

ويلحظ هنا غلبة المقاطع القصيرة على الطويلة في الفاصلة ، إذ ورد التشكيل المقطعي بثلاثة مقاطع قصيرة مقابل مقطع طويل ،وآخر مزيد . بل حتى الطويل كان مغلقا ، وفي هذا دلالة على أن هذا التفكر لا يحتاج إلى وقفة طويلة ليتوصل المخاطب عليه إلى المطلوب .

وأيضا فإن أصوات الفاصلة وردت متسقة مع الدلالة التي أرادتها الآية ، فهي من جهة ترسم النعم الإلهية المنبسطة لكل حي على وجه الأرض من خلال صوت

---

1) الجرس والإيقاع في تعبير القرآن : 354 .

2) النحل 11 .

3) ينظر : درة التنزيل وغرة التأويل ، الخطيب الاسكافي : 249 .

اللين الطويل المجهور(الياء)الذي يشير إلى امتداد النعم وانبساطها وتنوعها وكثرتها ،ومن أداء صوت التاء الانفجاري ، وتفشيها أيضا من خلال صوت الفاء الرخو المهموس المتفشي[1]،إذ يلحظ عند النطق به سعة انتشار الهواء وانبساطه في الخروج من الفم[2] ، ومن جرس صوت الكاف الانفجاري الشديد المكرر ، والنون المجهورة ، والراء المكررة؛رسمت النعم الإلهية التي لا تعد ولا تحصى.

ومن جهة أخرى ترسم الإنابة والخضوع لأولئك المتفكرين من خلال أصوات الهمس (الفاء ، والتاء ، والكاف) والأصوات ذات الجرس الرخو والمتوسط السلس ، وهي (الفاء ، والراء ، والنون) الذلقية ، فضلا عن صفة الاستفال التي تغلب على جميع أصوات الفاصلة ، والإستفال هو ((انخفاض اللسان والصوت . عند النطق بها . إلى قاع الفم وهو ضد الاستعلاء))[3] .

ومن الفواصل الخماسية ما ورد في قوله تعالى ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾[4] ، وقوله عز وجل ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾[5].

وقد وردت الآيات ضمن بنية جدلية مهمة جدا هي قضية وحدانية الله سبحانه وربوبيته . والفاصلة الخماسية المقطع وردت في الآية الأخيرة وهي (لمنقلبون) ، فالشكل المقطعي لهذه الفاصلة الآتي :

---

1) ينظر : الرعاية (لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها وتفسير معانيها وتعليلها وبيان الحركات التي تلزمها) ، أبو محمد مكي القيسي : 201

2) ينظر : المصدر نفسه : 109 .

3) الأصوات اللغوية ، عبد القادر عبد الجليل : 273 .

4) الزخرف : 9 .

5) الزخرف : 13 . 14 .

لـ / منـ / قـ / لـ / بون : قصير + طويل مغلق + قصير + قصير + مزيد.

وهي شهادة اعتراف بوحدانية الله سبحانه ، وبالمعاد ،أي ((إنا إلى ربنا من بعد مماتنا لصائرون إليه راجعون))[1]، فنجد هنا إيقاع الفاصلة قد صور الرجوع، وهو رجوع المسلم إلى قدرة الله سبحانه ، إذ فيه ((إشارة إلى المعاد وتبكيت لهم على إسرافهم مأخوذ من اعترافهم))[2] ، فقد تكرر اللام في أول الفاصلة ووسطها، وهو صوت شبيه بأصوات اللين[3] ، إذ يعد من الأصوات المتوسطة ، واللين صفة تجمع بين السهولة واليسر في التحقيق الصوتي[4] ، فضلا عن اشتراك (اللام والميم والنون والياء) بصفة الذلاقة وهي((الخفة والسلاسة على اللسان))[5]، وبهذا تكتسب اللفظة جرسا موسيقيا سلسا يوحي بالاستسلام والتسليم لله الواحد القهار .

ومن خلال مقاطع الفاصلة ، في الفاصلة الخماسية مقارنة بأصواتها ، نجد موازنة بين عدد المقاطع وطولها ، فعلى الرغم من عدد المقاطع الخمسة إلا أن غلبة المقاطع القصيرة تفرض نفسها على الإيقاع ، فضلا عن استعمالها أصواتا اغلبها تتسم بالذلاقة والسهولة واليسر ، فيه دلالة على أن الجدل من الله سبحانه للمتكبرين والجاحدين ، لم يأخذ منحى حادا ، بل أخذ منحى ميسرا موازنا لأسلوب الاستدراج في الإقناع والمجادلة .

ومن هنا تستطيع القول : إن اختيار الفاصلة في البنية الجدلية كان اختيارا دقيقا لتوازي المنحى الإقناعي الجدلي ، فلم تلتزم أصواتا مجهورة شديدة ، ولم تلتزم مقاطع طويلة ، بل راعت الموقف والمجادلين ، إغناء للسياق ، إذ وردت الفواصل ((مراعى فيها كل الأمور التعبيرية والفنية الأخرى بل مراعى فيها إلى جنب ذلك كله عموم التعبير القرآني))[6] .

---

1) جامع البيان 25 / 69 ، وينظر الميزان في تفسير القرآن الكريم : 18 / 88 .

2) الميزان في تفسير القرآن : 18 / 82 .

3) ينظر : الجرس والإيقاع في تعبير القران : 373 .

4) الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل : 280 .

5) المصدر نفسه : 278 .

6) التعبير القرآني ، د. فاضل السامرائي : 11 .

المبحث الثاني

النبر

تتكون اللفظة من مجموعة من الفونيمات المتتابعة، تتألف على هيأة مقاطع، ومن هذه التجمعات ، يوقف على صور المتكلمين النطقية ، قوة وضعفا ، شدة وليونة،وقد عد النبر أحد الفونيمات فوق التركيبية (supra – segmental phonemes)[1] .

والنبر في اللغة يعني الهمز وأيضا فان ((كل شيء رفع شيئا فقد نبره ، والنبر مصدر ، نبر الحرف ينبرة نبرا : همزه ... يقال نبر الرجل نبرة : إذا تكلم بكلمة))[2] .

اما النبر في الاصطلاح : فهو ((ازدياد وضوح جزء من أجزاء الكلمة في السمع عن بقية ما حوله من أجزائها))[3] .

ومن تعريفات علماء العربية للنبر نستطيع أن نستخلص عددا من القواعد التي تتعلق به وبمواقعه ، ومن خلال المسميات المختلفة له . ((الهمز ، والعلو، والرفع ، ومطل الحركات ، والارتكاز ، والإشباع ، والمد ، والتوتر ، والتضعيف . وكلها يفضي إلى مستوى دلالي واحد بوظائف متباينة تبعا للسياق ، وبروز القيم الاستدلالية في النص اللغوي))[4] .

وجاءت أهمية دراسة النبر استنادا لوظيفته التمييزية ؛ وذلك أنه يعد سمة صوتية وظيفية لها قيمة دلالية في التوجيه ، ((إذ استطاع أن يحقق الغرض

1) ينظر : الأصوات اللغوية د . عبد القادر عبد الجليل : 239 .

2) لسان العرب : 189/5 ، مادة (نبر) .

3) اللغة العربية معناها ومبناها : 170 ، وينظر دراسة الصوت اللغوي ، أحمد مختار عمر : 187 .

4) الأصوات اللغوية : د . عبد القادر عبد الجليل : 241 .

القصدي ، وهنا يعتبر من الملامح التمييزية أو التنوعات الصوتية التي تنوع الدلالة ، ويعتمد عليها السياق))[1] .

إلا أن عددا من اللغويين رفضوا عد النبر فونيما مميزا في اللغة[2] ، فالنبر على هذا يعد فونيما وظيفيا إذا استطاع تغيير المعنى أو زيادته ، فإن لم يحدث هذا التغيير أو الزيادة فلا يعد عندئذ فونيما .

ولقد تعددت النظريات وآراء اللغويين المحدثين في النبر ، فاقترب بعضها من بعض حينا , وابتعد حينا ، إذ عد بعضها آراءا تابعة لغيرها فحسب ، قد تأتي مغايرة لغيرها . وربما يرجع السبب في ذلك إلى تباين النبر ما بين لغة وأخرى ، ولهجة وأخرى[3] . وعلى هذا اختلفت أساليب دراسته ، وقواعده ، وتحديده ، بل واختلاف اللغويين في تحديد موضعه من الكلمة[4]

ولعل أهم هذه النظريات نظرية الدكتور إبراهيم أنيس في نبر الكلمة، وذلك من خلال((النظر إلى المقطع الأخير من الكلمة. فإذا كان من النوع الرابع (المزيد) أو الخامس (المديد) ، فهو المقطع المهم الذي يحمل النبر ، وهذا لا يكون إلا في حالة التوقف ، أي أن النبر في اللغة العربية لا يكون على المقطع الأخير إلا في حالة الوقف ، وحينما يكون المقطع الأخير من النوع الرابع ، أو الخامس ، أي عبارة عن صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن ، أو صوت ساكن + صوت لين قصير + صوتان ساكنان . وإذا وجدنا الكلمة لا تنتهي بهذين النوعين من المقاطع ، كان النبر على المقطع الذي قبل الأخير ، ويشترط أن لا يكون هذا المقطع من النوع الأول ، ومسبوقا بمثله من النوع الأول أيضا))[5] .

---

1) المصدر نفسه : 342 – 343 .

2) ينظر التشكيل الصوتي ، د. سلمان العاني : 134 .

3) ينظر : دراسات في علم أصوات العربية ، داود عبدة : 99 .

4) ينظر : التطور اللغوي ومظاهره ، رمضان عبد التواب : 87 .

5) الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس : 140 . 141 .

وأما إذا وردت الكلمة فعلا ثلاثيا ، فالنبر يكون على المقطع الثالث فيها، إذ نعد من آخر الكلمة . أما الموضع الآخر للنبر الموصوف بالندرة فيكون حين تأتي المقاطع الثلاثة التي قبل الأخير من النوع الأول ، وهنا سيكون النبر على المقطع الرابع حين نعد من آخر الكلمة [1] .

ولم يتطرق الدكتور إبراهيم أنيس في قواعده إلى المقطع المتمادي ؛ وذلك لأنه يعد المقاطع في العربية خمسة فقط ، تبدأ بالقصير وتنتهي بالمديد .

ولعل أول ما يمكن أن نتطرق إليه لدراسة النبر ودلالته الصوتية في البنية الجدلية هو (النبر في الفواصل) ؛ إذ نستطيع أن نقطع بأن كثيرا من فواصل القرآن الكريم قد انتهت بمقطع مزيد ، إذ هو مقطع بحسب قواعد الدكتور إبراهيم أنيس الحامل للنبر ، كالذي في قوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ [2] .

فجميع الفواصل في الآيات الكريمة انتهت بمقطع مزيد (صامت + صائت طويل + صامت) ، وهو مقطع نبري على الوجه الآتي :

(عاكفون) : النبر على المقطع (فون) ، و(عابدين) : النبر على المقطع (دين) ، و(مبين) النبر على المقطع (بين) ، و(اللاعبين) : النبر على المقطع (بين) ، و(شاهدين) : النبر على المقطع (دين) ، و(مدبرين) : النبر على المقطع (رين) .

---

1) ينظر : المصدر نفسه : 141 .

2) الأنبياء : 52 – 57 .

ومن ذلك قوله تعالى (قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[1] ، فالنبر في الفاصلة (الحكيم) على المقطع المزيد (كيم) فعند تلاوة القرآن الكريم يكون النبر على المقطع المزيد تأكيدا للمعنى الذي تحمله الآية والفاصلة .

أما سائر الفواصل غير المنتهية بمقطع مزيد ، فسيكون النبر فيها على الوجه الآتي : ففي قوله تعالى :(أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا)[2] .

فالنبر في الفواصل (بـ / نا / ها)،(فـ / سو / وا / ها) ، (ضـ / حا / ها) (د / حا / ها) ،(أر / سا / ها) ، يكون على المقطع ما قبل الأخير ، إذ إن المقطع الأخير ليس مزيدا أو مديدا ، والمقطع الذي قبله ليس قصيرا ، أي أن النبر يكون على المقاطع (نا)،(وا) ، (حا) ، (حا) ، (سا) ، وذلك حسب قواعد الدكتور إبراهيم أنيس في احتساب مواضع النبر.

ومنه قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً)[3] ، ففي كل من :

و / كيـ / لا

د / ليـ / لا

---

1) سبأ : 27 .

2) النازعات : 27 – 32 .

3) الفرقان : 45 – 47 .

نـ / شو / را

يكون النبر على المقطع ما قبل الأخير ؛ لأنه ليس قصيرا (كي) (لي) (شو) .

وفي ذلك كله لم يبرز كوظيفة تميزية ، أي لم يكن فونيما مميزا ، إذ لم يغير معنى أو يضيف معنى ، فهو لم يكن إلا تأكيدا للمعنى .

أما أهم مظاهر النبر في البنية الجدلية :

فهي الهمز ، إذ يعد مظهرا نبريا واضحا في البنية الجدلية . ففي قوله تعالى ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾[1].

فالهمز في (فاسألوهم) أحدث دلالة واضحة في الآية ، إذ لو ورد الفعل من غير همز (فسلوهم) ، لأحدث معنى مغايرا لما أراده إبراهيم (ع) . فالفرق كبير بين(سلوهم) و(اسألوهم)

ومنه قوله تعالى : ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾[2] ؛ إذ أشارت (ينبأ) المهموزة إلى دلالة التنبؤ ، وهو الإخبار ، وهذا المعنى لا يظهر من غير وجود الهمز . فلو وردت من غير همز لكانت (ينبا) ، والفرق بين الفعلين (نبأ) و (نبا) كبير ، إذ (نبا) تفيد التجافي والتباعد ، على حين أن المهموز يفيد الإخبار والإعلام . ولهذا كان للهمز وظيفة تميزية ، إذ تتغير بوجوده دلالة الفعل .

وقد تأتي الهمزة في البنية الجدلية، فقط لإعطاء ميزة أو درجة نبرية عالية، لا نستشعرها في غيابها دون أن تغير معنى أو دلالة . كالذي في قوله تعالى ﴿وَيُذِيقَ

1) الأنبياء : 62 . 63 .

2) النجم : 36 .

بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ)[1] . فكان لنطق بأس بالهمز،تأثير في السامع أكثر مما لو وردت بغير همز .

أما (التضعيف) فهو أيضا من مظاهر النبر ، كالذي ورد في قوله تعالى (قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ)[2] .

فالنبر في (نزل) يكون في المقطع الأول (نز / ز / ل) ، إذ بعد فك تضعيف (الزاي) ، تأخذ (الزاي) الأولى السكون ، ويكون النبر عليها ، إلا أن هذا التضعيف لم يغير معنى ، وإنما منح المعنى قوة وتأكيدا . ونظيره قوله تعالى: (قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ)[3] . فالتضعيف أحدث درجة نبرية عالية للسياق في (أبلغكم) . وفي قوله تعالى على لسان فرعون عند مخاصمة موسى ولومه (قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ)[4] .

فالنبر في الكلمة (نرب) التي في قوله : (نربك) ، حاملة للنبر على المقطع الثالث (نـ / ربـ / بك) . والنبر هنا يحمل دلالة وظيفية ، إذ إنه من غير التضعيف سيعطي الفعل معنى مغايرا ، هو الإرباك والتعثر ، وهو غير التربية .

1) الأنفال : 65 .
2) الأعراف : 71 .
3) الأحقاف : 23 .
4) الشعراء : 18 .

ومنه قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي﴾ [1] .

فالفعل (حاج) حامل للنبر على المقطع الثاني (حا ج / ج) ، وهو هنا يحمل دلالة وظيفية ؛ إذ لهذا الفعل بالتضعيف معنى يختلف عن معناه من غير تضعيفه . ذلك أنه من غير مد يعني من حج بيت الله الحرام ، أما بالتضعيف فله دلالة إلقاء الحجج والجدال .

فالنبر يمكن أن يمثل مجرد درجة نبرية عالية في البنية الجدلية ، أو قد يحمل دلالة وظيفية تميزية . وبذلك يمكننا أن نعد النبر (صوتا) مستقلا في البنية الجدلية ، إذ يتغير به المعنى في الهمز والتضعيف . وهذا ما يختص نبر الكلمة ، إذ يوجد نوع آخر من النبر وهو نبر الجملة ، الذي تحدث عنه الدكتور إبراهيم أنيس ، وهو ((أن يعمد المتكلم إلى كلمة في جملة فيزيد من نبرها ويميزها عن غيرها من كلمات الجملة ، تحقيقا لتأكيدها أو الإشارة إلى غرض خاص))[2] . كالذي في قوله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾[3] ، ففيه تأكيد اختصاص الله سبحانه بالإنجاء ، إذ كان النبر في قوله (ينجيكم) .

1) البقرة : 258 .

2) الأصوات اللغوية ، الدكتور إبراهيم أنيس : 141 .

3) الأنعام : 64 .

المبحث الثالث

التكرار والتوازي

مقدمة

قبل البدء بالكلام على (التكرار والتوازي) ، لابد من توضيح سبب جمعهما في مبحث واحد ، وهو أنهما ((يشتركان بعلاقة التماثل)) داخل النصوص ، هذا من جهة ، فضلا على (التداخل الذي بينهما)) ، لدرجة أن كلا منهما يمد الآخر بتأثيره وخصائصه . فقد تكون صور التوازي تكرارا ، وقد يعطي التكرار توازيا.

غير أنه برغم ذلك ، فإن التوازي غير التكرار ، فالتوازي يتحقق عبر التماثل الحاصل بين أجزائه ، وهذا التماثل هو غير التطابق التام الذي يحدث بين وحدات التكرار ، إذ إن ((التوازي تماثل وليس تطابقا))[1]

التكرار :

(التكرار) لغة مشتقة من (كرر) : إذا ردد وعاد فيقال كرر الشيء تكريرا : إذا أعاده مرة بعد أخرى[2] .

أما في الاصطلاح فهو دلالة اللفظ على المعنى مرددا[3] ((لتأكيد ، الوصف أو المدح أو التهويل أو الوعيد))[4] . أو غير ذلك .

وللتكرار وظيفتان أولاهما (الوظيفة الدينية)، إذ إن القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد وتشريع ، وهي لا يخلو منها فن من فنونه ، وأهم ما يؤيده التكرار من الناحية الدينية ، هو تقريره المكرر ، وتوكيده ، وإظهار العناية به ؛ ليكون في السلوك أمثل ، وللاعتقاد أبين . أما الوظيفة الثانية فهي (الوظيفة الأدبية) ، إذ للتكرار أثر فيها متعدد ، وإن كان القصد منه في جميع مواطنه تأكيد المعاني وإبرازها في معرض الوضوح والبيان[5] .

---

(1) قضايا الشعرية ، رومان ياكوبسون : 103 .

(2) ينظر : لسان العرب : 135/5 . مادة (كرر) .

(3) ينظر : المثل السائر ، ابن الاثير : 4/3 .

(4) المصدر نفسه : 4/3 .

(5) ينظر : خصائص التعبير في القرآن وسماته البلاغية : 322/1 .

ويعد التكرار من أساليب الجدل التي اعتمدها القرآن الكريم ، ولم يكن بذلك بعيدا عما عرفته العرب في خطاباتها ، فإذا ((اهتمت بشيء وأرادت تحقيقه وقرب وقوعه أو قصدت الدعاء إليه ،كررته توكيدا وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد في الدعاء ، بحيث تقصد الدعاء . والقرآن نزل بلسانهم فكانت مخاطبته فيما بين بعضهم لبعض . وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة))[1] .

ولم تتوقف أهمية التكرار عند هذا الحد الذي قرره الزركشي (ت794هـ) في كلامه المذكور آنفا ، إذ إن للتكرار قدرة على تقرير المعاني في النفوس ، تثبيتا لها في الصدور ، كما يقرر الزمخشري[2] (ت537هـ) ، إذ يقول : ((ألا ترى انه لا طريق إلى حفظ العلوم إلا ترديد ما يرام تحفظه منها . وكلما تردد كان أمكن له في القلوب ، وأرسخ له في الفهم ، وأثبت للذكر ، وأبعد من النسيان)) .

ومن هنا تأتي أهمية التكرار في الجدل القرآني ؛ إذ يؤكد من خلاله الفكرة التي يجادل فيها . ويلحظ فيها الإنكار ، وقد أصبحت مقنعة . والتكرار كما يقول أحد الباحثين ((يحول المكرر إلى معتقد))[3] . ولذلك يعد (التكرار وسيلة من أهم وسائل التربية والتثقيف))[4] . ولأهمية التكرار في البنية الجدلية سنحاول دراسته على أساس نمطين :

الأول : التكرار المقيد المتمثل بتكرار الألفاظ .

والثاني : التكرار ، المتمثل بتكرار الأصوات سواء أكانت مجتمعة ام متفرقة .

---

(1) البرهان في علوم القرآن : 9/3 .

(2) الكشاف : 385/3 .

(3) خصائص التعبير في القرآن وسماته البلاغية : 334/1 .

(4) المصدر نفسه : 334/1 .

أولا : التكرار الصوتي المقيد :

وهو التكرار المتمثل بتكرار اللفظة بأصواتها كلها ، أو بعدد منها ، متمثلا بفني التكرار والتجنيس .

والنمط الأول من التكرار المقيد هو التكرار المحض ، ومنه ما ورد في قوله تعالى : ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ﴾[1] ، إذ وضع الله سبحانه وتعالى الإنسان في جدل مع نفسه ؛ ليصل إلى القناعة بنفسه بوجود خالق واحد ، إذ تكررت لفظة (خلق) مرتين لتكون دعوة صريحة للتفكر في مادة الخلق، التي لا يمكن لأحد أن يكون قادرا عليها ، سوى الله سبحانه وتعالى ، ويلحظ الاعتماد في التكرار على فعل مبني للمجهول ليكون تركيز الانتباه على الفعل نفسه دون الفاعل .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[2] .

فكرر سبحانه لفظة (مكناكم) ليرسم التعبير القرآني صورة التمكن المتكاملة الجوانب من (سمع ، وبصر ، وفؤاد) فلا تبقى حجة لهم للمجادلة .

وقد وضعت اللفظتان في إطارين : الأول ، التأكيد ، إذ أكد اللفظة الأولى بحرف التحقيق (قد) ، وأكد اللفظة الثانية بحرف (إن) .

أما الإطار الثاني فتمثل بمجيء اللفظتين بصيغة الخطاب ، على حين أكمل سبحانه خطابه بأسلوب الغيبة ،وهذا ما منح الجدل قوة وسطوة لا يمكن مواجهتها، فكان التكرار بأسلوب الخطاب تعبيرا عن قوة الجدل وصراحته ، والانتقال إلى الغيبة بعد ذلك ، فيه تحقير لهؤلاء المنكرين ، وإنزالهم منزلة العبرة لغيرهم .

---

(1) الطارق : 5 . 6 .

(2) الأحقاف : 26 .

ولم يعتمد الجدل على تكرار لفظة واحدة ، بل تعداه إلى تكرار جملة ضمن سورة واحدة ، إذ صور الله سبحانه وتعالى جدال الكفار وهم يتساءلون فيما بينهم بعد دخولهم في العذاب ، وهو أنهم :﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[1].

فتكرار الجملة داخل السورة رسم صورة التخبط الذي يقع فيه الكفار يوم القيامة ، وعظم ذهولهم وتساؤلهم فيما بينهم إلى الحد الذي يصل بهم إلى جدال بعضهم بعضا .

أما تكرار الجملة في سورة القمر فقد أوجد إيقاعا متواصلا يضرب على أذن السامع ليجعل من السورة صورة جدل كاملة مع النفس ، إذ كرر سبحانه القول ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾[2] .

فتكرار الجملة في السورة كان أربع مرات في ثلاثة مواضع ، وفي كل موضع منها أعلن تكرارها عن أمر ، فجاءت العبارة في الموضع الأول لتلفت الأنظار إلى القصة (قصة نوح عليه السلام) ولتهويل أحداثها ؛ إذ صدرت الجملة باسم الاستفهام (كيف) الدال في هذا السياق على التعجب ، وعززت بقوله تعالى قبل ذلك : ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[3] ؟ .

أما الموضع الثاني الذي وردت فيه ،فكانت مع قصة عاد وعتوها عن أمر ربها، إذ كررت العبارة مرتين في بداية القصة ونهايتها[4] ؛ لتمنحها قوة بالغة ، ولتكون أشبه بالوعظ والزجر .

أما الموضع الثالث وهو الأخير الذي وردت فيه ، فكان حين قص الله سبحانه علينا قصة (ثمود) ، إذ جاء التكرار تهيئة لتلقي صورة عقاب قوم ثمود ، بعد التشويق إليها لدى السامع ، ولفت نظره إليها[1] .

---

(1) الصافات : 50 .

(2) القمر : 16 ، 18 ، 21 ، 30 .

(3) القمر : 15 .

(4) تنظر : سورة القمر : 18 . 21 .

فتكرار الجملة لم يكن اعتباطيا ، وإنما لاقتضاء ديني وأدبي فالاقتضاء الديني كان للعبرة والاعتبار عقب كل قصة من القصص الثلاث ، أما الاقتضاء الأدبي فكأن العبارة فيه ((تأتي عقب كل قصة لافتة أنظار المشاهدين إلى كنه النهاية وختام أحداث القصة))[2]

وقد أحدث هذا التكرار جدلا لدى الإنسان من داخله بإيقاع متزن ، إذ كررت الجملة بعد خمس عشرة آية ، تنتهي كلها بفاصلة واحدة تتخذ نهاياتها بحرف (الراء) ، مع التزام تحريك ما قبلها . (والراء) صوت مكرر مجهور[3] ، فأحدث بجهره وتكراره إيقاعا قويا يلائم جو الإنذار الذي أرادت السورة بأجمعها رسمه .

ومن تكرار الجملة ما ورد في سورة (الرحمن) ، أو كما يسميها الغربيون (سورة جمال الطبيعة في القرآن الكريم)[4] ، إذ منح السورة كلها إيقاعا منسجما يتناغم مع صور النعم المتعددة التي وردت فيها،بقوله تعالى:﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[5] ،وكأنه سؤال يلقى ليترك مجالا للتأمل ومراجعة النفس، لتقف عند حقيقة كثر الجدل فيها بين المؤمنين والمشركين ، وهي وحدانية الله وقدرته ، إذ يتكرر بعد كل نعمة أو نعم يعددها الله سبحانه وتعالى إلى الثقلين لدرجة يصل بها التكرار إلى إقرار هذا الأمر ، حقيقة واقعة لا يمكن إنكارها أو تكذيبها .

وقد تكررت هذه اللازمة (فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ)) إحدى وثلاثين مرة على طول السورة بصيغة خطابية للثقلين ، الإنس والجن ، وذلك على مراحل ، إذ بدأ التكرار بعد اثنتي عشرة آية متحدة الفواصل،وهي فاصلة (الميزان)،ثم توالى تكرارها

---

(1) تنظر : سورة القمر : 30 . 31 .

(2) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية : : 328 .

(3) ينظر : الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل : 175 .

(4) ينظر : روح الإسلام : 171 ، والطبيعة في القرآن الكريم ، د. كاصد الزيدي : 151 .

(5) الرحمن : 13 ، 16 ، 18 ، 21 ، 23 ، 25 ، 28 ، 30 ، 32 ، 34 ، 36 ، 38 ، 40 ، 42 ، 45 ، 47 ، 49 ، 51 ، 53 ، 55 ، 57 ، 59 ، 61 ، 63 ، 65 ، 67 ، 69، 71 ، 73 ، 75 ، 77 .

بعد كل آية لتكثيف درجة الجدل ليصل بهم إلى تقرير النعم ((المعروضة على الأنظار نعمة نعمة على وجه التفصيل والبيان . وقد عملت عملها في إضفاء جرس موسيقي رائع على السورة))[1] .

أما النمط الثاني من التكرار ، فهو التكرار المتمثل بفن التجنيس . والجناس كما عرفه قدامة بن جعفر (ت337هـ)[2] ((أن تكون في الشعر معان متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة ، وألفاظ متجانسة مشتقة)) ، وعرفه أبو هلال العسكري[3] (ت395هـ) بأنه إيراد المتكلم ((كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها)) ، وقال ابن الأثير إن حقيقة الجناس هي : ((أن يكون اللفظ واحدا والمعنى مختلفا))[4] ، ولعل تعريف العلوي[5] (ت749هـ) أجمع للتعاريف ؛ إذ يمثل الجناس عنده ((اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع اختلاف معانيها)) .

فالجناس في ضوء هذه التعاريف عبارة عن تكرار اللفظة الثانية بأصوات اللفظة الأولى كلها أو بعضها . وعد بعضهم الجناس ضربا من ((ضروب التكرار نسلكه فيما يراد بالتكرار من تقوية نغمية لجرس الألفاظ))[6] .

ومن تكرار التجنيس ما ورد في قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[7] .

---

(1) الجرس والإيقاع في تعبير القرآن : 356 .

(2) نقد الشعر : 96 .

(3) الصناعتين ، أبو هلال العسكري : 330 .

(4) المثل السائر : 342/1 .

(5) الطراز ، العلوي : 351/3 .

(6) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، د. ماهر مهدي هلال : 270 .

(7) الجاثية : 21 .

فالتجنيس الذي بين لفظتي (سواء) و(ساء) أحدث إيقاعا نغميا متفاوتا بين طرفي التجنيس ، تبعا لاختلاف زمن النطق بينهما ؛ إذ زاد الطرف الأول عن الثاني بوحدة زمنية واحدة ،وهو ما يسمى عند البلاغيين ((بجناس الترجيع المكتنف)) وهو((ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفا في وسط اللفظ المجانس))[1].

وهذا التفاوت الزمني في الإيقاع مثل طرفي موازنة ، يكشف الطرف الأول فيها وهو (سواء) عن تفكيرهم المغالط ، في حين كشف الطرف الثاني (ساء) عن حقيقة مصيرهم وتفكيرهم ونتيجته ((فالفريقان لا يتساويان في الحياة ولا في الممات))[2] .

ومن تكرار التجنيس قوله تعالى في مجادلة أهل الكفر : ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً﴾[3] .

فالتجنيس بين اللفظتين (إدا) و(هدا) وهو ما يسمى ((بالجناس المضارع)) ؛ إذ ((يتماثل ركنا الجناس في الهيئة والترتيب والعدد ، ويختلفان في أنواع الحروف))[4] ، بحسب التشابه والتخالف في المخرج أو الصفة أو فيهما معا . وذلك بأن يشتمل كل من اللفظين على ((حرف واحد لا غير))[5] ، لم يشتمل عليه الآخر من غير زيادة في عدد حروف اللفظتين المتجانستين ، فاللفظتان (إدا) و(هدا) كونتا طرفي المجانسة المضارعة بين الحروف المتدانية في المخرج ؛ إذ إن (الهمزة) و(الهاء) ، فضلا عن أنهما متضارعتان مخرجا ، فانهما متدانيتان أكثر من سائر حروف الحلق الأخرى التي تنتمي إليها . فنجد أن الهمزة أقرب إلى الهاء من (العين) التي لها المخرج نفسه[6]،وهذا يولد إيقاعا متجانسا يتناغم مع

(1) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، محمد بن عمر فخر الدين الرازي : 60 .
(2) الميزان في تفسير القرآن : 169/18 . 170 .
(3) مريم : 89 . 90 .
(4) وجوه تحسين الكلام ، د. رفعت إسماعيل السوداني : 204 .
(5) المثل السائر : 350/1 .
(6) ينظر : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : 98 ، وينظر : المقتضب : 155/1.

الدلالة التي تقدمها الآية ، بالصورة التي تقرب ما هو معنوي مما هو محسوس .

فجعل القول بوجود ولد لله سبحانه ، داهية وعظيمة ، تكاد تقترب من داهية انهدام الجبل وسقوطه .فالتقارب بين الصوتين دل على التقارب في عظم الأمرين، إلا أن عظم ذنب (الإد) اكبر من (هد) الجبال بدلالة صوت الهمزة ، إذ هو صوت شديد أو انفجاري كما يسميه المعاصرون[1] ، وهو ما يتناسب مع دلالة الأمر العظيم المنكر ، على حين أن (الهاء) صوت مهموس رخو[2] .

ونلاحظ التدرج في تصوير الأمر العظيم ، في قولهم لوجود ولد لله سبحانه وتعالى عما يقولون ، بانتقاله من السماء البعيدة إلى الأرض التي هي اقرب شيء إلينا ، واختياره سبحانه لأعظم شيء على وجه هذه الأرض وأقواه وأكبره ، وهي الجبال ، ليصور تقارب عظم الأمر عند الله سبحانه ، كما يعظم في عقولهم انهدام أقوى شيء على وجه هذه الأرض .

ومن تكرار الجناس قوله تعالى ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[3] .

فالسياق الجدلي الذي يضعه سبحانه أمام مجادليه من المشركين به في أمر التوحيد والمعاد ، يأمر به الله سبحانه نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يبين لهم بأسلوب الاستفهام أن الله سبحانه هو وحده ((الولي للنعمة التي تنعم بها الإنسان وغيره ؛ لأنه هو الرزاق الذي لا يحتاج إلى أن يرزقه غيره))[4] .

فالجدل القائم على أساس القدرة التي يتفرد بها سبحانه دون خلقه ، اعتمد أساسا على تكرار التجنيس ؛ إذ لو لم يكن كذلك لضعفت حجة المجادل ، فلو توقف

(1) ينظر : الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل : 184 .

(2) ينظر : المصدر نفسه : 183 .

(3) الأنعام : 14 .

(4) الميزان في تفسير القرآن : 31/7 .

عن الطرف الأول (يطعم) لما كانت له حجة داحضة ؛ إذ يمكن أن يكون الولي أو غيره طاعما لغيره ،ولكن وجود الطرف الثاني من تكرار التجنيس وضع حدا قاطعا لمن يريد الجدال ، بأنه سبحانه لا يطعم ، كما يحتاج الطاعم إلى من يطعمه أولا .

فمن خلال الجناس (المحرف)[1] بطرفيه (يطعم) و(يطعم) حدث انتقال من الكسرة المتصفة بالثقل ، ليصور قدرة المجادل على الجدال بقدرته على الإطعام ، ولكن الانتقال إلى الفتحة المتصفة بالخفة صور ضعف المجادل إزاء هذه القدرة ؛ إذ لا يمكن أن لا يطعم ؛ ذلك لأنه يحتاج إلى ذلك فتضعف حجته .

فالانتقال من الشدة إلى الضعف ، أحدث إيقاعا ينسجم وصورة المجادل المبهوت وانكساره بعد تعنته .

ومن تكرار الجناس قوله تعالى ﴿أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ﴾[2] . فالجناس الاشتقاقي المغاير حدث بين الفعل الماضي (أنشأتم) واسم المفعول (المنشئون) . فلم يدر الجدل على قضية خلق الإنسان فحسب ، بل دار على الظواهر التي تتعلق بحياته وخلقها ، ومنها النار التي نوقدها ، بأسلوب الاستفهام الإنكاري في من الذي أوجد شجرتها أهو الإنسان أم الله سبحانه وتعالى؟ وهو ضرب من التقرير ؛ لأن المتلقي . من أي مخلوق كان . لا يجد جوابا إلا أن الذي خلقها وأنشأ شجرتها هو الله جلت قدرته .

وقد وظف الجناس . في مواضع . بطريقة بديعة للجدل ، إذ استفهم بأسلوب تقابلي ، فالسؤال في كل ما أضيف إلى البشر ورد بصيغة الفعل الماضي في (أنشأتم) وهو (أنشأ) ، وفي المقابل ورد اسم المفعول (المنشئون) معزوا إلى الله سبحانه وتعالى ومعلوم أن من صفات الفعل هو التغيير ،في حين أن الاسم من صفاته الدوام والثبوت[3]،وبذلك يكون الله سبحانه وتعالى . بتكرار الجناس .

قد نفى عنهم أفعال الخلق كلها في كل وقت ، وأثبتها لنفسه وحده سبحانه .

---

(1) ينظر : خزانة الأدب ، البغدادي : 87/1 .

(2) الواقعة : 72 .

(3) ينظر : دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني : 133 .

كما أحدث الجناس الاشتقاقي إيقاعا ينسجم وقوة المحاجة بقدرة وجود النار وخلق شجرتها وإنشائها بتكرار صوت الهمزة ، إذ هي صوت شديد ، فضلا عن حاجتها للجهد العضلي لإنتاجها ،إذ ينسحب الهواء عند المزمار انحباسا تاما بالتقاء الوترين الصوتيين ، ثم يحصل انفراجه فجأة ، ناتجة عنه الهمزة ، ولهذا عدت الهمزة من أشق الأصوات في الأداء الصوتي[1] . وقد كرر صوت (الشين) وهو صوت مهموس رخو متفش[2] ، يعبر عن الانتشار والانبساط تماما كانتشار النار وانبساطها .

على أن وجود المقطع المزيد في الطرف الثاني من الجناس (ون) ، فيه دلالة الامتداد والاستطالة على الطرف الأول ، بما يناسب قدرة الله وحده سبحانه على إنشائها .

ثانيا : التكرار الحر :

قد تتكرر أصوات معينة في سياق جملة أو أصوات تشترك في صفات معينة ، محدثة بذلك إيقاعا ينسجم مع الحالة النفسية أو المعنوية التي يتطلبها المعنى أو الآية ؛ إذ تأتي مصورة لذلك كله ، وقد استعمل القرآن الكريم أساليب متميزة تختلف عن تلك التي ترد لدى العرب في استعمالها للألفاظ وأصواتها ، وذلك تحقيقا للمعنى الذي يراد ، لذلك فقد عني القرآن ((بالجرس والإيقاع عنايته بالمعنى وهو لذلك يتخير الألفاظ تخيرا ، يقوم على أساس من تحقيق الموسيقى المنسقة مع جو الآية وجو السياق ، بل جو السورة كلها في كثير من الأحيان))[3] ، ولا يقوم تكرار الأصوات على أساس قاعدة معينة ، بل يكون تكرارها ضمن إطار يغيره المنشئ خدمة للمعنى المراد التعبير عنه .

(1) ينظر : الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس : 78 .
(2) ينظر : الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل : 177 .
(3) الجرس والإيقاع في تعبير القرآن : 335 .

فقد قال تعالى على لسان قوم نبي الله شعيب ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾[1] .

فتكرار صوت الهمزة عشر مرات في هذا التعبير ،وهو صوت شديد قوي، أحدث اتساقا مع دلالة الألفاظ وائتلافها في الآية ، إذ عبرت عن شدة رد قوم شعيب له وصلابتهم وجدالهم ، وإن تكرار صوت (الهمزة) يصور إصرار هؤلاء القوم بوجه نبيهم على ما يريدون وتعنتهم ، تماما كصفة الانفجار التي يتصف بها صوت الهمزة . فالهمزة عبرت عن الإنكار وتعنت الجدل الذي خاضوه بنبرتها الشديدة التي تقرع أذن السامع لها .

ولا نكون خاطئين إذا أطلقنا على ذلك مصطلح (الدلالة الصوتية) أو رمزية الألفاظ كما سماها جبرسن[2] .

ومن تكرار الأصوات ما ورد في قوله تعالى مجادلا المنكرين بأسلوب هادئ رصين ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[3] ، إذ تكرر صوت (الراء) تسع مرات في الآية ، فأحدث بتكراره ترددا داخل النفس، تناسقا مع عملية الترديد في الحواس ، ولاسيما حاسة البصر ، إذ بدأت الآية بهذا الاستفهام التقريري المعبر عن العلم ، وهو (ألم تر) ؟ ، أي : ألم ينته إلى علمك ؟ وبهذا فانه سبحانه لا يلفت النظر إلى الظواهر التي تدل على قدرته ووحدانيته وحسب ، وإنما يعمد إلى اللفظ والصوت ، من أجل ذلك .

وقد تحقق ذلك بتكرار صوت (الراء) بهذا العدد ليصرف النفس خالصة إلى تدبر ذلك في ضوء قوة الصوت ؛ إذ إن (الراء) صوت مجهور[4] ، وتكرار المكرر

---

(1) هود : 87 .

(2) ينظر : دلالة الألفاظ : 68 ، 70 ، وينظر : الجرس والإيقاع في تفسير القرآن : 7 .

(3) الحج : 65 .

(4) ينظر : الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل : 175 .

وهو (الراء) قد ولد حركة نغمية تخلق تناسقا في الإيقاع ، وهو ما يتناسق وتناغم هذا الكون ؛ إذ يصرف الله سبحانه وتعالى الروح إليه ، فمثل (الراء) عملية الرجوع إلى النفس والتفكير ، ولعلنا لا نكون بعيدين عما قاله مصطفى صادق الرافعي حين جعل للمفردة صوتا سماه بـ(صوت النفس) ، إذ جعل الكلمة ثلاثة أصوات هي صوت النفس الذي عرفه بأنه الصوت الموسيقي الذي يتكون من ائتلاف أصوات الكلمة واجتماعها ومخارجها وحركاتها ومداتها وغناتها ، ومن صوت العقل وهو الصوت المعنوي الذي يختص بمعنى الكلمة ودلالتها ومخاطبتها للعقل . ويتألف كذلك من صوت الحس الذي هو اجتماع إيقاع أصوات الكلمة وروعة معانيها ، أو هو اجتماع صوت النفس وصوت العقل ، وعلى مقدار ما يكون من الكلام البليغ من هذا الصوت يكون فيه من روح البلاغة . وأما صوت الحس هذا فهو روح الإعجاز في القرآن الكريم[1] .

وقد تعبر الصفة المهيمنة للأصوات بتكرارها في الآية ، عن الحالة النفسية التي عليها المجادل في أثناء جداله الرافض ، إن كان غير موقن . فبعد أن أحس قوم نوح يضعفهم إزاء قوة احتجاج نوح (عليه السلام) عليهم ، لجأوا في جدالهم إلى التهديد بالرجم ، إن لم ينته نوح (عليه السلام) عن الدعوة إلى الله ، والإزراء بآلهتهم ، فقال تعالى في كتابه العزيز مصورا ذلك في قصة نوح (عليه السلام) : ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾[2] .

فالجدال بهذا المنحى أخذ مسارا مليئا بالعنف في الرفض ، لم تمثلها ألفاظ التهديد (كالرجم) فحسب ، وإنما دل عليها وصورها هيمنة أصوات مجهورة وانفجارية على أصوات الرد والجدل فيها ، مانحة السياق قوة ، إذ تضمنت الآية ثمانية أصوات مجهورة هي : ((الباء ، والواو ، والهمزة ، واللام ، والنون ، والميم ، والجيم ، والراء)) ، بل إن الصوت المجهور نفسه تكرر بنسبة أكبر من تكرار الصوت المهموس في الآية نفسها ؛ إذ تكرر (الواو) أربع مرات ، و(اللام) خمسا و(النون) سبعا ، و(الميم)

(1) ينظر : تاريخ آداب العرب : 220/2 . 222 .

(2) الشعراء : 116 .

أربعا ،مقابل تكرار (الثاء) المهموس ثلاث مرات، وورد كل من (الكاف) و(القاف) مرة واحد فقط . وذلك يعكس تأجج العناد في أنفسهم بعد شعورهم بضعفهم أمام حجة نبيهم ، وتزعزعهم في مقاومته ، ((لأنهم لا يملكون الكلمة القوية التي تنطلق من موقع الإيمان الواعي المنفتح))[1] . فالشعور بالضعف ولد شعورا بالعنف في نفوس المجادلين .

وإذا قرأنا رد نبيهم عليهم ، وجدناه موازيا لقوة جدلهم وذلك باحتوائه ثمانية أصوات مجهورة ، تماما كما احتوى ذلك ردهم له ، وهو ما بينه تعالى بقوله : ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[2] . فأصوات (اللام ، والنون ، والميم ، والياء ، والباء ، والعين ، والجيم ، والزاي) التي هي جميعا مجهورة ، قد هيمنت على رد نوح (عليه السلام) عليهم ، وإنما يعكس ذلك عدم تزعزعه وتخوفه منهم ، بل ثبتت شخصيته رسولا إزاءهم ، وبأنه لا يملك لهم نفعا ولا ضرا ، ليعلن لهم ضمنا أن لا تنافي بين البشرية والرسالة . وهي القضية التي جادلوه فيها ، ورفضوا دعوته إياهم على أساسها . فهيمنت أصوات على أخرى لعكس معاني نفسية وفكرية تضمنها الجدل . فالأصوات ((تابعة للمعاني فمتى قويت قويت ، ومتى ضعفت ضعفت))[3] .

ويلحظ أن القرآن الكريم يوازي في سوره كلها ، بين المعاني والأصوات المعبرة عن تلك المعاني ، بل إن الألفاظ المتخيرة لدلالة ما ، تتضمن أصواتا معبرة عن المعنى العام للآية والسورة ، وذلك بإشاعة جرس واحد في السياق ملائم للظلال المعنوية المقرر للآية نفسها . وقد ذهب جوزيف شريم إلى أنه لا يتم تذوق الهندسة الإيقاعية الحقة للألفاظ ، إلا إذا حصلنا على تلاؤم بين المكونات الثلاثة التي تشكل الرؤوس الثلاثة للمثلث الآتي :

(1) الحوار في القرآن : 223 .

(2) هود : 33 .

(3) المحتسب ، ابن جني : 210/2 .

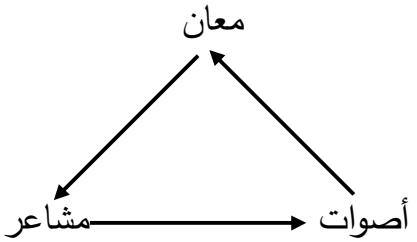

وعلى ذلك نستطيع أن نقول إن الأصوات في نظام اللغة (الفنولوجي) لا قيمة رمزية له ، على حين تثير عدد من مشاعر القارئ المستمع في كلام محدد بالاتفاق مع المعنى[1] .

ولنقرأ جدل نوح (عليه السلام) لقومه في قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً﴾[2] ، فالآية وردت ضمن سياق جدلي طويل لنوح (عليه السلام) مع قومه ، يذكرهم فيه بنعم الله سبحانه وتعالى عليهم ، وذلك بإرجاعهم إلى عقولهم بإثبات قدرته سبحانه وتعالى ، فأبرزت الآية تكامل مكونات الحياة من حول الإنسان ومتطلباتها ، إذ سخر كل ما يناسبه بيسر من دون تعقيد ، فالألفاظ (بساطا ، وسبيلا ،وسلك) دالة كلها على السهولة واليسر. فالبسط : السعة والمد[3] ، والسبيل ((الطريق الذي فيه سهولة))[4] ، وأما السلوك فهو النفاذ في الطريق[5] .

وقد شكلت هذه المفردات المختارة هندسة صوتية قائمة في بنائها على التكرار المقصود لصوت السين ، ليتناغم مع الدلالة المطلوبة في الآية ؛ وذلك لما يمتاز به هذا الصوت من صفات تلائم المراد ؛ إذ هو (مصمت ، رخو ، منفتح ، مستفل ، مرقق ، غير مطبق))[6] .

---

(1) ينظر : دليل الدراسات الأسلوبية ، جوزيف شريم : 110 .

(2) نوح : 19 . 20

(3) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : 46 ، مادة (بسط) .

(4) المصدر نفسه : 223 ، مادة (سبل) .

(5) المصدر نفسه : 239 . مادة (سلك) .

(6) الأصوات اللغوية ، د. عبد القادر عبد الجليل : 163 . 164 .

ومنه قوله تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾[1] ، فالصوت هنا يوازي الفكرة الجدلية نفسها ، التي تقوم عليها الآية الكريمة ؛ إذ جادلهم سبحانه وتعالى وحاججهم بقدرته على الاستماع ، بل والإتيان ببينة على ذلك[2] ، فعمد إلى دلالة اللفظ والصوت في بيان المراد بهذه الآية . فالسلم وسيلة نجاة مشتق من السلم ، الذي يدل على السلامة والتعري من الآفات الظاهرة والباطنة[3] . وأما الاستماع فهو من السمع الذي هو قدرة في الأذن به تدرك الأصوات وتميز[4] . وأما صوت السين فكثير الوضوح في السمع[5] ، واستمراري[6] ، فورد الصوت بموازاة الألفاظ للتعبير عن الدلالة التي هي محاججة ومجادلة للمنكرين والمكذبين للرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وقد ولد تكرار صوت السين إحساسا بإعادة السؤال عليهم بطريقة أخرى ، وهي طريقة الجرس الموسيقي محققا من خلال تنغيم التكرار للصوت . لذلك قال سيد قطب : ((إن في القرآن إيقاعا موسيقيا متعدد الأنواع يتناسق مع الجو ويؤدي وظيفة أساسية في البيان))[7] . أو بعبارة أخرى : إنه يتسق مع المعاني المرادة في التعبير القرآني .

ويلحظ كثرة تكرار أصوات اللين في البنى الجدلية ؛ لما تمتاز به هذه الأصوات من الوضوح السمعي ، إذا قيست بالأصوات الساكنة[8] . لذلك فهي تشكل مصدر تقرير للمراد جنبا إلى جنب مع دلالة الألفاظ التي تحملها . فمن ذلك ما ورد

---

(1) الطور : 38 .
(2) ينظر : مجمع البيان : 280/9 ، وينظر : التفسير الصافي : 81/5 .
(3) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : 239 ، مادة (سلم) .
(4) ينظر : المصدر نفسه : 242 ، مادة (سمع) .
(5) ينظر : علم الأصوات : 120 .
(6) ينظر : دراسة الصوت اللغوي : 270 .
(7) التصوير الفني في القرآن : 101 . 102 .
(8) ينظر : الأصوات اللغوية ، د. إبراهيم أنيس : 27 .

في هذا التلقين الإلهي للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالفعل الطلبي (قل) قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وَأَنْتُمْ شُهَدَاء وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1] إذ قد تكرر (الواو) ثماني مرات ، وتكررت الألف أربع عشرة مرة .

ولأصوات المد والحركات وظيفة فنية صوتية ؛ ذلك أنها تؤدي في كثير من الأحيان إلى تنوع النغمة الموسيقية للفظة ، أو المقطع ، أو التعبير . فهي ذات مرونة عالية وذات سعة في إمكاناتها الصوتية . فهي تضفي موسيقى خاصة ذات تأثير نفسي يشبه ذلك التأثير الذي يحققه اللحن الموسيقي ، مع فارق أساس في أن هذا اللحن يفضي إلى معنى ودلالة .

ولعل تكرارها ورد متزامنا مع النداء الذي في بداية الآيتين ، وهو (يا أهل) وبهذا أحدث تكرارها ما يشبه النداء الضمني ، مضافا إليه النداء الصريح ؛ إذ يحتاج للنطق بأصوات المد زمنا طويلا يتناسب دلاليا مع الصوت المصاحب للنداء أو المخاطبة عن بعد .

وعلى هذا فتكرار حروف اللين في الآية أحدث إيقاعا تناغميا تستشعره النفوس ، كما تدركه الأذان ، لتستميل وتقرب من هو بعيد بفكره وعقله عن الصواب ، ولتعيده إلى طريق الحق .

وأيضا فإن تكرار أصوات اللين رسم صورة الإلحاح في المخاطبة لأهل الكتاب ، فضلا عن تكرار الخطاب بـ(يا أهل الكتاب) مرتين ، وبهذا النداء الصريح يتكرر ويتردد صداه بتكرار أصوات اللين التي وردت في تعبير الآية وهو :

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾

يا . . . ا . . . . او . . ا ا . . ا . . ا . . . ي . ا ا . . و.

(1) آل عمران : 98 . 99 .

(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً)

– ا ----ا ----- و ---- ا ي ا – ا – ا ---- و--- و – ا

(وَأَنْتُمْ شُهَدَاء وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

و .....ا و .ا .ا ...ا ...ا ...و . .

وهذا ما أحدث توازنا إيقاعيا بين النداء الصريح ، والنداء الضمني ، متمثلا بأصوات اللين .

ثانيا : التوازي

يعد مفهوم التوازي من بين أهم المفاهيم التي لقيت أهمية في تحليل الخطاب الشعري ، ويشير المصطلح إلى جذوره الهندسية ، إلا أنه كسائر المفاهيم انتشر في ميادين العلوم كافة ، حتى ولج ميدان الدراسات الإنسانية والأدبية .

وقد اختلفت المعجمات اللغوية ، أو المعجمات المصطلحية ، والمعجمات التأريخية للأدب في تحديد مفهومه وخصائصه ، إلا أنها تكاد تتفق على أنه ((التشابه الذي هو عبارة عن تكرار بنيوي في بيت شعري أو في مجموعة أبيات شعرية))[1] ، و((يشمل العناصر الصوتية والتركيبية والدلالية ، وأشكال الكتابة وكيفية استغلال الفضاء))[2] .

وقد قسم أحد الباحثين التوازي على قسمين هما : ((التقابل الواضح ، والتقابل العابر الملون . ولكن النوع الأول هو الذي يمس بعمق بنية الشعر . فالإيقاع يعتمد على تكرار مجموعة من المقاطع المحددة ، والوزن يقوم على تكرار طائفة من الإيقاعات ، والقافية كذلك ، إلا أن قوة هذا التكرار تتمثل في توليد نوع من التوازي بين الكلمات ، والمعاني))[3] ، وعلى هذا ستقوم دراسة التوازي للبنية الجدلية على ثلاثة مستويات :

الأول : التوازي قائما على أساس التكرار .

والثاني : التوازي قائما على أساس التوازن .

والثالث : توازي الفاصلة .

---

(1) التشابه الاختلاف ، نحو منهاجية شمولية ، محمد مفتاح : 97 .

(2) المصدر نفسه : 97 .

(3) نظرية البنائية : 391 .

1 . التوازي قائما على أساس التكرار

قد يحقق التكرار توازيا ، وخاصة تكرار كلمة في البداية ، إذ ((هو عبارة عن وحدتين معجميتين أو أكثر تتجسد بشكل متواتر في بداية كل سطر))[1] ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾[2] .

فقد حدث تكرار في الخطاب بـ(قل) للدخول في مجادلة منكري البعث والإعادة ، بطريقة السؤال والجواب ، فأحدث هذا التكرار نوعا من التوازي بين البنيتين .

والملاحظ أن المراد من تكرار الخطاب ، تكرار الاستفهام بعبارة (هل من شركائكم من) ؟ ؛ ليشير الجدل بدوره إلى أعمال لا يقوم بها من يشركونهم مع الله . سبحانه . وهما بداية الخلق والهداية ، ليقروا بعدم قدرة الشركاء عليهما ، مع أنهم ينكرون الإعادة والبعث ، فهو بهذا لا يقيم وزنا لإنكارهم ، هذا من جهة ، ويعمل من جهة أخرى على أخذ الاعتراف منهم بالقدرة عليهما ، عن طريق اعترافهم بإعادة الخلق ؛ ((لأن في اعترافهم بالقدرة على البدء دليلا على الإعادة بطريقة الأولى))[3] .

ثم أن الاستفهام الثاني لم يحدث إلا بعد ورود جواب الاستفهام الأول ، أي أن ما بين الاستفهامين مدة زمنية ، فهو يعد ((عامل ربط))[4] أيضا ما بين البنيتين ؛ إذ لم يحدث الانتقال إلى الاستفهام الثاني إلا بعد أن حصل اشباع دلالي مع الاستفهام الأول .

---

(1) اللغة الشعرية دراسة في شعر حميد سعيد ، محمد كنوني : 124 .

(2) يونس : 34 . 35 .

(3) أسلوب الدعوة القرآنية ، عبد العاني محمد سعيد بركة : 175 .

(4) اللغة الشعرية ، دراسة في شعر حميد سعيد : 126 .

هذا إلى أن توازيا آخر حصل في البنيتين المتوازيتين،وهو ما يمكن أن نسميه المتوازي (السطري أو الأفقي)؛إذ حصل تكرار ما بين السؤال والجواب نفسه .

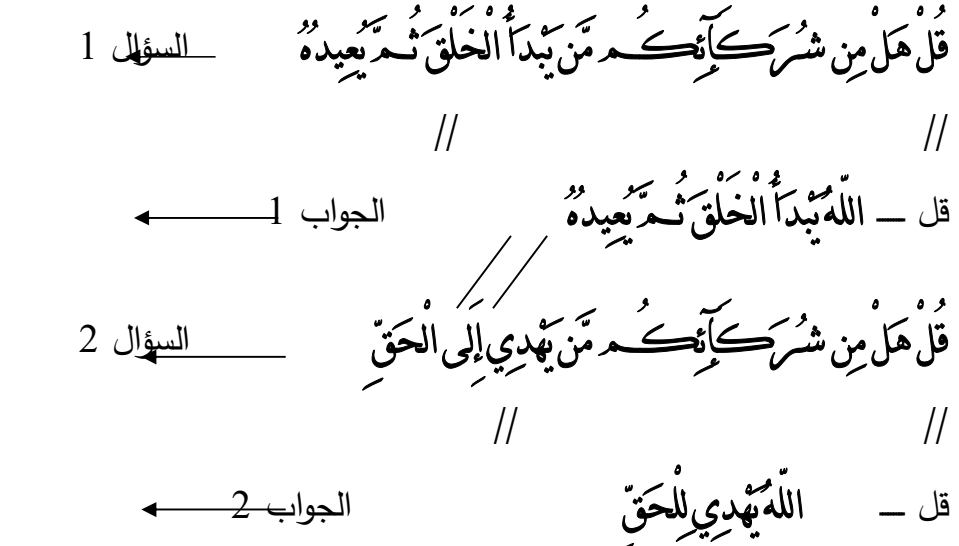

فنجد أن الدال الأول (قل) يحافظ على تكراره ، في حين أن الدال الاستفهامي يختفي ؛ ليحل محله الجواب لفظ الجلالة (الله) سبحانه ، مع تأكيد أن السؤال والجواب وردا من لدن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) . وفي هذا دليل على أن المتكلم ليس بطالب للجواب ، وأنهم غير قادرين عليه بسبب مكابرتهم ولجاجهم[1] ، وهذا كما قال فخر الدين الرازي[2] ((أبلغ ، وأوقع في القلب)) ، يقصد : في النفس .

ويلاحظ تكرار نهاية السؤال في الجواب ، من دون حذف ؛ وذلك ((لمزيد التأكيد الذي يستدعيه المقام))[3] . فتكرار الفعل (خلق) في البنيتين ((من الادماج في الحجاج ، وهو فن بديع))[4] ، وتكرار الفعل (يهدي) متعديا بـ(إلى) مرة ، وبـ(اللام) مرة أخرى ، يرجع إلى أن (هدى) ((يتعدى بـ(إلى) لتضمنه معنى الانتهاء

(1) الكشاف : 346/2 .
(2) التفسير الكبير : 192/17 . 193 .
(3) أسلوب الدعوة القرآنية : 176 .
(4) التحرير والتنوير : 161/11 .

، ويتعدى بـ(اللام) للدلالة على أن المنتهى غاية الهداية . وهذا سر التعدية باللام في جانب التعبير القرآني))[1] .

وفي قوله تعالى ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾[2] ، يلحظ تكرار النسق الاستفهامي (أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء) قد أحدث توازيا ما بين الآيتين ، مما ولد صورة متكاملة للعذاب الذي يمكن أن ينزله الله سبحانه بمن يشرك به ، ليخرج هذا التوازي بدلالة ، أن من يملك هذه القدرة من السماء هو الآمر والناهي والمدبر لكل شيء .

وأيضا فان التوازي الصوتي أحدث توازيا دلاليا بين العذاب من السماء والعذاب في الأرض ، بتوازي الفعلين : يخسف // يرسل

5 . 5 . 5 . 5 .

فالخسف ((سؤوخ الأرض بما عليها ، وهو إلحاق الأرض الأولى بالثانية))[3] ، في حين أن الإرسال يعني ((الانبعاث على التؤدة .. ويكون ذلك بالتسخير كإرسال الرياح والمطر))[4] ، فهما متقابلان دلاليا تقابلا بالخلاف ، متشاكلان في البناء المقطعي لهما .

(1) أسلوب الدعوة القرآنية : 176 .

(2) الملك : 16 . 17 .

(3) لسان العرب : 67/9 . مادة (خسف) .

(4) مفردات ألفاظ القرآن : 187 . مادة (أرسل) .

2 . التوازي قائما على أساس التوازن :

الموازنة تعني ((إعادة اللفظ الواحد بالنوع في موضعين من القول فصاعدا، هو فيهما مختلف النهاية بحرفين متباينين ، وذلك انه تصير أجزاء القول متناسبة الوضع متقاسمة النظم ، معتدلة الوزن متوخى في كل جزء منها أن يكون بزنة الآخر ، دون أن يكون مقطعهما واحد))[1] .

فالتوازن قائم على أساس ((التعامل أو التقابل بين الأنساق الزمنية القائمة على الكم المجرد (الوزن العروضي) ، أو الكم المشخص المتجلي في الأنساق الترصيعية القائمة على التقابل بين أنواع الحركات والمد))[2] .

ويمكننا دراسة التوازي القائم على أساس التوازن على نوعين :

الأول : توازن البنى فعلية وبنى اسمية .

الثاني : توازن سياقي .

الأول : توازن البنى (توازن بنى فعلية . توزان بنى اسمية)

أ . توازن بنى فعلية :

قد تخلق بنية فعل متكررة ، توازيا إيقاعيا مولدا انسجاما صوتيا كالذي في قوله تعالى ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[3] .

فالأفعال : فتنتم // تربصتم // فارتبتم // غرتكم

5-5-5- 5-5-5-( ) (5-)5-5-- 5- 5--

(1) المنزع البديع ، السجلماسي : 415 .

(2) الموازنات الصوتية ، محمد العمري : 9 .

(3) الحديد : 14 .

وقد ورد التوازي أفقيا بين الأفعال الماضية ، إذ يكثفها التوازي داخل الآية من دون أن ينشرها عموديا ؛ وذلك لتتركز عند الجانب المخالف من المشركين الظانين بمساواتهم بالمؤمنين .

والبنية التوازنية قائمة على (العطف) ((الذي يجعل الموازاة الدلالية بدرجة واحدة ؛ إذ المتعاطفان يحملان خصيصة المساواة ، ولاسيما أن أداة العطف واحدة وهي (الواو) التي تلف الدلالة من أولها إلى آخرها))[1] .

ومن البنى التوازنية ما ورد في قوله تعالى ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾[2] .

فالأفعال :

أحييناها // أخرجنا // جعلنا // فجرنا

-5-5-5/-5 -5-5-5- --5-5 -5-5-5-

متوازية أفقيا . على الرغم من انقسامها بين آيتين ، إلا أنهما متعاطفتان .

إلا أن الانسجام الصوتي قد كسر من خلال الوصلة الضمائرية المتعلقة بالخالق سبحانه وتعالى ، مع الفعل الأول الذي في (أحييناها) ، مما جعل الفعل يمتلك زمنا صوتيا أطول من سائر البنى الأخرى . وهذا قد يكون عائدا لعملية الإحياء نفسها ، إذ إنها تتضمن الأفعال التي بعدها كلها . فإحياء الأرض يكون بالإخراج ، والجعل ، والتفجير ، فجاء بذلك متساوقا مع الزيادة الصوتية (-5) ، فهي أفعال متداخلة فيما بينها ، يكمل أحدها الآخر ، فكانت متوازية صوتيا .

(1) التوازي في القرآن ، أطروحة دكتوراه ، وداد مكاوي ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات : 77 .

(2) يس : 33 . 34 .

ب . توازن بنى اسمية

كما حققت البنى الفعلية توازيا إيقاعيا ، كذلك تفعل البنى الاسمية ، كالذي في قوله تعالى في محض جدله مع العقل الإنساني ، ليضع صورة عملية للمؤمنين ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾[1] ، فكل من :

مسكينا // يتيما // أسيرا

-5- -5- ----5- ----5-

بنى اسمية متوازية صوتيا ؛ إذ جاء البناء المقطعي لها متوازنا تقريبا ، ما عدا الحرف الساكن من الاسم الأول (مسكينا) ؛ إلا انه لم يحدث تباينا صوتيا كبيرا .

وقد رسم التوحد الصوتي بين هذه البنى صورة التوحد بالعطاء إزاء هذه الطبقات من المحتاجين ، واستمراره بالدرجة نفسها من الطاعم . فالتوحد الصوتي يناظره توحد بالدلالة ، على الرغم من التعداد الواقع بين هذه البنى .

ومن ذلك ما ورد في تقابلات قوله تعالى : ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾[2] .

فنجد أن البنى الاسمية المتقابلة بطريقة الضد والنقيض ، وهي :

الأعمى // الأصم // البصير // السميع

-5-(5)-(5) 5---5- 5--5- 5--5(5)

بنية عكس

متوازية فيما بينها في البناء المقطعي ، ما عدا البنية الاسمية الأولى (الأعمى) ، إذ هي تبدأ بمقطع مفتوح (-5) ، وتنتهي بمقطع مغلق (-5) ، وفي بنيتها المقطعية هذه نجدها تغاير سائر البنى الاسمية المتوازية معها ، إذ تبدأ بمقطع مغلق (5-) ، وتنتهي بمقطع مفتوح (5-) .

---

(1) الإنسان : 8 .

(2) هود : 24 .

وعلى الرغم من انقسام هذه البنى على فريقين متناقضين ، فالبنيتان (الأعمى والأصم) ، تقابل بالضد البنيتين (البصير والسميع) ، إذ يعمل على تبئير الصورة :

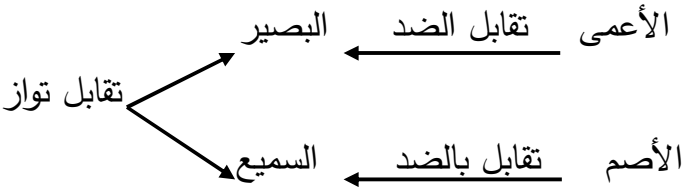

لدرجة انه يظهر الاختلاف بين الفريقين فيكونان غير متساويين .

فالتوازي التوازني عمل بين البنى عموديا وأفقيا ، فكان أفقيا بين البنيتين المتقابلتين ، وعموديا بين البنيتين المنظمتين للفريق نفسه:

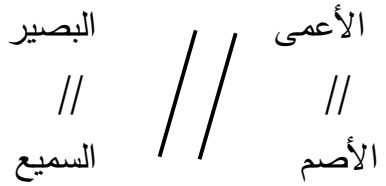

والثاني : توازن سياقي

وذلك كالذي في قوله تعالى ((فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ * وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ))[1] .

فالتماثل المقطعي الوزني بين البنى السياقية ، ورد متوازيا

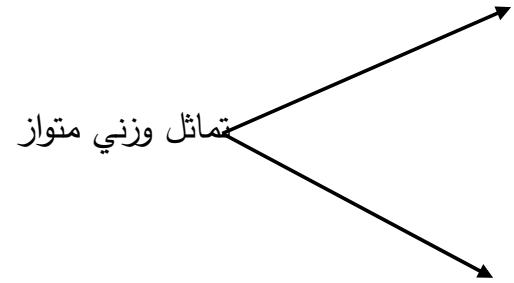

فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ 8
5--- -5--55 ---5
وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ 9
5--- -5- -55 ---5
وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ 10
5--- -5- -5 ---5

(1) المرسلات : 8 . 11 .

وقد عملت أداة الشرط على رص البنى التوازنية في خط تواز واحد ، فهي الجهة التي يتولد منها الضغط والدخول في البنية ، فكانت الهزة لهذه الآيات ؛ ذلك أن الناس غير معتادين على رؤية مثل هذه الأحداث ولا يعتقدونها .

ومن التوازي التوازني السياقي قوله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾[1] .

أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ * أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ 79
60 _____
61 _____
62 _____

وقوله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾[2]

أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ * أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ 64
65 _____
67 _____
68 _____

ونجد أن التوازي بين السياقين ورد بعد ثلاث آيات كسرت ذلك التوازن الصوتي ؛ إذ وردت الآية التوازنية الموازية بعد أن حصل انقطاع صوتي ، فعملت على إعادة الانسجام الصوتي من جديد ، وهذا ما يعمل عليه التوازي ، إذ هو ((عامل أساسي في خلق الانسجام))[3] .

(1) الواقعة : 58 . 59 .
(2) الواقعة : 63 . 64 .
(3) قضايا الشعرية : 106 . 107 .

ثالثا : توازي الفاصلة

تعد الفاصلة المتوازية من أعلى أنواع الفواصل عند البلاغيين ، بعد أن قسموها إلى فاصلة متوازية ، ومطرفة ، ومتوازنة[1] .

ويقصد بالفاصلة المتوازية : أن تتفق الكلمتان في الوزن وحرف الروي ، ومنه ما ورد في قوله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾[2] .

فالفواصل المتوازية : يهدين

-5-5-

//

يسقين

-5-5-

//

يشفين

-5-5-

قد انتهت جميعها بحرف الروي (النون) الذي أكسب الإيقاع نغما هادئا ناعما ، يتناغم مع دلالات الأفعال التي انتهت بها هذه الآيات الكريمة .

وأيضا فإنها اتسمت جميعها ببنية نحوية واحدة ، مما وحد الصوت بينها ، محدثا توازيا إيقاعيا واحدا . .

ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾[3]

(1) ينظر : الفاصلة في القرآن : 19 .

(2) الشعراء : 78 . 82 .

(3) الملك : 29 . 30 .

فالفاصلتان المتوازيتان هما : مبين

5-5-

//

معين

5-5-

إذ إنهما يتمثلان في البناء المقطعي ، فضلا عن التماثل الفونيمي بحرف الروي ؛ والمد اليائي عند الوقف على نوع كل منهما ، ذلك كله أكسبهما صوتا موحدا متوازيا .

الفصـــل الثالث

المستوى التركيبي لبنى الجدل

1. تراكيب اسمية
2. تراكيب فعلية
3. تراكيب استفهامية
4. تراكيب شرطية
5. تراكيب تقابلية

مقدمة

بعد أن شكل الصوت منظومة مؤثرة في البنية الجدلية ، برزت من خلاله صور تحليلية للصوت منفردا ومجتمعا مع غيره من الأصوات ، يأتي البناء التركيبي ليشكل موقعا لا يقل أهمية عن المستوى الصوتي ، في إظهار القيمة الداخلية للتراكيب ، وما ينتج عنها من دلالة . ذلك أن ((دراسة الخطاب من جهة تركيبه تفضي حتما إلى اكتناه دلالته ؛ لأن التركيب إذا افتقد الدلالة افتقد قيمته))[1]

وعلى هذا تكون النتائج المحصلة من التركيب هي التي تشكل الجانب الأهم من التركيب اللغوي ، وهو الجانب الأدبي منه ، فهو ((الجانب العملي الحقيقي في دراسة النص كونه يكتشف في كل نص اكتشافات خارقة يتجاوز فيها ظاهرة مرافقة اللغة للقانون اللغوي ، إلى اقتفاء الطبيعة النفسية لكل من صاحب النص ومتلقيه))[2] .

وإذا علمنا أن اختيار المتكلم لترتيب معين من بين أنماط الكلام المتعددة التي تسمح بها اللغة ، إن هو إلا استجابة لدواعي المعنى الدقيق الذي يريد[3] ، علمنا أهمية البحث الأسلوبي للمستوى التركيبي من البنية ، فالمفردة داخل السياق تدل على ما يتقدمها أو يتأخر عنها من ألفاظ على معان تختلف بتغاير التركيب وتحولاته .

والنص القرآني محكم بألفاظه المتآخية فيما بينها ، على نحو فريد من الترتيب يجعلها تختلف عن أي كلام آخر . وهو أحد مظاهر إعجازه ؛ إذ تسير فيه اللغة وفق نظام يضع المعنى المراد التعبير عنه أمام متلقيه من دون لبس . فهو يختار من أوضاع اللغة وكيفياتها التعبيرية ما يؤمن تصوير المعنى وإبرازه . فللجملة القرآنية القدرة على الدلالة على المعنى ((بأقصر عبارة عن أوسع معنى تام متكامل ، لا يكاد الإنسان يستطيع التعبير عنه إلا بأسطر وجمل كثيرة ، دون أن تجد منه

(1) أثر اللسانيات في النقد الأدبي الحديث ، توفيق الزيدي : 73 .
(2) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي : 262 .
(3) ينظر : نظام الجملة العربية ، رسالة ماجستير : 28 .

اختصارا مخلا أو ضعفا في الدلالة))[4] ، وفق تراكيب محددة ، وهو لا يحدث ذلك لمجرد الصناعة اللفظية ، وإنما لاقتضاء المعنى . فكل شيء عنده بمقدار ((حتى صار من العسير بل من المستحيل أن تغير في الجملة كلمة بكلمة ، أو أن تستغني فيها عن لفظ ، أو أن تزيد فيها شيئا ، وصار قصارى أمرك إذا أردت معارضة جملة في القرآن أن ترجع بعد طول التطواف إليها ، كإنما لم يخلق الله لأداء تلك المعاني غير هذه الألفاظ . وكأنما ضاقت اللغة ، فلم تجد فيها . وهي بحر خضم . ما تؤدي به تلك المعاني غير ما اختاره القرآن الكريم لهذا الأداء))[5] وهذا سر إعجازه الذي تفرد به من بين الكتب السماوية .

(4) الإعجاز في نظم القرآن : 86 . 87 ، وينظر : تأويل مشكل القرآن : 3 . 4 .

(5) من بلاغة القرآن ، احمد بدوي : 105 .

1 . تركيب الجملة الاسمية

إن دلالة الاسم تغاير دلالة الفعل ، وقد نبه عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) على دلالة الاسم على الثبوت ، ودلالة الفعل على التجدد ، وطبيعة الفرق بينهما ، فقال ((هو فرق لطيف تمس الحاجة في علم البلاغة إليه وبيانه إلى موضع الاسم ، على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء . وأما الفعل فموضوعه على انه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء))[1] .

على أن ((الجملة الاسمية أثبت وآكد من الفعلية))[2] ، ولذلك نجد الخطاب القرآني في البنية الجدلية قد عمد إلى التركيب الاسمي كثيرا بين طرفي التخاطب / الجدال ، بغية تحقيق الغرض من وراء التخاطب بها .

فقد جادل قوم هود نبيهم باستعمال الجملة الاسمية ، لما لها من قدرة على تأكيد رفضهم في ترك آلهتهم . في دواخلهم . ، وذلك في قوله تعالى ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[3] .

فنفوا ترك آلهتهم بأسلوب تأكيدي بقولهم : (وما نحن بتاركي) ، معبرين عن ذلك بلفظ ينبئ عن إجماعهم على باطلهم وهو عبادة الأوثان ، وعندما أرادوا تكرار تأكيد الإنكار عمدوا إلى التركيب الاسمي أيضا ، وهو (وما نحن لك بمؤمنين) ، إشارة إلى عدم إيمانهم بما دعاهم إليه ، وذلك بزيادة (الباء) التي تفيد التأكيد حين تلحق بخبر أحد النواسخ ((وتقديم المسند إليه المفيد للتقوى دلالة على انهم لا يرجى منهم ذلك بوجه من الوجوه))[4] . وفي هذا دلالة على ((شدة الشكيمة وتجاوز الحد في العتو ما لا يخفى))[5] .

---

(1) دلائل الإعجاز :133،وينظر :نحو منهج جديد في البلاغة والنقد،سناء مجيد البياتي:36 .

(2) إتقان ما يحسن من الأخبار ، محمد الغزي : 580/1 .

(3) هود : 35 .

(4) روح المعاني : 81/12 .

(5) إرشاد العقل السليم :217/4 .

والمفردة في التركيب هي التي تفضي إلى ثراء المعنى نتيجة لارتباطها بما يجاورها من ألفاظ ، وذلك ما يجعل وظيفتها في سياق التركيب ذات فاعلية ، ومن هنا فإن لكل كلمة معناها الأساس والسياقي الذي يحدد معنى التركيب ، ومن ثم فان ارتباط التركيب النحوي بالسياق يمنحه المعنى الأسلوبي[1] .

فقد يشكل الفعل في التركيب الاسمي أسلوبا إنزياحيا تتشكل به الدلالة التي لا تتم إلا به ، كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾[2] .

فالفعل (يمدد) له دلالة في وسط التركيب الاسمي ؛ إذ أشعر بأن الله سبحانه وتعالى بإمهاله لهم في طغيانهم في الضلالة،يمهد في استدراجهم قطعا للمعاذير[3].

وقد يأخذ هذا الإنزياح الأسلوبي شكلا آخر بتقديم الخبر على المبتدأ ، كما في قوله تعالى : ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾[4] ؛ إذ قدم الخبر (عجب) ، وتأخر المبتدأ (قولهم) ؛ للدلالة على معنى ((القصر والتسجيل من أول الأمر بكون قولهم هذا أمرا عجيبا))[5] .

ومنه قوله تعالى في سياق قصة إبراهيم (عليه السلام) ومحاجته أباه في أمر الأصنام ، وبما أتاه الله من الهدى الفطري ، والمعرفة اليقينية ، واعتزاله أباه، وقومه ، وآلهتهم[6] ، إذ قال تعالى مصورا ذلك بهذا الاستفهام الإنكاري على لسان أبي إبراهيم ، وهو أنه قال ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾[7] .

---

(1) ينظر : الأسلوب والأسلوبية ، بيير جيرو : 43 . 44 .

(2) مريم : 75 .

(3) ينظر : تفسير البيضاوي : 30/4 ، وينظر : إرشاد العقل السليم : 277/5 .

(4) الرعد : 5 .

(5) روح المعاني : 104/13 .

(6) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : 55/14 .

(7) مريم : 46 .

وأول ما يلحظ على السياق الجدلي هو مقابلة استعطاف إبراهيم (عليه السلام) ولطفه في طريقة الإرشاد ، بالفظاظة وغلظة العناد له من قبل أبيه ، إذ بدأ بتقديم الخبر على المبتدأ المصدر بالهمزة ، دلالة على ((إنكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب ، كأنه مما لا يرغب عنها عاقل))[1] ، وكذلك مناداته باسمه في آخر التركيب الاسمي ؛ إذ لم يقابل خطاب إبراهيم (عليه السلام) (يا أبت) بـ(يا بني) ، وفي هذا إشارة إلى الرفض والغلظة .

وقد يقدم الخبر على المبتدأ للتوبيخ،كما في قوله تعالى (أَفَسِحْرٌ هَذَا)[2] ؟ إذ قدم الخبر ؛ لأنه محط الإنكار ومدار التوبيخ ، فقد كانوا يسمون ما جاء به الرسول الكريم من الكتاب ، والوعيد (سحر) ، وبعد أن رأوا ما كذبوا به جاءهم هذا التوبيخ والتقريع[3] .

وقد يحذف المبتدأ من التركيب الاسمي في إشارة إلى الحسم في الرد على المجادلين أولا ، والى كون المجادلين يعرفون ابتداء (المسند إليه) المحذوف من التركيب الاسمي ؛ تعبيرا عن المبالغة في توبيخهم ؛ لمجادلتهم في أمر قد عرفوه ابتداء ثم أنكروه . وفي ذلك الحذف يكون ((تقريرا له وإقامة الحجة عليهم))[4] .

إذ وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بكمال القدرة[5] ، لمن أقروا بأنه سبحانه هو الخالق ، وأقروا بعزته وعلمه ، ثم عبدوا غيره ، وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم[6] .

وقد يحذف المسند إليه من التركيب الاسمي ؛ رغبة من المجادل في تركيز الأنظار على الخبر دون المبتدأ ، وتوجيه معنى التركيب النحوي لغرض المتكلم ،

(1) تفسير البيضاوي : 19/4 .
(2) الطور : 16 .
(3) ينظر : إرشاد العقل السليم : 147/8 .
(4) التبيان في أقسام القرآن : 165/1 .
(5) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : 64/16 .
(6) ينظر : تفسير البغوي : 134/4 .

كما جاء في قول فرعون للسحرة بعد أن آمنوا بـ(موسى) (عليه السلام) : ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى﴾[1] ، قاصدا ((توضيع موسى (عليه السلام) والهزء به ، لأنه لم يكن من التعذيب في شيء ، وأما لإرادة أن إيمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان ، بل كان عن خوف من لدن موسى (عليه السلام) ؛ من حيث رأوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على أنفسهم))[2].

وقد يعمد التركيب الاسمي إلى استعمال الهمزة ، إذ إن دخول الهمزة على البنية ينقلها إلى معنى يختلف عن معنى البنية من دونها أو قبل دخولها ، كما في قوله تعالى : ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[3].

فدخول الهمزة على المبتدأ اسم الإشارة (هذا) في التركيب الاسمي أفصح عن مشاعر المجادلين إزاء نبيهم ، إذ عبرت دلالة التحقير والهزء لديهم[4] ، فلو لم تكن هذه الهمزة في البناء الاسمي ، لما خرج إلى هذا المعنى والقصد الذي أراده المجادلون . وقد تعبر الهمزة الاستفهامية الداخلة على التركيب الاسمي عن دلالة الإنكار على الإنكار ، كما في قوله تعالى : ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾[5] ، فهو جدل لأصحاب الكتاب الذين أنكروا القرآن الكريم ؛ إذ هو ((إنكار لإنكارهم بعد ظهور كونه كالتوراة ، كأنه قيل : أبعد أن علمتم أن شأنه كشأن التوراة أنتم له منكرون))[6] ؟ .

---

(1) طه : 71 .

(2) إرشاد العقل السليم : 29/6 .

(3) الأنبياء : 26 .

(4) ينظر : إتقان ما يحسن من الأخبار : 558/1 .

(5) الأنبياء : 50 .

(6) إرشاد العقل السليم : 72/6 .

وتأتي الجملة الاسمية في مواضع مؤكدة بعدة مؤكدات ، فضلا عن دلالة الثبات فيها ، كما في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1] .

إذ أكدت الجملة بـ(أن) و(اللام) للدلالة على أن صلاحه مستمر في الدارين ((لا أنه يحدث في الآخر ، والتأكيد بـ(أن واللام) ؛ لما أن الأمور الأخروية خفية عند المخاطبين ، فحاجتها إلى التأكيد أشد من الأمور التي تشاهد آثارها))[2] في الحياة الدنيا .

وقد كثرت الآيات الجدلية المؤكدة ، وخاصة في التركيب الاسمي ؛ لما له من قدرة على تأكيد وإقناع ،في القضايا كلها ، لئلا يبقى للمعاند اللجوج حجة بعدها. ويلحظ أن الجملة الاسمية المنفية المؤكدة أبلغ في الرد من الجملة الفعلية في مقام الجدل ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[3] .

فقد وردت الجملة الاسمية ردا على ما ادعوه من الإيمان ، ونفيه عنهم على الدوام ، فهو ليس أمرا طارئا عليهم ، ولذلك أكد النفي بـ(الباء) في خبر (ما) ، إذ لم يأت الرد بالجملة الفعلية في هذا السياق ؛ لما للتركيب الاسمي من قدرة على إثارة الدلالة المراد إظهارها أمام المدعين ، في إفادة انتفاء الإيمان عنهم في جميع الأزمنة ، وليس في الماضي حسب ، كما تفيده الفعلية ، فضلا عن المبالغة فيه[4] .

فضلا عن أن الجملة الاسمية المنفية الحكم تفيد دوام النفي ، فضلا عن دوام ثبوت الحكم ، ويتجلى ذلك في قوله تعالى : ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾[5] ، إذ أوثرت الجملة الاسمية هنا ؛ لما تفيده من معنى ثبوت الحكم ، وقد صدرت بـ(ما) الحجازية ((لبيان كمال سوء حالهم باستمرار عدم خروجهم عنها ، فان الجملة

(1) البقرة : 130 .
(2) إرشاد العقل السليم : 162/1 .
(3) البقرة : 8 .
(4) ينظر : إرشاد العقل السليم : 40/1 .
(5) المائدة : 37 .

الاسمية الإيجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثبوت ، تفيد السلبية أيضا بمعونة المقام ، دوام النفي لا نفي الدوام))[1] .

وقد يعمد المجادلون إلى أسلوب الحصر في الجملة الاسمية ؛ للمبالغة في الدلالة ، كما في قوله تعالى : ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[2] .

فورد التعبير بأسلوب الحصر للخبر ، ليشير إلى مبالغتهم في وضع رتبة الرسول العالية ((وحطها عن منصب النبوة))[3] . وفي ذلك إشارة إلى ترامي في أحوالهم ((في المكابرة والعناد وإضرابهم عما وصفوه (عليه السلام) به من البشرية ، وإرادة التفضل إلى وصفه بما ترى ، وهم يعرفون أنه (عليه السلام) أرجح الناس عقلا وأرزنهم قولا))[4] .

فالجملة الاسمية في البنية الجدلية ساهمت بإعطاء صورة المشاعر الداخلية لكل من طرفي المجادلة .

(1) إرشاد العقل السليم : 34/3 .

(2) المؤمنون : 24 .

(3) إرشاد العقل السليم : 130/6 .

(4) روح المعاني : 26/18 .

2 . تراكيب الجملة الفعلية

لم تكن الجملة الفعلية أقل من الجملة الاسمية ، في الوقوف على الدلالات التي كانت وراء كل تركيب احتوى الفعلية . وقد حفل بها التعبير القرآني بشكل متناغم وسلس يؤكد علو تركيبه ، ودقته في اختيار التراكيب بما يضع المتلقي أمام النقطة المركزية ، والمحورية من التخاطب ، من دون أن تكون له القدرة على الالتفاف حولها ، أو إلباسها دلالة غير دلالتها . فكانت الجملة الفعلية لذلك نسقا مركز الدلالة ، ففي قوله تعالى : ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾[1] .

فالصورة التي أراد الله سبحانه بيانها في هذه الآية ، هي إظهار عجز الآلهة عن إغنائهم من العذاب ، وهو حدث قد وقع وانتهى ، إلا أن مجيء الفعل المضارع فيها (يدعون) لإعطاء دلالة استمرار العبادة . وفي هذا إشعار بضعف عقولهم[2] . والانتقال من صيغة إلى أخرى ، فيه إشعار بأن ليس لهم القدرة على الاستمرار في الخوض فيه للمجادلة . فتغاير الأفعال وتناقلها أحدث تغيرات دلالية أملتها المواقف الخطابية ، فإيثار صيغة فعل على صيغة فعل آخر ، وإيثار فعل على فعل ، تتوقف على دلالة التركيب .

وقد يحمل الفعل المضارع في الجملة دلالة التبكيت ، كما في قوله تعالى ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم﴾[3] ؟ .

فاعتماد التركيب للحال (يرزقكم) على الماضي (رازقكم) يرجع إلى ما في الفعل المضارع من الدلالة على التجدد ، أي أن الرزق الذي يرزقكم إياه الله يتجدد شيئا بعد شيء[4] .وفي هذا فرصة أكبر لتبكيتهم ،وحملهم على الإقرار بوحدانية

---

(1) هود : 101 .

(2) ينظر : إرشاد العقل السليم : 240/4 .

(3) فاطر : 3 .

(4) ينظر : إتقان ما يحسن من الأخبار : 578/1 .

الله وقدرته تعالى .

وقد يعمد إلى الفعل المضارع في التركيب ؛ لما فيه من دلالة استحضار الحدث كما في قوله تعالى : ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [1] .

فنجد أسلوب المجادلة هنا يرتكز على مواضع تركيبية دقيقة لإنجاح المواجهة وتبكيت المجادل ، ومن ثم محاولة حمله على التفكير العقلي الصائب . ففي الآية الكريمة نجد انه قد استند أولا إلى فعل الرؤية الدال على الإبصار لا على العلم هنا ، وتعليق الأمر المجادل فيه هنا بالإبصار مع كونه ((أمرا عدميا ، للتنبيه على كمال ظهور المستدعي لمزيد من تشنيعهم وتركيك عقولهم))[2] .

فاعتماد صيغة المضارع في التركيب ؛ لما فيه من دلالة ((استحضار تلك الحال الفظيعة في ذهن السامع واستدعاء الإنكار عليهم))[3] .

من ذلك قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾[4] ، فقوله (تثير) صيغة مضارع في سياق جملة تتحدث عن حدث ماض بدليل الفعل الماضي (أرسل) ؛ وذلك ((استحضار لتلك الحالة البديعية الدالة على كمال القدرة والحكمة))[5] ، فصورة الإثارة حاضرة في الذهن ((ماثلة في الخيال ، فيكون ذلك ادعى إلى العظة والاعتبار))[6] .

وقد يعبر عن الحال الماضية بصيغة المضارع للتعجب ، كما في قوله

(1) طه : 89 .
(2) روح المعاني : 249/16 .
(3) المصدر نفسه : 249/16 .
(4) فاطر : 9 .
(5) إرشاد العقل السليم : 145/7 .
(6) المعاني في ضوء أساليب القرآن ، د. عبد الفتاح لاشين : 257 .

تعالى (كَذَلِكَ نَبْلُوهُم)[1] ، أي ((مثل ذلك البلاء العجيب الفظيع ، نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر عدواتهم ، ونؤاخذهم به ، وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية ؛ لاستحضار صورتها والتعجب منها))[2] .

ويدل المضارع أيضا في مواضع على التدرج ، كما في قوله تعالى : (يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ)[3] . فالآية مسوقة لبيان أطوار الخلق المختلفة بيانا للقدرة الإلهية الباهرة . وصيغة المضارع فيها عبرت عن ذلك التدرج في الخلق وتغيره من طور إلى آخر[4] .

ويشير الفعل المضارع الداخلة عليه همزة الاستفهام إلى التوبيخ والإنكار في مواضع ، كما في قوله تعالى : (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ)[5]. فالإيمان ببعض الكتاب والكفر بالبعض الآخر من لدن الكافرين ، الزم مجادلتهم ، وإنكار عملهم ، وتوبيخهم[6] .

والفعل المضارع المؤكد بـ(إن) الداخلة على (ما) ، قد يأتي لبيان بطلان الأمر المجادل فيه ، كما في قوله تعالى : (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا)[7] .

فالآية إشارة إلى بطلان دينهم نفسه بعد ((بيان شريته بالنسبة إلى الدين الحق ، أي إنما تعبدون من دونه تعالى أوثانا ،هي في نفسها تماثيل مصنوعة لكم، ليس فيها وصف غير ذلك))[8] .

---

(1) الأعراف : 164 .
(2) إرشاد العقل السليم : 285/3 .
(3) الزمر : 6 .
(4) ينظر : إرشاد العقل السليم : 243/7 .
(5) البقرة : 85 .
(6) ينظر : إرشاد العقل السليم : 125/1 .
(7) العنكبوت : 17 .
(8) إرشاد العقل السليم : 34/7 .

وقد يدل الفعل المضارع في تركيب الجدل إلى التعريض كما في قوله تعالى ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾[1] . أي : لم يجد أحد منهم واحدا من الأنصار ((وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله تعالى وبأنها غير قادرة على نصرهم وفيه تهكم بهم))[2] .

وقد يدخل النفي على صيغة الفعل المضارع ،إذ تنشأ دلالة مزدوجة عنهما، كالذي في قوله تعالى : ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾[3] ، إذ نفت (ما) الفعل المضارع (تأتي) في سياق يتحدث عن حال ماضية ، قد وقعت ؛ بدليل (كانوا) و(معرضين) . وهي حالة لم تتوقف في الزمن الماضي بل هي متجددة ،فكان التعبير بالمضارع أبلغ من التعبير بالماضي، وذلك ((لبيان كفرهم بآيات الله وإعراضهم عنها بالكلية))[4] .

وقد نفي الفعل المضارع بـ(لا) في تركيب الجملة الفعلية ، لغرض التهكم كالذي في قوله تعالى : ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[5] . فإن (أفلاتبصرون) نوع من التهكم بالكافرين ، إذ أنكروا وحدانية الله تعالى وقدرته ، وكأنه يقول لهم : إن الأمر أمامكم للتحقق . وقد منحت (لا) النافية الداخلة على المضارع معنى الشمول والاتساع ، أي : انفتاح عدم الإبصار على جميع الأزمنة منهم[6] .

---

(1) نوح : 25 .

(2) إرشاد العقل السليم : 41/9 .

(3) الأنعام : 4 .

(4) إرشاد العقل السليم : 109/3 .

(5) الذاريات : 20 . 21 .

(6) ينظر : أساليب النفي في القرآن الكريم ، احمد ماهر البقري : 2 .

وفي آية أخرى نجد تلاحم النفي العمومي بـ(لا) وصيغة المضارع ، فضلا عن أسلوب التعداد ، قد أكسبها الجدل قوة تصل إلى درجة المنتهى ، فلا يستطيع أحد أن يقف بعدها ليجادل بها ؛ إذ قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[1] ، فلو قرأنا هذه الآيات عدة مرات ، وكررنا (لا) + (الفعل المضارع) ، لوجدنا أنها ترسم صورة ذلك الغافل عن الله سبحانه عز وجل ، فهو فاقد لكل مقومات الحياة المرموقة بالعقل والوعي ؛ لدرجة أنهم أصبحوا في ذلك أضل من الأنعام ، فهم إذا الخاسرون للدنيا ولأنفسهم .

وقد يأتي المضارع الدال على التجدد مقترنا بالموصول على سبيل التوكيد؛ كما في قوله تعالى :﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾[2] ؛ إذ جعل ((الصفة موصولا صلته (تجري) ، فعل مضارع يدل على تجدد ذلك الوصف لها في كل وقت يراد منه . وذكر تلك الصفة على سبيل التوكيد ، إذ إن من المعلوم أنها . أي الفلك . لا تجري إلا في البحر))[3] .

وقد يأتي المضارع في تركيب الجملة الفعلية ، حاملا معنى المضي ، وهي عملية تغيير أسلوبي يهدف إلى إثارة الصدمة لدى المتلقي ، ومن ثم تنبيهه على دلالة خاصة نتجت عن هذا التغيير ، التي لولاها لما أنتجته . ومن ذلك أيضا قوله تعالى في اليهود ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[4] ، إذ إن الفعل (سنكتب) ورد بلفظ المستقبل مع أن الذي يقتضيه السياق أن يأتي ماضيا ؛ لأن

(1) الأعراف : 179 .

(2) البقرة : 164 .

(3) البحر المحيط : 465/1 .

(4) آل عمران : 181 .

الحدث ماض بدليل قرينتي السياق (قالوا) و(قتلهم) . إلا أن لفظ المستقبل في الفعل (سنكتب) تضمن المجازاة على ما قالوا ، وهذا فيه من ((التهديد والوعيد ما لا يخفى،ونسب إليهم قتل الأنبياء وإن كان من فعل آبائهم لما كانوا راضين به))[1] .

والجملة الفعلية التي فعلها ماض قد ترد بتراكيب مختلفة ، إذ ورد الفعل تارة في سياق جملة مثبتة للدلالة على التعجب ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾[2] ، ((وهذا تعجب ممن كفر بعيسى ومحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد المعجزات التي ظهرت لهما))[3] .

وقد يكون بدلالة التعريض ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ﴾[4] ، ففيه ((تعريض بغاية أظلمية أهل الكتاب على نحو ما أشير إليه . وفي إطلاق الشهادة مع أن المراد بها ما ذكر من الشهادة المعينة ، تعريض بكتمانهم شهادة الله عز وجل للنبي في التوراة والإنجيل))[5] .

ويأتي الفعل الماضي في مواضع دالا على التحقيق ، كما في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾[6] ، فإنزال ما (يؤمنون) به لم يكن محققا ، ولكن التعبير عن إنزاله بالماضي وهو لم يزل مترقبا نزوله ، أشعر بذلك، وذلك ((التنزيل ما في شرف الوقوع ، لتحقيق منزلة الواقع))[7] .

---

(1) البحر المحيط : 130/3 .

(2) الصف : 7 .

(3) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : 84/18 .

(4) البقرة : 140 .

(5) إرشاد العقل السليم : 33/1 .

(6) البقرة : 4 .

(7) إرشاد العقل السليم : 23/1 .

وقد يكون الفعل الماضي مؤديا دلالة الاستعطاف في الجملة الفعلية كما في قوله تعالى متحدثا عن نفسه : ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[1] ، إذ ورد الفعل الماضي هنا في النسق ، استعطافا للمعرضين من الله سبحانه وتعالى ((للإقبال إليه بالتوبة ، فهو الرحيم الذي لا يعجل عباده بالعقوبة))[2] .

وقد يأتي الفعل الماضي في سياق جملة فعلية منفية ، كما في قوله تعالى ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾[3] ، فالنفي مع الفعل الماضي أشعر بدلالة المبالغة في الإنكار ؛ إذ أنكر اليهود إنزال القرآن[4] .

وقد يتضمن النفي مع الفعل الماضي دلالة التوبيخ ، كما في قوله تعالى ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[5] ، إذ تضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم بالتوراة وذمهم على تجزئتها[6] .

وقد يأتي الفعل الماضي بصيغة المضارع ؛ وذلك لإلزام الحجة ، كما قوله تعالى : ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾[7] ، فلفظ (سيقول) هنا معناه (قال) ، وإنما ورد بلفظ المضارع بدل الماضي ((دلالة على استدامة ذلك وأنهم يستمرون على ذلك القول))[8] ،إذ إن الفعل المضارع كثيرا ما يدل على تجدد الحدث واستمراره.

وورد الفعل بصيغة المضارع إشارة إلى أنه سبحانه محيط بهم ، وبما كان وسيكون منهم ؛ لأنه هو خالقهم . وفي سياق مجادلتهم في هذا الأمر أخذ جوابهم

---

(1) الأنعام : 12 .
(2) جامع البيان : 155/7 .
(3) الأنعام : 91 .
(4) ينظر : الجامع لأحكام القرآن : 148/2 .
(5) الحج : 74 .
(6) ينظر : تفسير البيضاوي : 429/2 .
(7) البقرة : 142 .
(8) الجامع لأحكام القرآن : 148/2 .

من أفواههم ، ولذلك اختيرت لفظة (سيقول) بالمضارع بدل الماضي ، وهذا من قمة أساليب الجدل ؛ إذ يلزم الخصم الحجة بأخذ اعترافه منه هو ، ومن جوابه ذلك أن للمجادلة أساليب متعددة ، فإذا كانت تتحدد بـ((إلزام خصمه الحجة ، كان أوكد الأشياء في ذلك أن يلزمه إياها من قوله))[1] .

ويأتي الفعل في مواضع بصيغته الماضية ، إلا انه يتجاوزها إلى دلالة الحاضر والمستقبل ، كما في قوله تعالى : ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾[2]، فالجعل هنا يراد به ((الجعل المستمر في الأزمنة المتجددة ، حسب تجددها لا الجعل الماضي فقط))[3] .

ويأتي الفعل الماضي أيضا في مواضع للدلالة على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى ، كما في قوله تعالى : ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[4] .

فالأفعال الماضية (بث) و(انزل) و(أنبت) ، قد سيقت كلها في التعبير للاستدلال على عزته سبحانه وتعالى ، وهي كمال القدرة ، وعلى حكمته التي هي كمال العلم[5] .

(1) البرهان في وجوه البيان : 225 .
(2) الأنعام : 96 .
(3) إرشاد العقل السليم : 164/3 .
(4) لقمان : 10 .
(5) ينظر : تفسير البيضاوي : 346/4 .

3 . تراكيب الاستفهام

يراد بالاستفهام طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل[1] ،فهو ما ((يطلب من غيره أن يفهمه))[2] ، وهذا يدل على أن المستفهم ليس في ذهنه المعلومة التي يستفهم عنها ، ويطلب من الآخرين إعانته على فهمها ومعرفتها ، ولكنه في البنية الجدلية يخرج عن هذا المفهوم عند أطراف المجادلة سواء ، أكان الجدل صادرا عن الله سبحانه وتعالى ، أم كان صادرا عن المنكر أو الكافر ، إذ إن الله سبحانه وتعالى لم يخرج في الجدل مع المنكرين بصيغة الاستفهام لطلب معرفة الشيء ، لأنه سبحانه وتعالى هو العالم بأمور الدنيا والآخرة ،والغيب والشهادة ، وإنما ينزل جدله بهذه الصيغة لأغراض أخرى تدل عليها الصيغة الاستفهامية .

وأما المجادلون ، فلم يكونوا بلا علم بوحدانية الله ؛ إذ إنهم فطروا على معرفة هذا الأمر ، ولم يخل زمن من نبي مرسل يذكر بآيات الله ، ويدعو لنبذ الشك به ، وإنما كان جدالهم بصيغة الاستفهام ، يخرج لأغراض التعنت والاستكبار ، وما إلى ذلك من مقاصد وغايات .

ويعد تركيب الاستفهام من أهم التراكيب التي اعتمدها القرآن الكريم في المجادلة ، لما لهذا الأسلوب من قدرة على حمل المجادل على التفكير والتأمل الدلالي ، ليدخل دائرة الاقتناع ، ويسير على خطى الحقيقة بنفسه ، فيصل إلى القناعة الذاتية .

ولم يعتمد في الأسلوب الاستفهامي أدوات الاستفهام وحدها ، وإنما شمل أيضا ، ألفاظ تعبر عن وقوع الاستفهام ، ومنها لفظة (اسئل) كما في قوله تعالى بخطاب مباشر للنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) : ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾[3] . فالله سبحانه وتعالى في خطابه للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله سبحانه) هنا يجعل من الاستفهام طريقا للدخول

(1) ينظر : مباحث في علم المعاني ، محمد طاهر الحمصي : 176 .

(2) مفردات ألفاظ القرآن : 386 . مادة (استفهم) .

(3) الأعراف : 163 .

في مجادلة بني إسرائيل في زمانه ، وهو ليس استفهاما معرفيا ، بل هو استفهام تبكيتي ، إذ إن الله تعالى غير جاهل بحالهم ولا رسوله ، وإنما ورد السؤال لغرض ((التقرير والتوبيخ لا سؤال استفهام))[1] ، وذلك لكي يحمل ((المخاطب على الإقرار بما يعرفه وإلجاؤه إليه))[2] .

وقد تنوعت أدوات الاستفهام في البنية الجدلية لتشمل أغلبها ، ولاسيما الهمزة ، وذلك لما لها من ميزة الدخول المزدوج على الجملة الاسمية والفعلية ، المنفية منها والمثبتة ، لقدرتها على الدخول على معظم حروف العطف[3] . وقد قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[4] ، فخرج الاستفهام في هذا التعبير إلى معنى التقرير والتثبيت ، وقد عمل الاستفهام الداخل على المنفي بلم ، عمل في هذا التقرير ، فإذا أكد سبحانه وتعالى هذا الأمر وحقيقته فإنه ((يؤول في المعنى إلى الإيجاب ، فكأنه يقول قد علمت حقيقة))[5] .

وقد أسس الاستفهام من حيث إنه بنية جدلية يمكن تسميته (قانون حقوق الإنسان) ، وذلك مما جاء في قوله تعالى : ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾[6] ، فهو استفهام ((يراد به التقرير ، وفيه دلالة على أن الله لا يعاقب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه والاستحقاق ، وانه لا يعاقب الأطفال بذنوب الآباء ، وانه كان لا حجة له على الخلق لولا معاصيهم))[7] .

---

(1) التبيان في تفسير القرآن : 12/5 .
(2) مباحث في علم المعاني : 181 .
(3) ينظر : المصدر نفسه : 178 . 179 .
(4) البقرة : 107 .
(5) مجمع البيان : 343/1 .
(6) النساء : 144 .
(7) مجمع البيان : 223/3 .

ومثلما خرج الاستفهام هنا إلى معنى التقرير ، كذلك يخرج في أساليب أخرى إلى معنى الإنكار ، كما في قوله تعالى : ﴿أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾[1]، إذ هو استفهام أريد به الإنكار ((كأنهم أنكروا أن ينهى الإنسان عن عبادة ما عبد آباؤه))[2] . ، فقد ورد الاستفهام هنا بداعي الذم واللوم من لدن المنكرين ، إذ كانوا يرون في هذا النهي ، نهيا عن إقامة سنة من سنن ملتهم ، ومحوا لأظهر مظاهر سلوكهم ((فإن اتخاذ الأوثان من سنن هذا المجتمع المقدسة ، واستمرار إقامة السنن المقدسة من المجتمع ، دليل على أنهم ذووا أصل عريق ثابت ، ووحدة قومه لها استقامة في الرأي والإرادة))[3] .

وقد يرتبط بإنكارهم هنا أمر آخر كالاستهزاء كما في قوله تعالى : ﴿أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾[4] ، فهو استفهام يراد به الإنكار والاستهزاء ، وقد ملئ بالاستغراب ، إذ يجادل الإنسان الكافر بفكرة الإعادة والبعث على جهة الإنكار والاستهزاء ، ويقول ((أإذا ما مت أعادني الله حيا))[5] .

وقد يكون إنكارهم مشفوعا بالتعجيب كما في قوله تعالى : ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾[6] فهو استفهام إنكار وتعجيب ((وذلك أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أبطل عبادة ما كانوا يعبدونه من الآلهة مع الله ، ودعاهم إلى عبادة الله وحده ، فتعجبوا من ذلك حتى قالوا (إن هذا شيء عجاب) ، أي أمر عجيب مفرط في العجب))[7] ، وهذا كله مبني على محدودية فكرهم ، وضيق أفق تصوراتهم ، إذ

(1) هود : 62 .
(2) مجمع البيان : 438/6 .
(3) الميزان في تفسير القرآن : 312/10 .
(4) مريم : 66 .
(5) مجمع البيان : 438/6 .
(6) ص : 5 .
(7) مجمع البيان : 344/8 .

كانوا لا يرتضون من الفكر إلا ما نشأوا عليه ، ولو كان باطلا . وكان (التقليد) الأساس الذي يبنون عليه عقائدهم وسلوكهم بدليل قولهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾[1] .

ويكون الإنكار منهم بداعي التكذيب ، كما في قوله تعالى : ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾[2] ، أي ((لا مرجح عند محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يترجح به علينا ، أفينزل الذكر . عليه . دوننا فهو إنكار الاختصاص بنزول الذكر))[3] .

ويكون إنكارهم بداعي الجحود والتعجب كما في قوله تعالى : ﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا﴾[4] ، فقد ورد استفهام قوم صالح . هنا . على وجه الإنكار ، إذ ((وصفوا أنفسهم في حالة مساوية لأحوالهم ، من هذا ألا يكون أحق بالوحي الذي ينزل عليه فهم دونهم ، وأغفلوا أن الله اعلم بمصالح عباده ، ومن يصلح للقيام برسالته ممن لا يصلح))[5] .

ولعل الاستفهام الإنكاري في البنى الجدلية المقابلة ، أي الإنكار من لدن الله سبحانه وتعالى للمجادلين ، قد ورد بقوة إنكارهم نفسها ، إلا أنه أخذ منحى المفاوضة والرجوع بهم إلى العقل ؛ ليكون محطة التغيير أو التعريض بهم وبمصيرهم ، لتحديد الموقف الإلهي منهم . فقد جاء قوله تعالى مجادلا من استعجب من اتخاذ الرسل من البشر بقوله : ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾[6] ،

---

(1) الزخرف : 22 .

(2) ص : 8 .

(3) الميزان في تفسير القرآن : 183/17 .

(4) القمر : 25 .

(5) التبيان في تفسير القرآن : 452/9 .

(6) يونس : 2 .

فالهمزة الاستفهامية الداخلة على الفعل الماضي (كان) خرجت إلى معنى الإنكار[1] . ونظيره قوله تعالى : ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُم بِهِ﴾[2] ، فهو إنكار للذين يؤمنون بالله في وقت البأس ، بعد وقوع العذاب المقدر الموقوت .

كما ورد إنكارهم مشوبا بالجحد ، ورد إنكار الله سبحانه وتعالى ، وهو يحمل ذلك المفهوم في قوله تعالى : ﴿لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ﴾[3] ، فهو استفهام يراد به الجحد والإنكار ؛ إذ إنهم يشركون بالله على الرغم من ظهور الأدلة ، وقيام الحجة بوحدانية الله سبحانه وتعالى[4] . وهذا الجحد من لدن الباري عز وجل ، لم يكن كجحودهم ؛ إذ ورد بعد عرض الحجج والأدلة ، على حين أن جحودهم قام على الرفض والعناد .

وقد يحمل الإنكار في صيغة الاستفهام معنى التبكيت للمجادلين ، ومنه قوله تعالى في الكلام على الشيطان ، ومكائده وإضلاله لكثير من العباد : ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾[5] ؟

وقد كثر اقتران الهمزة الداخلة على أداة النفي (لم) بالفعل المضارع (ترى) في البنية الجدلية الاستفهامية : (ألم تر) لتخرج إلى معنى التقرير . وظاهر الخطاب فيها أنه موجه إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، غير أنه شامل لقومه أيضا ، وهذا من أساليب القرآن في الخطاب .

وإذا رجعنا إلى الصيغة ودلالتها داخل سياق الآيات التي وردت ضمنها ، وجدناها قد تعددت وتنوعت إلى أربع دلالات :

(1) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : 333/5 .
(2) يونس : 51 .
(3) الأنعام : 19 .
(4) ينظر : مجمع البيان : 23/4 .
(5) يس : 62 .

الأولى : ورودها مع أحداث وقضايا لم تدرك بالحواس ، بل مضى زمنها منذ قرون ، وإنما قال سبحانه (ألم تر) فأنزلها منزلة المشاهد المرئي ، بيانا لحدوث مالا يشك فيه ، كما لا يشك في حدوث المرئي بالعين ، كما يقول القائل رأيته بعيني ، وسمعته بأذني ، ولمسته بيدي ، وذقته بلساني . مع أنه قد مضى وقتها وشاهدها معاصروها ، وليس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولا أصحابه ، ولا نحن هؤلاء المتأخرون شاهدناها ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1] .

فهذه الآيات صورة لجدال إبراهيم (عليه السلام) لأكثر الطغاة عتوا في عصره وهو نمرود[2] ، إذ وصل به كفره إلى أن يتخيل انه إله تجب عبادته ، ليخرج الجدل إلى فضاء الطبيعة والظواهر الكونية الواضحة ، وليكون حوارا مكشوفا لصاحب العقل البسيط التفكير قبل العالم ، وقد أطلق على الموقف الذي وقفه هذا الطاغية من إبراهيم (عليه السلام) (محاججة) ، على ما كان يتصور هو في زعمه أن له حجة في ذلك . وفي هذا إشارة إلى غياب عقله ، وطغيان كفره عليه ؛ إذ لم يقف إلا موقف المجادل بالباطل ، مع أنه لا حجة لديه إزاء إبراهيم (عليه السلام)[3] في أي شان من الشؤون .

ومما زاد هذه الصيغة قوة دخول هذا الأسلوب (ألم تر) على حرف الجر (إلى) بقوله (ألم تر إلى الذي) ، وذلك ليحدث دلالة التعجيب من هذا المحاجج بالباطل ؛ إذ يشعر حرف الجر (إلى) هنا بمعنى ((الغاية والنهاية ، فصار الكلام

(1) البقرة : 258 .

(2) ينظر : مجمع البيان : 167/2 .

(3) ينظر : المصدر نفسه : 166/2 .

بمنزلة هل انتهت رؤيتك إلى من هذه صفته ؟ ليدل على بعد وقوع مثله على التعجب منه ؛ لأن التعجب إنما يكون مما استبهم سببه ، ولم تجر به العادة))[1] .

ومن ذلك ما ورد في الحديث عن الأمم السابقة ، وهم هنا بنو إسرائيل بقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾[2] ، وقوله تعالى في عاد قوم هود ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾[3] . فورد الاستفهام هنا ((تنبيها للكفار على ما فعله سبحانه بالأمم السابقة ، لما كفرت بالله وأنبيائه وكانت أطول أعمارا))[4] ، فأنزل هذه الأحداث الغيبية منزلة المشاهد ، لما فيه من دلالة الخبر المتواتر ؛ إذ الإخبار به ((أقوى وسائل العلم وهو الرؤية العينية))[5] . ومما زاد هذا الخبر قوة وروده بأسلوب الاستفهام المنفي ؛ إذ يفيد ذلك التقرير بأبلغ أسلوب[6] .

والثاني :

استعمال صيغة الاستفهام (الم تر) مع ما يشاهد ، وأكثر ما يحدث هذا في الطبيعة ، ولاسيما الطبيعة السماوية ، مع السحاب ، ومع الليل والنهار ، ومنه قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا

(1) مجمع البيان : 166/2 .
(2) البقرة : 246 .
(3) الفجر : 4 .
(4) مجمع البيان : 348/10 .
(5) بنى القصص والدلالات : 310 .
(6) ينظر : الكشاف : 291/1 ، وينظر : صفاء الكلمة : 89 . 91 .

كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾[1] ، وقوله تعالى ك ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾[2] .

فيضع . سبحانه . هذه الظواهر الكونية التي لا تخطئها عين ، ولا تغيب عن عقل ، موضع الجدل العملي ، بتراكيب الاستفهام المنفي (ألم تر) ، وكأنه يصل بالمجادلين إلى درجة الحث المتزايد في التفكر في هذا الخلق ، لتكون برهانا ساطعا لا حجة لهم بعده ، وباستعمال فعل (الرؤية) ، لتكون الحجة عامة للخلق جميعهم من غير استثناء وفي جميع الأزمان .

والثالث :

أن تأتي الصيغة فيما يتعلق بسلوك الكافرين ، وهو على نوعين ، أما سلوك فعلي/عملي ، كعبادة الأصنام مثلا ، كالذي ورد في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[3] . ثم بين سبحانه أنهم يخالفون هذا الاعتقاد . وأما أن يكون سلوكا قوليا كأن ينطقوا بما هو كفر وشرك بالله ، كالاعتقاد بأن الآلهة تضر أو تنفع . ومنه سلوك الذين (بدلوا نعمة الله كفرا) ، إذ قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾[4] ، وفيه من الإنكار عليهم والتعجب من فعلهم ، وقيل إن هذه النعمة بعث الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إليهم فبدلوها كفرا[5] .

---

(1) لقمان : 20 .

(2) لقمان : 29 ، وينظر في هذا المعنى : الزمر : 21 ، والملك : 19 .

(3) النساء : 60 .

(4) إبراهيم : 28 .

(5) ينظر : مجمع البيان : 77/6 .

والرابع :

مجيء الصيغة الاستفهامية بمعنى (العلم المحقق) دون أن تعني الرؤية البصرية . ومنه قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[1] ، وهو خطاب للرسول الكريم ، أي هل علمت يا محمد وتحقق ذلك لديك في نفسك اطمئنانا منه[2] .

ومثله قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾[3]،فلم تحصل الرؤية من لدن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) لهذا السجود بالعين المجردة،وإنما تحقق العلم بذلك عبر الدلائل التي في الطبيعة الدالة على ذلك،كحركة الطير ، وحركة الشمس ، وحركة القمر ، والنجوم ، والرياح،والسحاب،وما إلى ذلك مما يشهد بهذا الخضوع إلى الإله الواحد سبحانه. ولهذا عبر عنه القرآن الكريم بالسجود،كما عبر عنه في موضع آخر بالتسبيح[4].

وقد ورد الاستفهام أيضا بالهمزة المقترنة بفعل الرؤيا الماضي (رأى) بقوله تعالى (أرأيتم) ، مما يشير إلى دلالة طلب الإخبار ، وكان المراد : أخبرني[5] ، فالأمر أبعد هذه الصيغة عن دلالة الرؤية البصرية أو القلبية في الأغلب[6] .

وقد كثرت في التعبير القرآني المواجهات الجدلية المفتتحة بـ(أرأيتم) ، فضلا عن اقترانها بحرف الشرط الدال على الشك (إن)[7] ،مما أعطى هذه المواجهة قوة الأسلوب العقلي الرصين ، إذ بهذا النسق التركيبي يبدأ سبحانه وتعالى في استحالة المجادلين

---

(1) المجادلة : 7 .
(2) ينظر : مجمع البيان : 412/9 .
(3) الحج : 18 .
(4) ينظر : النور : 41 .
(5) ينظر : الكتاب : 1/ 99 ، 239 .
(6) ينظر : معاني القرآن ، للأخفش : 275/1 .
(7) ينظر : شرح المفصل : 4/9 .

للاقتناع والدخول في عملية التأمل والتفكر ، والرجوع إلى النهج الإلهي القويم ، ومنه قوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[1] ، ومنه قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2] .

وقد عمل هذا النسق بصورة تراكمات استفهامية داخل سورة واحدة وبمسافات متفاوتة ؛ ليعمل على وضع المجادل أمام عقله بدل الانسياق وراء ثورته الفارغة لمجرد التعنت ، وهو ما نجده في سورة الواقعة ، إذ قابل الله سبحانه بأسلوب الاستفهام (أرأيتم) المنكرين لوحدانيته تعالى ليضعهم أمام الحقائق، فكان هذا التركيب من أنسب التراكيب التي يواجهه بها ((الوجدان الثائر للمنكر وانفعاله المحتدم))[3]، إبان لحظات الحجاج العقلي الذي يعالج الأحكام المبنية على العاطفة ، فيعيدها إلى حقل التأمل والعقل ، إذ قال تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ ، و﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾ ، و﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ ،و ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾[4] .

ومن خلال الاستفهام بالهمزة التي شخصت في كثير من الخطابات القرآنية، كونها بنية جدلية ، دفعت للتأمل ، فضلا عن عملية الحث للمنكرين على التأمل في سنن الله تعالى كما قال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ

(1) القصص : 71 . 72 .

(2) الملك : 28 ، وينظر : فصلت : 52 .

(3) أساليب الاستفهام في القرآن الكريم : 33 . 34 .

(4) الواقعة : 58 ، 63 ، 68 ، 71 .

عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ)[1] ، ومنه ما خرج إلى معنى التنبيه كما في قوله تعالى : (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ)[2] . ففيه تنبيه على ما يجب أن يعلم المخاطب إذا رجع إلى نفسه ، وفكر فيما نبه عليه (علم وجوب) ، وإنما وجب أن يعلم أن الله يقبل التوبة ؛ لأنه إذا علم ذلك كان ذلك داعيا له إلى فعل التوبة والتمسك بها ، والمسارعة إليها[3] .

ولأداة الاستفهام (هل) أثرها في البنية الجدلية بخروجها إلى معان ، منها النفي كما في قوله تعالى : (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)[4] ، فهو استفهام تقريري جيء به ليقر المتلقون بأنه لا خالق إلا الله ، يرزق من في السماء بالمطر ، ومن في الأرض بالنبات[5] .

وقد يكون الاستفهام بها في محض الجدل عما كان قد حدث ، ومنه قوله تعالى : (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ)[6] ، وقد يكون الاستفهام بها عما لم يحدث من الأمور بعد ،بأن يكون الجدل بها في أمور مستقبلية وليست آنية، مثل الجدل معهم لتقرير يوم القيامة كقوله تعالى : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ)[7] ، وقد يكون هنا الاستفهام قد خرج إلى معنى الاستعظام ، فأريد به التعجيب من أمر الغاشية تشويقا إلى استماع خبرها[8] .

---

(1) فاطر : 44 .
(2) التوبة : 104 .
(3) ينظر : مجمع البيان : 118/5 .
(4) فاطر : 3 .
(5) ينظر : مجمع البيان : 232/8 .
(6) ص : 21 .
(7) الغاشية : 1 .
(8) ينظر : إرشاد العقل السليم : 148/9 .

وقد وردت البنية الجدلية كثيرا بصيغة السؤال والجواب بأسلوب التلقين كما في قوله تعالى : ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾[1] ، فالسائل هو نفسه المجيب ، إذ قال ابتداء (قل لمن) ؟ ، ثم قال بعد ذلك في السياق (قل لله) .

(1) الأنعام : 12 .

4 . التركيب الشرطي

يمكن أن نضع بنية الشرط في إطار تعريفي موجز بأن نقول : هي المعنى المحصل من خلال جملتين لا تتجزءان ((فالأداة تدخل على هاتين الجملتين فتربط إحداهما بالأخرى وتصيرهما جملة واحدة))[1] ، ولا يمكن أن يتحقق معنى الجزاء أو الجواب بينهما ، إلا بعد أن يتحقق معنى الشرط ، سواء أكان الشرط سببا في تحقق الجواب والجزاء أم لم يكن . فهو فكرة واحدة مستخلصة من جملتين .

ذلك أنه ((أسلوب إنشائي أو خبري ، بحسب القرائن وتركيب مبني على تآلف جمل إسنادية بسيطة مع بعضها أو مع جمل غير إسنادية بعلاقة مركبة))[2].

وقد تعددت أنماط الجملة الشرطية في البنية الجدلية ، بتعدد أسلوب الإقناع أو المجادلة من البنية نفسها . إذ قد يكون النمط التركيبي على الشكل الآتي :

الأداة + جملة الشرط (فعلية فعلها ماض) + جملة جواب الشرط (فعلية فعلها مضارع)

كالذي في قوله تعالى : ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[3] .

فالتركيب الشرطي بأجمعه أحدث دلالة القدرة الإلهية على هذا الأمر (في اتخاذ بناء السماء والأرض لهوا) ، فبهذا التركيب دل على أن هذا الأمر من الأمور ((التي لا يشك في كونها))[4] وحدوثها ، ففيه إشارة إلى القدرة الإلهية .

فأداة الشرط (لو) أدت معنى يتلاءم مع الدلالة ؛ إذ أشارت إلى ((فرض منتف على سبيل الواقع))[5] ، أي أن اتخاذ اللهو في بناء السماء والأرض من لدن الباري عز وجل فرضي ، يمكن أن يحدث ، أي أنه ليس بمستحيل عليه سبحانه هذا ولا غيره ، وهو ما أعطى دلالة القدرة الإلهية أولا ، ولكنه أمر ليس محقق الوقوع في

(1) شرح المفصل : 156/8 .
(2) الجملة الشرطية في الشعر العراقي المعاصر ، رسالة ماجستير : 52 .
(3) الأنبياء : 17 .
(4) الجملة الشرطية في الشعر العراقي المعاصر : 132 .
(5) المصدر نفسه : 83 .

التعبير بدليل الجواب الذي ذيلت به جملة جواب الشرط ، وهو قوله تعالى : ((إن كُنَّا فَاعِلِينَ)) إذ (إنْ) هنا ((نافية ، والجملة كالنتيجة للشرطية))[1] . واعتماد الأداة (لو) في هذا التركيب الجدلي له خصوصيته ، وإذا علمنا أن (لو) تفيد تقييد الشرطية بالزمن الماضي[2] . والتركيب في جداله يؤكد إمكان اتخاذ (اللهو) لو شاء الله سبحانه ذلك ابتداء ،حتى قبل أن يواجه بأي جدل أو تحد معين، فهو في قدرته ولا يمنعه من إحداثه وإيقاعه مانع .

وارتباط الأداة (لو) بفعل ماض ، فيه إشارة إلى كونها امتناعية[3] ، ومجيء فعلي جملة الشرط وجوابه بالدلالة الماضية ، في إشارة إلى تصوير الأمر بأنه أقرب ما يكون إلى الحقيقة ، وفيه دلالة التمكن الفعلي على الأمر ، وتثبيته في نفس المتلقي ، بحيث لا يخرج من بعده إلى الشك فيه .

ويمكن أن نقول إن استعمال الفعل الماضي في جملتي الشرط ، فيه إشارة إلى عدم حدوثهما أبدا ، فالأفعال الماضية في التراكيب ماضية لفظا ومعنى ، لتنزهه سبحانه عن هذا الأمر ، بدليل (اللام) الرابطة بين الجملتين ، إذ فيها ((إشعار بأن الثانية لازمة للأولى))[4] . فهو أمر لم يكن ليحدث أبدا مع استطاعته سبحانه على ذلك ، فالتركيب الشرطي إذن أدى دلالتين معا ، الأولى تأكيد القدرة الإلهية على أي أمر قد يتصوره المجادل . والثانية ورود التركيب في مقام التعليل للنفي في الآية التي تسبقه : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾[5] . وذلك ليتم البرهان على المعاد ، ثم النبوة ، في إشارة إلى أن ((للناس رجوعا إلى الله وحسابا على أعمالهم ليجازوا عليها ثوابا وعقابا ، فمن الواجب أن يكون هناك نبوة ودعوة ليدلوا بها إلى ما يجازون عليه من الاعتقاد والعمل ، فالمعاد هو الغرض من الخلقة الموجب للنبوة

(1) تفسير البيضاوي : 86/4 .
(2) ينظر : النحو الوافي ، عباس حسن : 491/4 . 494 .
(3) ينظر : المصدر نفسه : 495 .
(4) البرهان في علوم القرآن : 372/4 .
(5) الأنبياء : 16 .

،ولو لم يكن معادا لم يكن للخلقة غرض وغاية، ولكانت الخلقة لعبا ولهوا منه تعالى وهو غير جائز))[1] ، عليه سبحانه ، وغير لائق بذاته العلية .

وقد يكون تركيب الجملة الشرطية على النمط الآتي :

أداة شرط + جملة الشرط فعلية فعلها مضارع + جملة جواب الشرط فعلية فعلها مضارع

وقد عده النحاة التركيب الأساسي في الشرط العربي ، فكما يذكر أن ((الشرط لا يقع إلا على فعل لم يقع))[2] ، ومنه قوله تعالى : ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [3].

فالتركيب صور دلالة القدرة الإلهية على الإخضاع القسري ، وما يصاحب هذا الإخضاع من شعور بالرهبة والخوف وما ينتج عنه من ألم نفسي[4] لدى المنكرين لوحدانية الله تعالى وقدرته ، وبناء التركيب على الفعلين المضارعين في الجملتين الشرطيتين ، فتح دلالة القدرة على أزمان متعددة ومتواصلة ، وهذا ما زاد التركيب قوة في دلالته على القدرة الإلهية في أي أمر كان .

وقد مثلت (إن) في هذا البناء التركيبي دلالة تأكيد الأمر ، بدخولها على الفعل المضارع ، الذي يصور الأمر،وهو يحدث أمام الأعين ، أو أنه سيحدث في أية لحظة ، فأداة الشرط (إن) تجاوزت عن المعنى الذي حدده لها النحاة من أنها ((للمشكوك فيه))[5] حسب ، إذ إنها قد تخرج إلى عدة معان بحسب التركيب الذي ترد فيه ، وهذا يؤكد أن الأداة ربما لا تتصف بدلالة معينة ثابتة على معنى ما[6] .

(1) الميزان في تفسير القرآن : 257/14 .
(2) المقتضب ، المبرد : 50/2 .
(3) الشعراء : 4 .
(4) ينظر : تفسير البيضاوي : 231/4 .
(5) شرح المفصل : 4/9 .
(6) ينظر : الجملة الشرطية في الشعر العراقي المعاصر ، رسالة ماجستير : 79 .

وقد تتركب البنية الجدلية الشرطية من الآتي :

أداة الشرط + جملة الشرط فعلية فعلها ماض + جملة جواب الشرط فعلية فعلها مضارع .

كالذي في قوله تعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام) مجادلا قومه لبيان خطئهم بعبادة الأوثان ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾[1] ، فبهذا التركيب الشرطي ألزم إبراهيم (عليه السلام) مجادليه بالحجة ، فضلا عن تنبيههم ((على فساد اعتقادهم . بأن . يبين أن من لا يتكلم ولا يعلم ، لا يستحق أن يعبد))[2] ، ولو نظرنا إلى التركيب الشرطي لوجدنا فيه انتقالا من صيغة إلى أخرى مختلفة في الزمن ، فهي إذن عملية هبوط ثم صعود مستقبل

إن ماض

وهو ما يمثل عملية الانتقال بالفكر من شيء قار إلى أمر آخر جديد ، فوجود صيغة الماضي في جملة الشرط فيه دلالة على عدم قدرتهم . الأصنام . على النطق منذ أول وجودهم ، وحتى ساعة الجدل . وفيه دلالة باطنية ، هي عدم الانتفاع بهم منذ بدء العبادة لهم ، ثم انتقاله في الحجة إلى صيغة المضارع تبكيتا لهم . فالقدرة على النطق الآنية (وقت الجدل) هي المطلوبة دون إرجاء لها ، أو القول بأنها كانت تنطق قبل هذا ، فهي لابد أن تكون حاضرة أمام أطراف الجدل .

والملاحظ في الأسلوب هنا دقة استعمال الألفاظ فيها ، ومنها اختيار لفظة (النطق) دون السمع أو العقل . فعلى الرغم من أن السؤال موقوف على السمع أو العقل ، إلا انه ألزمهم النطق ليظهر به عجزهم تبكيتا للمجادلين[3] .

وتأخذ بنية الجدل الشرطية نمطا آخر هو الآتي :

(1) الأنبياء : 63 .

(2) الجامع لأحكام القرآن : 300/11 .

(3) ينظر : إرشاد العقل السليم : 75/6 .

أداة شرط + جملة فعلية فعلها ماض + جملة جواب الشرط جملة اسمية

كما في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾[1]،فمن خلال التركيب الشرطي أخذت البنية الجدلية طريقها إلى المجادلين في طريقين :طريق نفسي،وآخر عقلي.

فأما الطريق النفسي فقد تمثل بالأداة (إن) الدالة في هذا السياق على الشك واحتمال الوقوع ، ودالة كذلك بالفعل الماضي (كنتم) الذي بين دلالة الحدث المشكوك في وقوعه ؛ إذ أصبح في هذه الحال ((كالمستقبل في عدم وقوعه))[2] ، فضلا عن لفظة (ريب) المنكرة ، إذ رسم هذا التركيب شعور المجادلين الذي تمثل بانتفاء فكرة رفض البعث في أنفسهم ، برغم عنادهم ومكابرتهم ، فرفضهم هذا مشكوك فيه إذ هم مرتابون في أمره ، وذلك لوضوح الدلائل عليه[3]، إذ أظهر إلى السطح من خلال هذا النمط التركيبي ، وانتقاله في جملة الجواب إلى الجملة الاسمية الدالة على الدوام والثبوت[4] ، أكد قدرته تعالى على إعادة الخلق ؛ استنادا إلى قدرته على الخلق الأول ((فالدليل على صحة أنا خلقنا أصلكم))[5] .

وقد يعمد التركيب الشرطي في البنية الجدلية إلى الأسلوب التقابلي ؛ ليظهر الدلالة الباطنية كما في قوله تعالى ﴿إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾[6] . فالتقابل بين الإخفاء والإبداء يحمل دلالة التعميم ، أي العلمية بكل أمر ، صغر أم كبر ، ظهر أم خفي ، قيل أم لم يقل . من لدنه . سبحانه وتعالى ، فلم

(1) الحج : 5 .

(2) الاستثناء والشرط ، رسالة ماجستير : 194 .

(3) ينظر : روح المعاني : 115/17 ، وينظر : إرشاد العقل السليم : 93/6 .

(4) ينظر : في النحو العربي نقد وتوجيه : 41 . 42 ، وينظر : في النحو العربي قواعد وتطبيق : 86 .

(5) مجمع البيان : 124/7 .

(6) آل عمران : 29 .

ترتبط جملتا الشرط لقصد التعليق هنا ((إذ لا يعلق حقيقة الشيء ونقيضه معا ، بل المراد التعميم))[1] .

ومن الأنماط الشرطية الأخرى ، ذلك النمط الذي يتركب بالشكل الآتي :

الأداة + جملة الشرط فعلية فعلها مضارع + جملة الجواب فعلية فعلها ماض .

ومنه قوله تعالى : ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾[2] ، إذ تبقى الدلالة على القدرة الإلهية هي المحصل الأول من تراكيب الجدل ، إلا أن إظهار هذه القدرة يأتي من عدة جوانب ، تعرض من خلال التراكيب المتنوعة ، فقد أريد من هذا التركيب إبراز القدرة الإلهية إزاء المنكرين ، بما يملكون من أموال وحرث ، ولابد من أن يبرز هذا الجانب من خلال التركيب ينقل معه متلقيه إلى الإيمان بصدق هذا الأمر . ولهذا بدأ تركيب الشرط بالأداة (لو) الدالة هنا على أنها ((حرف لما كان سيقع لوقوع غيره))[3] ، وهو جعل الزرع حطاما ، لو شاء الله سبحانه ، إلا إنه يؤخره لموعد تشتد فيه عليهم العقوبة ، وهو وقت حصاده وإثماره ، وهذا أكثر إيلاما لهم ، بدليل (اللام) في جواب الشرط ؛ إذ هي (لام) تسويف دالة على تأخير وقوع الجواب عن الشرط وتراخيه عنه ، إذ إن إسقاطها دل على التعجيل ، أي أن الجواب يقع بعد الشرط بلا مهلة ، كما في قوله تعالى ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً﴾[4] ، أي ملحا ،((أي لوقته في المزن من غير تأخير، والفائدة في تأخير جعله حطاما ، وتقديم جعله أجاجا لتشديد العقوبة ،أي: إذا استوى الزرع على سوقه وقويت به الأطماع جعلناه حطاما))[5] .

وتردد البنية بين المضارع والماضي تنقل نفوس المجادلين في حركة ترددية بين الشك وبين اليقين ، فصيغة المضارع عبرت عن المستقبل ودلالة احتمال

(1) حاشية الصبان الأشموني : 9/4 .

(2) الواقعة : 65 .

(3) إتقان ما يحسن من الأخبار : 509/1 .

(4) الواقعة : 70 .

(5) البرهان في علوم القرآن : 337/4 . 338 .

الحدوث (لو نشاء) ، إلا أن هذه الاحتمالية قطعت بورود صيغة الماضي (لجعلناه) تعبيرا عن تحقيق الحدث .

وقد اتبع القرآن الكريم أسلوبا رائعا في بنية الشرط الجدلية ؛ إذ أورد شرطين وجوابهما واحد في تركيب شرطي ، تمثل في قوله تعالى ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ... * فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[1].

فهو تركيب ذو دلالة على العجز عن الأمر ، فقوله ((تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ)) ، جواب للشرطين : (فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ) ، و(فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ) ، ((على تأويل فلولا إذا بلغت الحلقوم تردونها إلى موضعها إن كنتم غير محاسبين ولا مجزيين ، كما تزعمون ، يقول تعالى إن كان الأمر كما تزعمون أنه لا بعث ، ولا حساب ، ولا جزاء ، ولا إله يقوم بذلك ، فهلا تردون نفس من يعز عليكم إذا بلغت الحلقوم ، فإذا لم يمكنكم في ذلك بوجه من الوجوه فهل دلكم ذلك على أن الأمر إلى مليك قادر قاهر متصرف فيكم))[2] .

(1) الواقعة : 83 . 87 .

(2) التبيان في أقسام القرآن : 150/1 .

5 . تراكيب تقابلية

المقابلة في اللغة مأخوذة من قبل ، وهو ما قابلك من جبل ، وعلو من الأرض ، وقد قيل : قبلا وقبلا وقبلا مواجهة وعيانا[1] .

والمقابلة أو التقابل لدى قدماء اللغويين والبلاغيين اصطلاحا تغني ((إيراد الكلام ، ثم مقابلته بمثله في المعنى أو اللفظ ، على جهة الموافقة أو المخالفة))[2] ، إذ قد ((يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقبلهما ، أو يقابلهما على الترتيب ، المراد بالتوافق خلاف التقابل))[3] فهذا لدى قدماء اللغويين والبلاغيين .

وأما مفهوم التقابل في العصر الحديث ، فيعني التضاد بين اللفظين أو تركيبين ، أما بطريق الخلاف ، أو بطريق الضد[4] ، وغير ذلك .

وقد استعمل القرآن المقابلة أسلوبا مهما في عرض الأطراف الجدلية ؛ لوضع كل طرف منها في جانب معين ، وذلك لإظهاره بصورته الحقيقية التي لا يمكن أن يشوبها أي خلل ، وذلك من أجل الوصول بالمتلقي إلى حقيقة كل طرف، إن كان على باطل ، أو كان على حق .ذلك أن التخالف الذي ((يستمد دلالته الاستدعائية من تشكيل طبيعته التركيبية القائمة على الدال الحاضر ، والدال والغائب ، متمثلين في طرفيها المثبتين في البناء اللغوي اللذين يمثلان الدال الحاضر ، وفي طرفين متقابلين لهما يمثلان الدالين الغائبين))[5] .

وقد اتخذ التقابل في البنية الجدلية أنماطا متعددة ، إذ لم يعتمد نمطا تركيبيا محددا ، وإنما اتسع ليشمل أكثر الأنماط تعقيدا من اجل وضع المتلقي في دائرة الإقناع المتمثلة بالأدلة العقلية منها والحسية ؛ ليلقي عليه الحجة ، ويعد المجادل بعدها خارجا عن الحق إن جادل فيها رافضا .

فمن تقابل النمط البسيط الذي يعتمد المفردات المتقابلة ، تقابل التضاد

---

(1) ينظر : جمهرة اللغة : 232 ، وأساس البلاغة : 226/2 (مادة قبل) .

(2) كتاب الصناعتين : 346 .

(3) الإيضاح : 353 .

(4) ينظر: الترغيب والترهيب في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير : 207 .

(5) التقابل والتماثل في القرآن الكريم ، فايز القرعان : 328 .

اللفظي الذي ((يتكون من كلمة تقابل أخرى من جهة التضاد في اللفظ والمعنى ، ويدخل ضمن هذا التقابل ما كان من جهة النفي أو الأمر والنهي ؛ على أن تكون الكلمتان متضادتين في الأصل قبل دخولهما سياق التركيب))[1] ، وتمثل ذلك في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾[2] .

فقد تقابل اللفظان المتضادان (مستقدمين) و(مستأخرين) وفي تقابل المتضادين على مستوى العبارة وهو (الحضور) ، كذلك هذا التضاد على المستوى الذهني وهو (الغياب) ؛ إذ بمجرد ذكر هذين التقابلين سيظهر على المستوى الذهني ضد مختزن في الذاكرة ليتشكل تقابلا ذهنيا مماثلا لتقابل العبارة إذ إن لفظة (المستقدمين) تولد صورة ذهنية وهي (المستأخرين) ، وكذلك الحال مع لفظة (المستأخرين) ، فإنها تولد صورة ذهنية هي (المستقدمين) كما في الشكل الآتي :

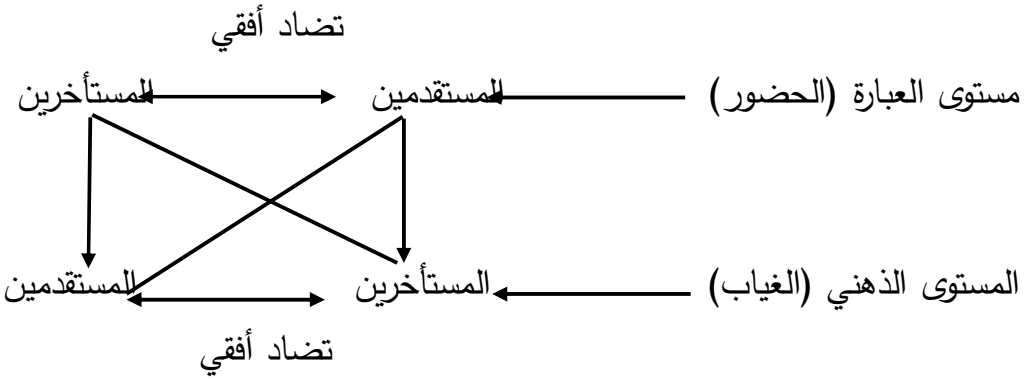

فنلاحظ هنا التضاد العمودي والأفقي ، إذ يمثل التضاد الأفقي تضادا عكسيا معه ، مولدا تضادا عموديا ، وفي الوقت نفسه يحدث علاقات جديدة بين المستويين الأفقي والعمودي ، وهي علاقات التوافق والتماثل بين (المستقدمين) في المستوى الأول (الحضور) ، و(المستقدمين) في المستوى الثاني (الغياب) ، وكذلك تماثل مع المستأخرين في المستويين ، يشكل دائرة متواصلة أو (مغلقة) على المعنى في الآية الكريمة ، معبرة عن حجة قاطعة لبيان كمال علم الله سبحانه وتعالى ، إذ ((بعد

(1) التقابل والتماثل في القرآن الكريم : 78 .

(2) الحجر : 24 .

الاحتجاج على كمال قدرته ، فان ما يدل على قدرته دليل على علمه))[1] ، فالآيات السابقة لهذه الآية الكريمة أخذت في عد النعم الإلهية واصفة التدبير لبيان وحدانيته تعالى في ربوبيته ، فلكي تكتمل دائرة القدرة على الخلق والنظم جيء بقدرته على العلم بمن ((استقدم بالوجود ومن استأخر ، أي المستقدمين من الناس والمتأخرين على ما يفيده السياق))[2] .

ومما زاد الحجة قوة وتأكيدا مجيء فعل (العلم) بصيغة الماضي في الحالتين كلتيهما : حال الاستقدام ، وحال الاستئجار ، بقوله عز وجل : (ولقد علمنا) المؤكد بلام القسم .

ومنه قوله تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا﴾[3] .

فالتضاد اللفظي حاصل بين اللفظتين (أحيا) و(موتها) ، واللفظتان تنتميان إلى زمن واحد هو الزمن الدنيوي ، فهي صورة دنيوية حية توضع أمام المتلقي .

وغن الوحدة التقابلية (أحيا . موتها) تأخذ ترتيبا عكسيا ؛ إذ إن موت الأرض يكون أولا ، ثم يحدث احياؤها بالماء النازل من السماء ، وكلا اللفظين يشكل أيضا تضادا ذهنيا أفقيا ، فمرادف (الإحياء) الموت ، ومرادف (الموت) الإحياء ، كما في الشكل الآتي :

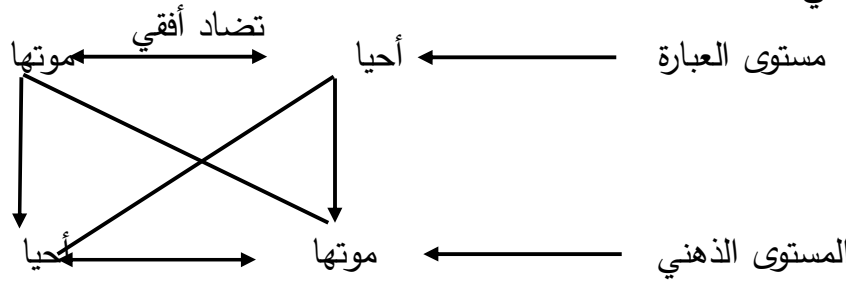

(1) تفسير البيضاوي : 367/3 .

(2) الميزان في تفسير القرآن : 146/12 .

(3) العنكبوت : 63 .

تضاد أفقي

إن هذه التضادات الأفقية والعمودية تكون حلقة متواصلة لتأكيد حقيقة قدرة الله تعالى على الإحياء بعد الموت ، الذي قد عرفه (المنكرون) في حياتهم الدنيا . وتكون حقيقة ظلية لاعترافهم بقدرته سبحانه على البعث والنشور ، فهناك عمل تواصلي بين حلقتي الزمان الدنيوي والأخروي ، فصورة الإحياء بعد الموت للنبات ، مشابهة لصورة إحياء الإنسان بعد موته بقدرته تعالى ، إذ إن فاعلية الإحياء بعد الموت وردت بعد الفعل الماضي (نزل) ، وهذا الإنزال قد جاء (من السماء) ، فهي إذن انعكاس لصورة الزمن الأخروي .

فعملية التقابل الحاصلة في الآية ، وردت في سياق السؤال لتضع الفكرة ((في عملية صريحة بالفكرة المضادة ، ليواجه الانحراف في التصور بقسوة تبعا لما يوحيه ذلك من فظاعة الفكرة المنحرفة ، إزاء وضوح واقعة المقارنة ، مما يجعل أسلوب الحكم القرآني متمثلا في مواجهة الإنسان بالحقيقة بشكل حازم ، من دون أن يسمح له بالتقاط أنفاسه ، لئلا يضيع في متاهات الضلال أو يتخبط في رواسب الماضي))[1] .

وقد اعتمدت المقابلة طريقا برسم أسلوب الجدال للوصول إلى المعرفة وإحقاق الحق ، إذ قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[2] .

فنجد هنا أن الوحدات التقابلية في سياق الآية تتمثل بـ(الحسنة) و(السيئة) ، ومع كل لفظة يستحضر الذهن الضد على الفور قبل مجيء الطرف الآخر[3] ؛ ذلك أن عملية التقابل في التضاد اللفظي تعمل على إنشاء حركتين في الذهن ، هما الحركة العمودية

(1) إرشاد العقل السليم : 46/7 .

(2) فصلت : 33 . 34 .

(3) ينظر : مفتاح العلوم ، السكاكي : 110 .

المتمثلة بالحضور ، والحركة الأفقية المتمثلة بالذهن أو ما يسمى بالغياب . فهناك ((الخط الملفوظ،وهو الخط الأفقي ، والخط التقديري هو الرأسي))[1] .

فالتقابل بين الألفاظ المتضادة يعمل على استحضار الغائب في الذهن بمجرد ذكره ؛ إذ ((حضور النقيض يستدعي حضور نقيضه غيابا ، مما يعطي للتقابل طبيعة تكرارية مزدوجة ، من خلال حركة الذهن بين المتناقضين))[2] .

فبمجرد ذكر لفظة (الحسنة) تأتي في الذهن لفظة (السيئة) ، ، وبمجرد ذكر لفظ (السيئة) تأتي لفظة (الحسنة) في الذهن ، مما يخلق صورة متكاملة ، ومغلقة على هذا المعنى ، في حين تتماثل على المستوى التقاطعي ، مما يؤكد عدم استواء الحسنة والسيئة ، إذ الحسنة تخلق حسنة ، والسيئة تخلق سيئة .

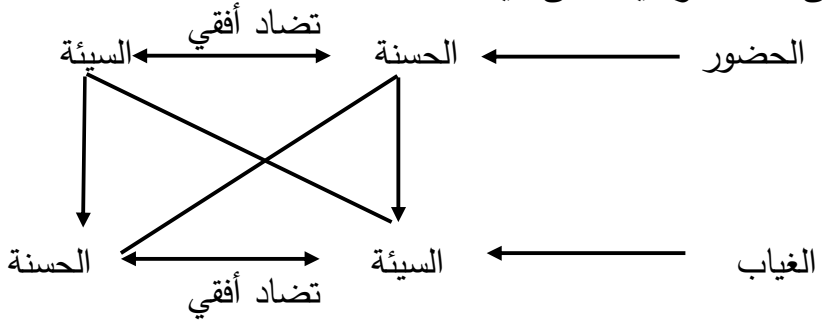

وثمة وحدة تقابلية أخرى في سياق الآية تمثلت بالشكل الآتي :

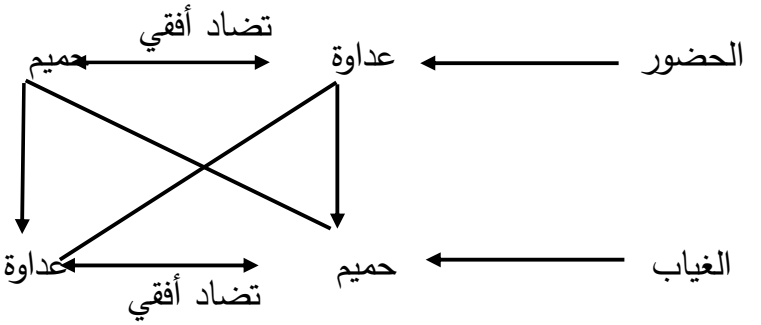

(1) البلاغة العربية ، قراءة أخرى ، محمد عبد المطلب : 356 .

(2) بناء الأسلوب في شعر الحداثة ، التكوين البديعي ، محمد عبد المطلب : 110 . 111 .

وهي أيضا تشكل تقابلا تضاديا على المستويين الأفقي والعمودي في حين تشكل تماثلا على المستوى التقاطعي .

إن جمع التقابلين في سياق آية واحدة ، ينتج عنه تصريح واحد هو نبذ الأسلوب العنيف ، وتأكيد الأسلوب السلمي ، سواء في التخاطب أم في غيره ، إذ يعمل التقابل والتماثل على مستوى واحد في إنتاج هذه الدلالة كما في الشكل :

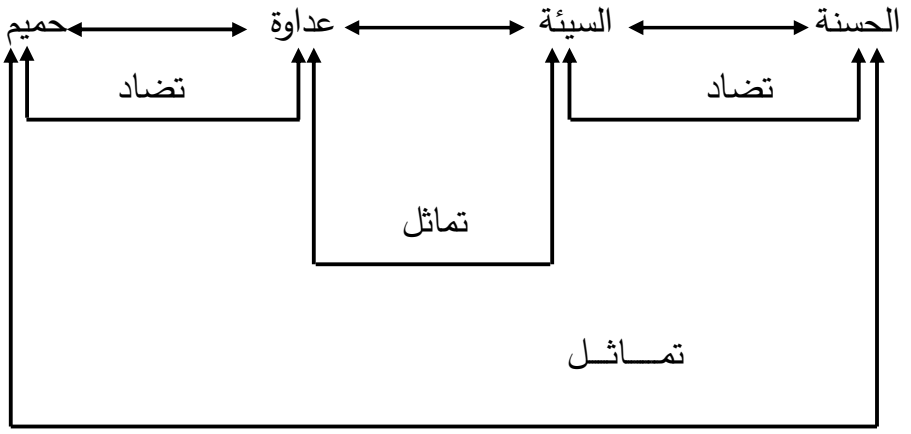

فالمعاملة الحسنة تخلق نوعا من المحبة والقبول والتقبل الفكري والسلوكي على حد سواء ، في حين أن السيئة تخلق عداوة ورفضا .

وقد ورد التركيب التقابلي للنمط البسيط ليشكل محورا أساسيا في أسلوب المجادلة في كثير من الآيات الخطابية الجدلية ؛ إذ كان الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يعتمد أسلوبا رائعا مع خصومه في الجدل ، يجعلهم فيه مائلين إلى الطريق الحق ، دالا بذلك على ((حيوية القاعدة الإسلامية في أسلوب الحوار ، ومرونتها .. وكانت مسيرة الدعوة في الممارسة الرسالية ، خاضعة في خطوطها العامة والخاصة ، لحركة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد كان هو الذي يتولى عملية الجو الطبيعي للحوار وإدارته ، ودفع الدعوة إلى أن تتحرك في إطاره .وبذلك كانت سيرته تجسيدا عمليا لكل القواعد العامة في الفكرة والأسلوب))[1] .

(1) الحوار في القرآن : 55 .

لقد اعتمد الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) الأسلوب العملي في الجدل ، مستندا إلى تركيب التقابل في عرض دعوته ليتحقق إفراغ الأفكار السالفة كلها عن الموقف الذي تدور فيه المجادلة ، ليترك بذلك لكل طرف من الأطراف حرية التحرك ، ومن ثم اتخاذ القرار ، وقد تجلى ذلك في مثل قوله تعالى : ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[1] .

فقد شكل التقابل من خلال الوحدتين (هدى ، ضلال) ، بنية مواجهة حقيقية من خلال ما يحدثه هذا التقابل على مستوى العبارة ، وبما ينتجه من تضاد على المستوى الذهني من خلال حركتي (الحضور والغياب) مكونا تقابلات أفقية وعمودية ، فضلا عن تماثلاته التقاطعية ، بوجود الرابط بينهما ، وهو حرف التخيير (أو) بتوسطه بين ضميري الجدال (نا) في (إنا) و(ايا) في (إياكم) كما في الشكل الآتي :

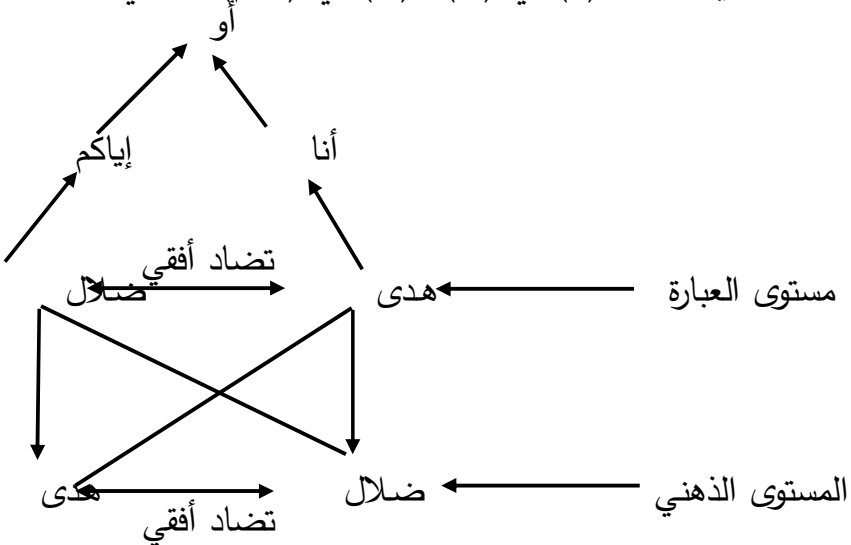

فالتقابل والتماثل في البنية يوحي بقوة المواجهة لكل من الطرفين للأمر ، ليعلن أن على كل طرف إعادة النظر في أمره ، فلم يحدث تقرير من هو الذي على الضلال أو على الهدى ، بل على كل من الطرفين مواجهة الموقف من جديد، من دون عرض أفكار سابقة . ومن ثم القبول بنتيجة المواجهة .

(1) سبأ : 24 .

فعملية التقابل بصورتها هذه قد أفرغت كل طرف من أطراف المواجهة من خزينه ؛ ليتقدم إلى المواجهة ، ثم تبدأ المقارنة ويظهر على أساسها الحق ، أي من هو على الهدى ، ومن هو على الضلال ، إذ كل طرف منهما بريء حتى يدخل دائرة التقابل .

ويعد هذا من قمة الأساليب الجدلية ، ذلك انه يمثل الحرية الفكرية التي أرادها الإسلام للمسلمين ؛ انطلاقا من قواعد سليمة ؛ ((لأنه كلام من لا يكاشف خصمه بالتضليل ، بل ينسب إليه على أحسن وجه ، ويحثه على النظر ولا يجب النظر إلا بعد التردد))[1] .

وقد لا يكون التقابل بالتضاد ، بل يكون بالخلاف ، فمن تقابلات النمط البسيط المتمثل بالتضاد اللفظي ما ورد في قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾[2] .

فالوحدة التقابلية الخلافية تتمثل بـ(الأولين والآخرين) كما في الشكل الآتي:

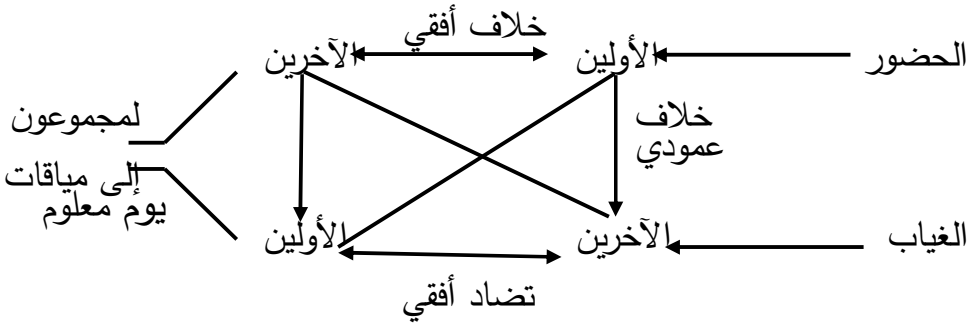

فالتقابل بالخلاف هنا نشأ على مستوى العبارة ، وكذلك على المستوى الذهني ، مولدا تقابلات خلافية أفقية وعمودية ، فضلا عن إحداث التماثل التقاطعي .

والملاحظ أن طرفي التقابل هنا لا يقومان على معنى المواجهة في الخلاف وإنما يقومان على معنى الضم والجمع في سياق جملة واحدة ، مع إبقاء معنى

(1) مجمع البيان : 215/8 .

(2) الواقعة : 49 . 50 .

الخلاف قائما بينهما . والرابط بين طرفي الخلاف واحد هو (الجمع إلى ميقات واحد) ، وهذا هو سر قوة التركيب التقابلي ، والمختلفان يجمعان إلى شيء واحد ، فالقوة تكمن بين طرفي المختلفين (الأولين ،والآخرين) ؛ لما بينهما من بعد زمني، فطرف التقابل الأول وهو (الأولين) يمثل البعد الزمني الماضي ، أي آباء المخاطبين ، ويشمل كذلك غير آباء المخاطبين ، في حين يمثل الطرف التقابلي الثاني (الآخرين) البعد الزمني المستقبلي للمخاطبين ، أي الذين يتأخرون عن زمانهم .

وبما أن دائرة الخلاف غدت مغلقة بتقابلاتها الأفقية ، والعمودية ، وبتماثلاتها التقاطعية لكل من (الأولين)، و(الآخرين) ، فقد أصبح من المؤكد انضمام المخاطب الحاضر إلى هذه الدائرة ، غير خارج عنها ، وفي هذا إمكان لتأكيد قدرة الله سبحانه وتعالى على البعث الذي أنكروه .

فأسلوب التقابل بالخلاف ورد ردا حاسما على أفكارهم وتحقيقا للحق ، وبتقديم الآباء على أنفس المخاطبين والآخرين منهم ، أضاف قوة إلى تركيب التقابل ، إذ إنهم في مجادلتهم في الآية التي سبقت (آية البحث) قدموا إنكار بعث أنفسهم على إنكار بعث آبائهم ؛ استبعادا أكثر له ؛ إذ قال تعالى : ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾[1] .

فلم يكن ذلك البيان لمجرد مراعاة الترتيب الوجودي ، كما يذكر أحد المفسرين[2] ، وإنما ليمنح الرد مصداقية وتأكيدا للقدرة الإلهية ، وكأنه يقول سبحانه إن الأولين الذين ترون صعوبة بعثهم ؛ لبعد زمانهم ، أسرع وأقرب في بعثهم من الذين هم أقرب إلى يوم الجمع ، لو تؤمل فيه .

ومن تقابل الخلاف المعنوي الذي يعتمد اللفظ الذي يعطي المعنى ، واللفظ الآخر الذي يختلف في المعنى المعطى[3] ، ما ورد في قوله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

(1) الواقعة : 47 . 48 .

(2) ينظر : إرشاد العقل السليم : 195/8 .

(3) ينظر : التقابل والتماثل في القرآن : 106 .

أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[1] .

فطرفا التقابل الخلافي هما :

ما بين أيديهم ⟷ وما خلفهم

وهو تقابل بالخلاف الزماني أحدهما متقدم ، والآخر متأخر .

ولم تتحدد دلالة كل طرف بمعنى واحد ، بل إن كل طرف ينفتح على عدة احتمالات فيها أن الطرف الأول (ما بين أيديهم) قد يعني ما مضى من الدنيا ، (وما خلفهم) من الآخرة ، وقد يعني (ما بين أيديهم) الحاضر الذي يعيشونه ، (وما خلفهم) العلم بغيب الذين تقدمهم ، أو الذي يأتي بعدهم . وينفتح على احتمال آخر هو أن ما بين أيديهم عبارة عما لم يأت ، وما خلفهم عبارة عما مضى[2] ، والوجه الأول أولى ، وأقرب إلى واقع اللغة .

على أننا نستطيع أن نقف على المعنى الأقرب من سياق الآية نفسه ، وبما يربطه بما قبله وبعده ، إذ وضع سياق التقابل بين آيتين الأولى ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ ، والآية التي بعدها ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ ، فالآية التقابلية وردت تعليلا لما قبلها وتمهيدا لما بعدها[3] . فهم لا يسبقونه بقول إلا كان علمه عنده ، ولا يقولون شيئا ، إلا إذا كان علمه عنده حاضرا أيضا . فالتقابل يشير بوضوح وجلاء إلى إحاطة الله سبحانه وتعالى بعلم ما كان وما سيكون ، وبأنه سبحانه لا تخفى عليه خافية ، أي ((ما قدموا من أعمالهم وما أخروا منها يعني ما عملوا ، وما هم عاملون))[4] .

---

(1) الأنبياء : 28 .

(2) ينظر : مجمع البيان : 160/2 .

(3) ينظر : تفسير البيضاوي : 90/4 ، وإرشاد العقل السليم : 64/6 .

(4) مجمع البيان : 81/7 .

فالبناء التركيبي لهذا التقابل يكون على الشكل الآتي :

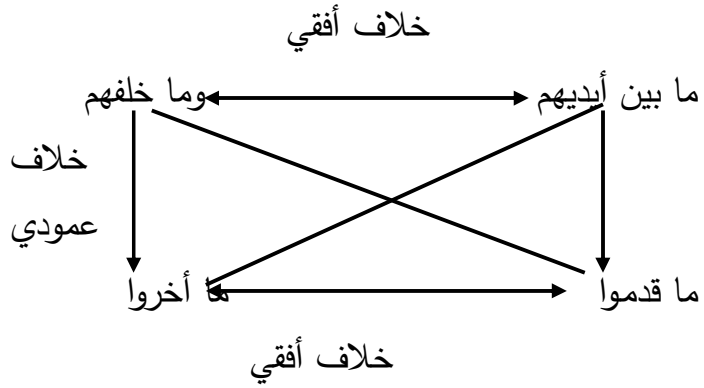

ويلحظ أن التقابل هنا يحمل معنى الضم أيضا ، وليس مجرد المواجهة بدليل (هم) في كلا المتقابلين ، إذ يجمعهما في رابط واحد وهو الفعل المضارع (يعلم) الذي ورد في بداية الآية .

في حين أن طرفي المقابلة نفسه يقع في سياق آخر ، من غير أن يعطي ذلك المعنى ، وإنما ينتقل إلى معنى آخر بحسب القرائن السياقية ، كما في قوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾[1] .

فالطرف الأول (ما بين أيديهم) اشار إلى البعد المكاني حسب ، أي الذي هو أمامهم من منظر يشاهدونه ، ليكون تقابلا بالخلاف مع الطرف الثاني (خلفهم) كما يظهر من الشكل الآتي :

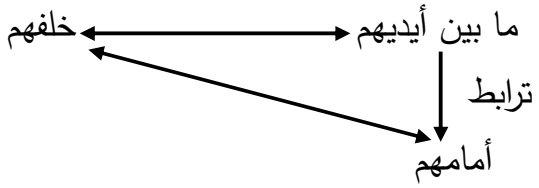

بدليل وجود الفعل (يروا) الذي ورد هنا دالا على الرؤية البصرية أو المعنوية ، وهي التفكر في الشيء ، فضلا عن وجود المتقابلين (السماء والأرض) اللذين وسعا دائرة النظر ، أو دائرة التفكير في الخلق ، إذ يشيران إلى أبعاد مكانية تتجاوز

(1) سبأ : 9 .

أبعاد طرفي المقابلة (الأمام والخلف) ، ذلك أن (السماء والأرض) ينتج عنهما اتجاهات رأسية وأفقية كما في الشكل الآتي :

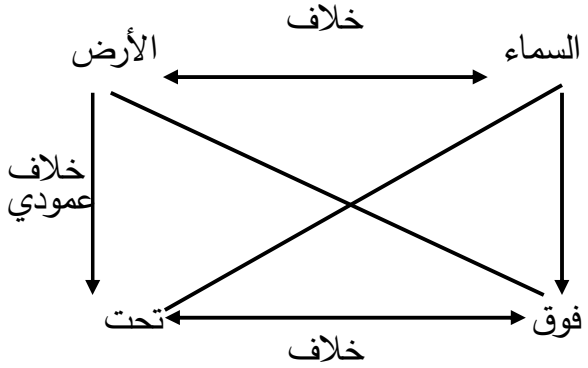

فبوجود المتقابلين المختلفين (السماء والأرض) اتسع مجال المكان المطالب بالنظر فيه ، إذ ضم المختلفان (ما بين أيديهم . وما خلفهم) إلى رابط واحد هو حرف الجر (من) الذي سبق المختلفين الموسعين لمجال النظر ، وهما (السماء والأرض) .

وباستكمال دائرة التقابل الراسية والعمودية ، والأمام ، والخلف تكتمل دائرة الإحاطة بكل شيء للناظر ، فهو في حقيقة الأمر لا ينظر سوى قدرة الله سبحانه في هذا الخلق المحيط به ، ((مما يدل على كمال قدرة الله تعالى))[1] ، ومن هنا لم يبق مجال للإنكار في قدرته سبحانه على صنع كل شيء ، ومن ثم قدرته على إعادة الخلق وبعثه من جديد .

ومن تقابل الخلاف المعنوي قوله تعالى ﴿وَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾[2] .

إذ حدث التقابل المعنوي بين الوحدتين :

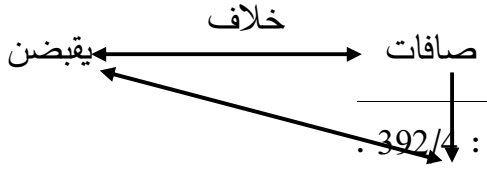

(1) تفسير البيضاوي : 4/392 .

(2) الملك : 19 .

يبسطن

(فالصف) يعني : وضع الأشياء المتوالية على خط مستقيم ، على حين يعني (القبض) جمع الأشياء على حال البسط[1] ، إذ حدث عقد المواجهة بين الطرفين ؛ لأنهما عمليتان متغايرتان ، لينشأ عنهما حركة واحدة هي الطيران .

وفي الإشارة بالفعل المضارع (يمسكهن) ((أعظم دلالة ، وأوضح برهان وحجة بأن من سخر الهواء هذا التسخير على كل شيء قدير))[2] .

ومن أنماط التقابل : (النمط المركب) ، متمثلا بتقابل التضاد المعنوي المركب الذي يتشكل طرفاه من المفرد والتركيب ومن التركيب والتركيب[3] .

فمن أنماط التقابل المعنوي بين المفرد والتركيب قوله تعالى : ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[4]

فهذا النمط أظهر بناء تركيبيا يعتمد (المفرد) في الطرف الأول من التقابل وهو (يتوفى) ، ويعتمد (التركيب) في الطرف الثاني منه ، وهو (يرد إلى أرذل العمر) ، الذي يرادفه البقاء حيا لمدة أطول من المدة التي يعيشها الطرف الأول ، فمن خلال التقابل ظهرت الدلالة الحقيقية لمعنى الطرف الأول ؛ ذلك أن قوله (منكم من يتوفى) من غير الطرف التقابلي الثاني ، الذي قد يشير إلى إمكان بقاء طائفة من البشر أحياء بشكل مطلق ، على حين قد يتوفى فريق آخر ، إلا أن تركيب التقابل وضع الدلالة في قالب محدود ، وفي صورة واحدة ، متمثلة بحركة الموت والحياة بين طرفين متناقضين هنا لا مختلفين ؛ إذ الموت نقيض الحياة . وقد أشارت

(1) ينظر : لسان العرب : 194/9 ، مادة (صف) ، 213/7 . مادة (قبض) .
(2) مجمع البيان : 77/10 .
(3) ينظر : التقابل والتماثل في القرآن الكريم : 126 .
(4) الحج : 5 .

التفاسير إلى أن قوله تعالى : (منكم من يتوفى) أراد به سبحانه انه ((يقبض روحه فيموت في حالة صغره))[1] ، في حين هناك من يصل إلى سن الهرم والضعف ، فيتوقع موته في أية لحظة ، ومع ذلك يطول به العمر . والتركيب الإضافي (أرذل العمر) ، يوحي بأن الإنسان في هذا العمر المتأخر ((لا يرجو بعده صحة وقوة ، وإنما يترقب الموت والفناء ، بخلاف حال الطفولة والضعف الذي يرجى له الكمال والتمام بعدها))[2] .

وهذه الدلالة لم تكن لتظهر إلا من خلال تركيب التقابل الذي بالضد كما في الشكل الآتي :

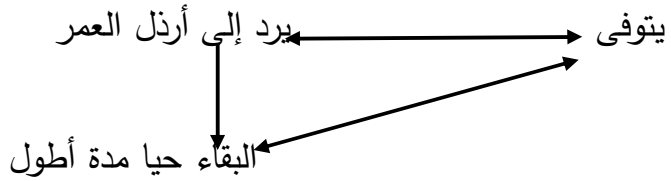

فالملاحظ أن العلاقة بين المتقابلين هنا علاقة تنافرية ؛ إذ لا يمكن أن يلتقيا على هذا الضرب من التقابل ، فهي علاقة تضاد تام .

وقد ورد التركيب تنبيها على صحة البعث والنشور[3] ؛ ولهذا قرن هذا التقابل بتقابل آخر في سياق الآية نفسها ، وهو قوله تعالى ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[4] ، فالطرف التقابلي الأول هو (هامدة) ،إذ الإهماد هو الإقامة بالمكان ، وهو السكون والركود، في حين الاهتزاز والإربات هو الزيادة في الشيء ، أي النمو الذي يتطلب حركة[5] ، فهمود الأرض في تضاد تقابلي مع الأفعال (اهتزت ،وربت ،وأنبتت) ، وهي أفعال حركة

(1) تفسير البيضاوي : 114/4 .
(2) مجمع البيان : 129/7 .
(3) ينظر : إرشاد العقل السليم : 94/6 .
(4) الحج : 5 .
(5) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : 187 ، 545 . مادة (هز ، ربت) .

وإنتاج ما هو عكس الطرف الأول ، إذ السكون يعني الموت ، أما الحركة فتشير إلى الحياة .

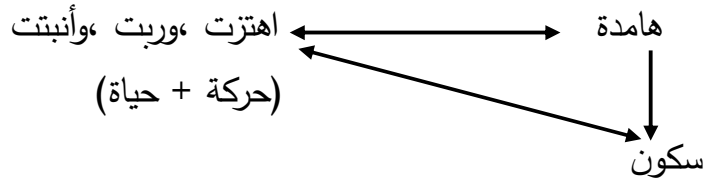

وقد ورد الطرف الأول من التقابل (لفظة مفردة) ، في حين ورد الطرف الثاني مؤلفا من عدد من الأفعال الماضية ، هي (اهتزت ، وربت ، وأنبتت) ؛ إذ لا يمكن الاستغناء عن أي من هذه الأفعال التي يكمل أحدها الآخر ، لتمنح دلالة الحياة التي تقابل الطرف الأول (هامدة) والتي لا تمثل الحياة .

ويلحظ كذلك أن التضاد قائم على أساس التنافر بين الأطراف المتقابلة ، بحيث لا يسمح لها بالالتقاء على مستوى التماثل ، ولكنها تعود إلى رابط واحد هو الأرض .

ونجد أن أطراف التقابل تستند إلى البعد الزمني الماضي من الحياة الدنيا متمثلا بالأفعال : ((هامدة ، وأنزل ، واهتزت ، وربت ، وانبتت) ، ويستثنى من ذلك الفعل الأول (ترى) الذي ورد بصيغة المضارع ، أي الزمن الحاضر تماما كأفعال أطراف التقابل الأول (يتوفى ، ويرد ، ويعلم) .

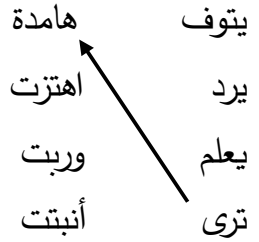

فيلحظ أن هنا تساويا فعليا في كلا الجانبين ، مع اختلاف البعد الزمني الذي ينتميان إليه ؛ وفيه دلالة على أن الله سبحانه وتعالى أراد بهذه الأفعال نقل المجادلين المنكرين للبعث من دليل إلى آخر ، أوضح وأقرب إلى الفكر والعين الباصرة . فكان الدليل الأول يمثل زمنا مضارعا حاضرا ، وقد يكون مستقبلا قد لا يقع عليه المخاطب ، فانتقل به إلى دليل أقرب إلى عينه الباصرة وعقله ،بإيراده بصيغة الماضي ، إشارة إلى أن إحياء الأرض أمر محقق . ولابد أن يكون قد رآه كل من

هو على وجه الأرض بدلالة صيغة المضارع (ترى) ، التي توحي بتجدد الحدث ، أي أن عملية الإبصار ورؤية أمر الإحياء للأرض غير متوقفة على صغير أو كبير في العمر ولا زمن دون آخر .

وقد يأتي التقابل من النمط المركب على أساس التقابل بين تركيبين ، كما في قوله تعالى : ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾[1] .

فاعتمد بناء التركيب التقابلي هنا في هذا السياق على التضاد بين طرفي المقابلة ، فالوعد الحسن هو الجنة التي تؤدي إلى معنى الراحة ، والاستقرار ، والاطمئنان ، كما ورد في وصفها في القرآن الكريم بـ(جنة النعيم)[2] ، على حين أن الامتاع في الحياة الدنيا يكون مشوبا بالحسرة والألم ((مكدر بالمتاعب مستعقب بالتحسر والانقطاع))[3] .

فهنا اعتمد التركيب البعد الشعوري النفسي لكل طرف من الأطراف ، أي إنتاج البعد النفسي للطرف الأول الذي يمثل الإيمان ، والبعد النفسي للطرف الثاني الذي يمثل الكفر .

وقد جمع هذا المعنى في تركيب التقابل المعنوي لإظهار حقيقة يتغافل عنها كثيرون ، وكأنه يقول ((أيكون حال هذا كحال ذاك ، أي : لا يكون حالهما سواء ؛ لأن نعم الدنيا مشوبة بالغموم ، تعرض للزوال والفناء ، ونعم الآخرة خالصة صافية ، دائمة لا تتكدر بالشوب ، ولا تنتقص بالانقضاء))[4] .

---

(1) القصص : 61 .

(2) قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ (لقمان : 8) ، وينظر : القلم : 34 ، والصافات : 43 ، والواقعة : 12 ، والشعراء : 85 .

(3) تفسير البيضاوي : 299/4 .

(4) مجمع البيان : 45/7 .

ولذلك نجد أن الطرف الأول في سياق الآية الكريمة قد ختم بقوله تعالى (فهو لاقيه) ، أي ((مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده)) تعالى[1] ، وبوجود (الفاء) العاطفة التي أحدثت معنى السببية[2] ، في حين ختم سياق الآية للطرف الثاني من التقابل بقوله تعالى :(مِنَ الْمُحْضَرِينَ) ؛ إذ إن ما ((عطف على (متعناه) داخل معه في حيز الصلة ، مؤكدا لإنكار التشابه ، ومقرر له ،كأنه قيل: كمن متعناه الحياة الدنيا ثم نحضره ، أو أحضرناه يوم القيامة النار أو العذاب))[3] . والاعتماد في ذلك على الجملة الاسمية للدلالة على تحقق الأمر ووقوعه ، وقوله (المحضرين) منح شعورا بالترهيب والتهويل ؛ إذ الإحضار يعني ((إيجاد ما به يكون الشيء بحيث يشاهد))[4] .

وقد بني تركيب التقابل على أساس النمط المعقد أيضا ، الذي ((يجمع بين الأنماط البسيطة والمركبة منها في تقابل واحد))[5] . ولعل من بين هذه التراكيب تركيب تقابل التضاد اللفظي كالذي في قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾[6] .

فنجد سياق الاستفهام التبكيتي هنا قد احتوى أربعة تقابلات متضادة فيما بينها ،على الرغم من أن لفظ التقابل من الطرف الثاني (بعيد) هو البدء أيضا، إلا انه بدأ بعد انتهاء . أي : أنه سبحانه لا يعيد الشيء إلا بعد أن يكون قد انتهى بعد بدئه الأول ، ثم أخذ بإعادته من جديد . فهي عملية رجوع معاكسة لعملية البدء ، كما يوضح ذلك المخطط الآتي :

(1) ينظر : تفسير البيضاوي : 299/4 .
(2) ينظر : إرشاد العقل السليم : 21/7 .
(3) المصدر نفسه : 21/7 .
(4) مجمع البيان : 450/7 .
(5) التقابل والتماثل في القرآن الكريم : 138 .
(6) يونس : 35 . بفعا7

يبدأ ←

→ يعيد

ولـذلك تكـون اللفظـة (يبـدأ) مقابلـة بالضـد للفظـة (يعيـد) ، وبالتقابـل بـين الأطراف تحدث علاقات تضاد وتماثل داخل هذه الدائرة التقابلية ، وذلك من خلال حركتي الحضور والغياب ، بين المستويين الحاضر والذهني ، كما في الشكل الآتي :

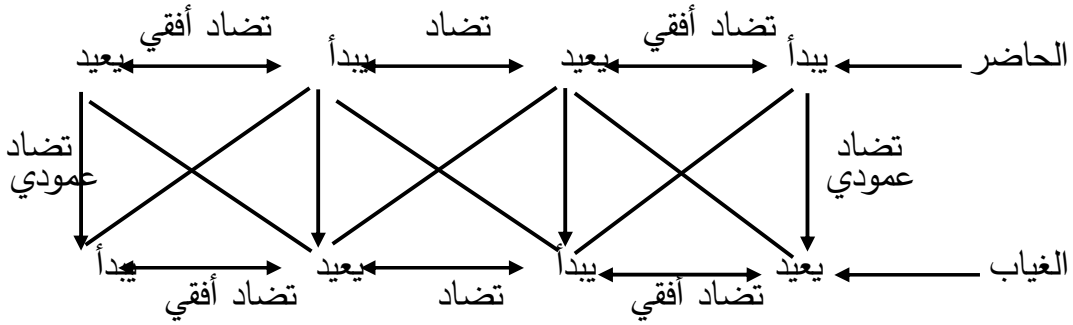

فيلحظ هنا أن التقابل يحدث في سلسلة من أربعة أطراف يتصل بعضها ببعض بعلاقة التضاد ، وهذه الأطراف المتضادة على مستوى العبارة تشكل أطرافا متضادة أخرى على المستوى الذهني ، فهي تشكل دائرة متشابكة بين الأطراف المتقابلة الأربعة . التي يشكل كل طرف منها علاقة تضاد عمودية أخرى مع نظيره على المستوى الذهني ؛ إذ تنشأ علاقة التضاد بين الطرف الأول (يبدأ) ونظيره الذهني (يعيد) ، وعلاقة تضاد بين الطرفين الثاني (يعيد) ، وطرفه الذهني (يبدأ) وهكذا الحال مع الطرفين الآخرين من المستويين .

وهذه الأطراف ترجع إلى رابط واحد هو فعل (الخلق) ، الذي كان أساس المجادلة لإظهار أحقية الالوهية ، لأي من الطرفين المتجادلين تكون ، إذ ((جعل الإعادة كالإبداء في الإلزام بها لظهور برهانها))[1] .

فضلا عن أن كل زوج من أطراف المقابلة ، يقع في سياقين متصلين من حيث نظام الخطاب ؛ إذ جاء الزوج الأول من المتقابلات في سياق استفهام ، في حين جاء الزوج الثاني من المتقابلات في سياق جواب السؤال . ولم يكن الجواب

(1) تفسير البيضاوي : 197/3 .

منتظرا ممن وجه إليهم السؤال ، وإنما هو من ضمن مقالة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ؛ إذ هو جواب (المخاطب) (بكسر الطاء) نفسه ((إيذانا بتعينه وتحققه وإشعارا بأنهم لا يجرأون على التصريح به ؛ مخافة التبكيت واللقاء الحجر لا مكابرة ولجاجا))[1] . ولذلك نجد أن تركيب الجواب جاء بتركيب السؤال نفسه ، ولم ينقص عنه أو يزيد عليه ((المزيد من التأكيد والتحقيق))[2] .

ويمكننا أن نرسم صورة أخرى لهذا التقابل ، من خلال تصور طرف ثالث يتوسط الطرفين الأول والثاني في التقابل ، وهو (الإفناء) ، فيكون المخطط بالشكل الآتي :

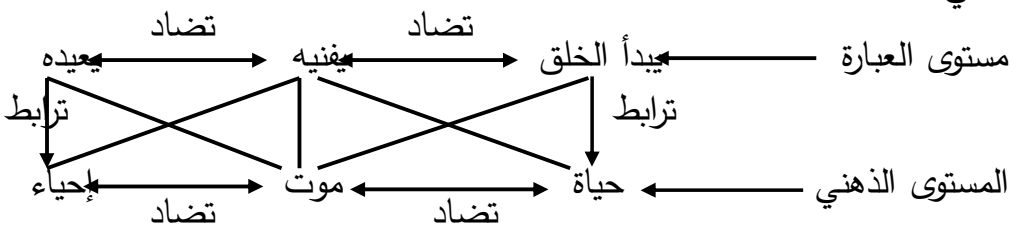

إذ إن المحاجة قامت على أساس إمكان ((بدء الخلق بأن ينشئه على غير مثال ، ثم يفنيه ثم يعيده يوم القيامة))[3] . فالطرف الأول والثالث (الخفي) ينتميان إلى زمن الحياة الدنيا ، أما الطرف الثاني وهو (الإعادة) فينتمي إلى زمن الحياة الآخرة ، مما يولد بعدا زمنيا ينتشر على ثلاث حلقات زمنية ، هي : الحياة الدنيا ، والموت ، والحياة الأخرى .

وعندها سنجد أن علاقات التضاد والتماثل ستتغير عن دائرة التقابل في التحليل الأول ، وذلك أن التركيب التقابلي في هذه الحال سينتمي إلى تركيب التقابل المعنوي ، إذ سيشكل كل طرف من أطراف المقابلة على مستوى العبارة علاقة تترابط مع نظيرها على المستوى الذهني ، إذ (يبدأ) ستكون في علاقة ترابط مع نظيرتها على المستوى الذهني وهو (الإحياء) ، وأما (يفنيه) ، فتدل على معنى الموت على المستوى الذهني ، وأما (الإعادة) فستعني الإحياء من جديد ، أي سيكون هناك

(1) إرشاد العقل السليم : 143/4 .
(2) المصدر نفسه : 143/4 .
(3) مجمع البيان : 185/5 .

تضاد أفقي وتماثل عمودي وتضاد تقاطعي في إثبات ((حقيقة التوحيد وبطلان الإشراك بإظهار كون شركائهم بمعزل من استحقاق الإلهية ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق وإعادته به سبحانه وتعالى))[1] .

ومن تقابل التضاد المعنوي قوله تعالى ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[2] .

فأطراف التقابل هنا تتمثل بالمخطط الآتي :

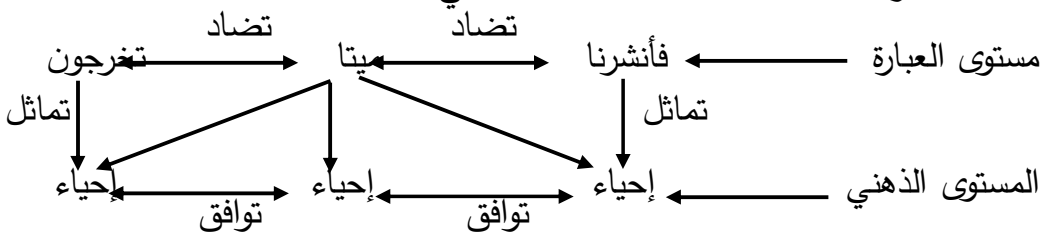

إذ الصورة الأولى الناتجة عن طرفي التقابل (الأول والثاني) ما هي إلا تأكيد وتحقيق للصورة التي في الطرف الثالث (تخرجون) .

وقد نشأت هنا في هذا التعبير علاقات تضاد أفقية وعمودية ، فضلا عن علاقات التضاد الأفقية . فنلاحظ تواصل سلسلة التقابل لتصل إلى نهايتها بدليل قوله تعالى (كذلك) أي أن النشر يكون بالإخراج ، وهو إخراج النبات ، وبذلك يكون مشابها لإخراج الموتى ، وفيه ((تفخيم لشأن النبات وتهوين لأمر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس))[3] .

فحقيقة التقابل إذن ليست عملية تنافر ، وإنما هي عملية جمع ومساواة بين الأطراف ، إذ نجد على المستوى الذهني حصول علاقات توافق بين الطرف الأول والطرف الثالث فيها .

(1) إرشاد العقل السليم : 143/4 .

(2) الزخرف : 13 .

(3) إرشاد العقل السليم : 41/8 .

الفصـل الرابـع

تحولات بنى الجدل ودلالاتها

المبحث الأول : العدول في التعبير

المبحث الثاني : الإجمال والتفصيل .

المبحث الثالث : تحولات بنى مشاهد القيامة .

المبحث الأول

العدول في التعبير

يعد الالتفات من أساليب العدول في الكلام ، وقد اجمع اللغويون على أن الالتفات يعني صرف الشيء عن جهته إلى أخرى ، فقد قال الجوهري (ت393هـ) ((اللفت : اللي ...ولفت وجهه عني أي صرفه ، ولفته عن رأيه : صرفه))[1] ، و((اللي : هو أن ترمي به إلى جانبك ولفته عن الشيء يلفته لفتا : صرفه))[2] .

أما البلاغيون فقد اتجهوا بالالتفات إلى جانب آخر في تعريفه ، فأول من تنبه إلى أسلوب الالتفات أبو عبيدة (ت210هـ) وسماه (التحويل) ، إذ قال : ((ومن مجاز ما جاءت به مخاطبة الشاهد ، ثم تركت وحولت مخاطبة هذه إلى مخاطبة الغائب قول الله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾[3] ، أي بكم))[4] ، وقال الأصمعي (ت216هـ) نقلا عن أبي هلال العسكري (ت395هـ) : ((أخبرنا أبو أحمد قال : أخبرني محمد الصولي قال : قال الأصمعي : أتعرف التفاتات جرير ؟ قلت : لا . فما هي ؟ قال[5] :

أتنسى إذ تودعنا سليمى بعود بشامة ، سقي البشام

ألا تراه مقبلا على شعره ثم التفت إلى البشام ، فدعا له ، وقوله[6] :

طرب الحمام بذي الأراك فشاقني لا زلت في علل وأيك ناضر

فالتفت إلى الحمام فدعا له))[7] .

وعرف أبو هلال العسكري (ت395هـ) الالتفات بعد أن عده من البديع فقال ((الالتفات على ضربين : فواحد أن يفرغ المتكلم من المعنى ، فإذا ظننت أنه يريد

(1) الصحاح في اللغة ، فصل اللام .
(2) لسان العرب : 84/2 ، مادة (لفت) .
(3) يونس : 22 .
(4) مجاز القرآن ، أبو عبيدة ، معمر بن المثنى : 11/1 .
(5) ينظر : الأغاني : 204/2 ، 89/6 .
(6) ينظر : الفهرست : 85/1 ، برواية : لا زلت في فن .
(7) كتاب الصناعتين : 407 .

أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به ...والضرب الآخر أن يكون الشاعر آخذا في المعنى وكأنه يعترضه شك أو ظن إن رادا يرد قوله ، أو سائلا يسأله عن سببه ، فيعود راجعا إلى ما قدمه . فأما أن يؤكده أو يذكر سببه أو يزيل الشك منه))[1] .

في حين يجعل ابن الأثير (ت637هـ) الالتفات من (البيان) ، إذ قال : ((وهذا النوع وما يليه هو خلاصة علم البيان التي حولها يدندن وإليها تستند البلاغة ، وعنها يعنعن . وحقيقتة مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله . فهو يقبل بوجه تارة كذا وتارة كذا))[2] .

وهو عنده انتقال من خطاب حاضر إلى غائب ، أو من خطاب غائب إلى حاضر ، أو من تكلم إلى غيبة ، أو العكس إلى غير ذلك[3] ، فهو من أساليب العدول في الكلام من أسلوب إلى آخر مخالف للأول[4] .

وقد ينتقل فيه الكلام من صيغة إلى أخرى فقد يعبر عن المضارع بالماضي وعكسه ، والانتقال من خطاب الواحد أو الاثنين أو الجميع لغيره[5] .

ويعد هذا الانتقال انتهاكا لمثالية الأداء اللغوي القائم على المطابقة في بنية الجملتين التي يقع فيهما الالتفات[6] ، على أساس أن الانتقال يعتمد على المخالفة الظاهرية بين المنتقل عنه والمنتقل إليه ، ولكن البلاغيين يعيدون الانتظام لهذه المخالفة بالنظر في المستوى العميق ، وإيجاد نوع من التوافق والانسجام بين طرفي الالتفات[7] ، ولاسيما أن ابلغ نص في العربية . وهو القرآن الكريم . يتسم بهذه الظاهرة الفنية ، إذ يلحظ الالتفات فيه في صور متعددة ومواضع كثيرة.

---

(1) كتاب الصناعتين : 407 .
(2) المثل السائر : 170/2 .
(3) ينظر : المصدر نفسه : 171/2 .
(4) ينظر : الطراز : 132/2 .
(5) ينظر : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : 464/1 .
(6) ينظر : البلاغة والأسلوبية : 204 .
(7) ينظر : البلاغة العربية قراءة أخرى : 392 .

وقد رأى عدد من المفسرين والبلاغيين ، أن لأسلوب الالتفات فائدة تحدد بكونه يرفع الملل من الكلام إذا طال ، وذلك تطرية لنشاط السامع ، فان الكلام إذا سار على أسلوب واحد انشغل السامع عنه ملا ، وضعف انتباهه له ، فعملية التغيير في الأسلوب إذن توقظ الأذهان ، وتزيد من الإصغاء[1] .

إلا أن ابن الأثير لم يجعل ظاهرة الالتفات تختص بذلك قائلا : ((وليس الأمر كذلك ؛ لأن الانتقال في الكلام من أسلوب إلى أسلوب إذا لم يكن إلا تطرية لنشاط السامع ، وإيقاظا للإصغاء إليه ، فإنه دليل على أن السامع يمل من أسلوب واحد ، فينتقل إلى غيره يجد فيه نشاطا للاستماع . وهذا قدح في الكلام لا وصف له ، لأنه لو كان حسنا لما مله . وذكر صاحب هذا الرأي أنه لو سلمنا بقول الزمخشري هذا ، لكان إنما يوجد ذلك في الكلام المطول ، ونحن نرى أن الأمر بخلاف ذلك ؛ لأنه قد ورد الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، ويكون مجموع المعنيين عشرة ألفاظ أو أقل من ذلك .

إن مفهوم الزمخشري في الانتقال من أسلوب إلى أسلوب ، إنما يستعمل قصدا للمخالفة بين المنتقل عنه والمنتقل إليه ؛ لا قصدا لاستخدام الأحسن ، وعلى هذا إذا وجدنا كلاما قد استعمل في جميعه ولم ينتقل عنه ، أو استعمل في جميعه الإطناب ، ولم ينتقل عنه ، وكان كلا الطرفين واقعا في موقعه ، قلنا : هذا ليس بحسن ، إذ لم ينتقل فيه من أسلوب إلى آخر ، وهذا فيه ما فيه .

وقال ابن الأثير بعد ذلك : الذي عندي في ذلك أن الانتقال لا يكون إلا لفائدة اقتضته ، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب ، غير أنها لا تحد بحد ولا تضبط ، لكن يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها غيرها))[2] .

وهذا ما ذهب إليه الزركشي في بعض ما قاله ، وهو أن ((مجرد هذا لا يكفي في المناسبة ، فإنا رأينا كلاما أطول من هذا ، والأسلوب محفوظ))[3] .

---

(1) ينظر : الكشاف : 64/1 . 65 .

(2) ينظر : المثل السائر : 172/2 . 173 .

(3) البرهان في علوم القرآن : 325/3 .

فظاهرة الانتقال من أسلوب إلى آخر تعتمد النص التركيبي ، إذ يجري تغيير في الجملة بما يعطيها دلالات جديدة تختلف عما لو استمر النص على نسق واحد . وهذا يقوي المعنى المراد وصفه . فالسياق الأسلوبي هنا يتولد من قطع سياق ضمير ، معين بالانتقال إلى ضمير آخر في سياق مغاير ، أو يتغير زمن الأفعال ، أي أن هناك تغايرا على مستوى الخطاب ، ينتج عنه سياق أسلوبي خاص وفقا لمفهوم (ريفاتير) للسياق الأسلوبي .

وفضلا عن هذا فإن التغاير لا يتوقف على دلالة واحدة ، وإنما ينشأ عنه دلالات معينة بحسب المواضع التي يرد فيها ، وبحسب طبيعة كل نص ، وفي هذا يقول ابن الأثير ((فإنا قد رأينا الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ، فقد استعمل لتعظيم شأن المخاطب ، ثم رأينا ذلك بعينه وهو ضد الأول ، قد استعمل في الانتقال من الخطاب إلى الغيبة ، فعلمنا حينئذ أن الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة ، وإنما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود ، وذلك المعنى يتشعب شعبا كثيرة لا تنحصر ، وإنما يؤتى بها على حسب الوضع الذي ترد فيه))[1] ، كما أن لأسلوب الالتفات تأثيرات إيحائية نفسية لا يحققها الأسلوب المباشر على وتيرة واحدة ، لذا نجد القرآن الكريم قد حفل بالتفاتات كثيرة ، ولاسيما في مواضع الجدل منه ، لما يتطلبه هذا اللون من الخطاب من تنوع الأساليب في عرض الأفكار ، والانتقال بها من حومة الجدل ، لرد عناد المجادلين وكسره ، ومن ثم إقناعهم بالأصول عقلا ومنطقا .

(1) المثل السائر : 173/2 .

فنون الالتفات

الالتفات من الخطاب إلى الغيبة

ورد هذا النوع من التحول الأسلوبي في مواضع كثيرة من القرآن الكريم في بنيته الجدلية ، لما له من دلالات عدة ، على أن ابن جني (ت392هـ) حصر دلالة هذا النوع من الالتفات في التعظيم ، إذ قال : ((وعلة جواز ذلك عندي انه إنما لم تخاطب الملوك بأسمائها إعظاما لها ، إذ كان الاسم دليل المعنى ، وجاريا في اكثر الاستعمال مجراه ، حتى دعا ذاك قوما إلى أن زعموا أن الاسم هو المسمى ، فلما أرادوا إعظام الملوك وإكبارهم . تجافوا وتجانفوا . عن ابتذال أسمائهم التي هي شواهدهم وأدلة عليهم ، إلى الكناية بلفظ الغيبة فقالوا : إن رأى الملك أدام الله علوه ، ونسأله حرس الله ملكه ، ونحو ذلك ...))[1] . ولكن الالتفات من هذا النوع يختلف في دلالته من نص إلى آخر ، ولا يتحدد بدلالة التعظيم وحدها .

فقد يرد هذا النوع من الالتفات إعراضا عن المخاطبين ، كما في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ * وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾[2] .

فالانتقال هنا من (جعلناكم) إلى (تعملون) خطاب إلى الغيبة (عليهم) ؛ إعراضا عن خطاب الكافرين((بتعديد جناياتهم المضادة لما أريد منهم بالاستخلاف، من تكذيب الرسول ،والكفر بالآيات البينات ، وغير ذلك ، كدأب من قبلهم من القرون المهلكة))[3] . ويكون هذا الالتفات توطئة إلقاء الأمر إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بتلقينه الجواب ، وهو ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ﴾ ، فإن ذلك لا

(1) الخصائص : 190/2 .

(2) يونس : 14 . 15 .

(3) إرشاد العقل السليم : 128/4 .

يكون إلا بصرف الخطاب عنهم وتوجيهه إليه (صلى الله عليه وآله)[1] .

ومنه قوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتاً أَوْ نَهَاراً مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾[2] ؛ إذ التفت من الخطاب (أرأيتم . أتاكم) إلى الغيبة بقوله (مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ) ؟ وكأن النكتة فيه ((رعاية حالهم أن لا يشفهوا بصريح الشر ، وليكون تعرضا لملاك نزول العذاب عليهم وهو إجرامهم))[3] .

كما يرد الالتفات في مواضع تنبيها على عدم صلاحية المخاطبين لما تفوهوا به من خطاب ، كما في قوله تعالى : ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُوراً﴾[4] .

إذ التصريف هو التكثير ، والمراد : ناقشنا معهم قضية التوحيد من عدة جهات وقلبناها من كل جانب ، بمختلف العبارات ليذكروا ويتبين لهم . إلا أن هذا الأمر لا يزيدهم إلا نفورا وانزعاجا . لذلك كان الالتفات من خطابهم ، بعد أن كان حالهم هذه الحال[5] ، فضلا عن فضح عملهم للملأ[6] .

وقد يرد هذا الالتفات للتعجيب من حال المعاندين كما في قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾[7] .

---

(1) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : 27/10 .

(2) يونس : 50 .

(3) الميزان في تفسير القرآن : 47/10 .

(4) الإسراء : 40 . 41 .

(5) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : 105/13 .

(6) ينظر : إرشاد العقل السليم : 174/5 ، وزاد المسير : 38/5 .

(7) النحل : 72 .

إذ التفت من قوله (لكم . أنفسكم . أزواجكم . رزقكم) إلى قوله بالغيبة (يؤمنون . هم يكفرون) ، وذلك ((للإيذان باستيجاب حالهم للإعراض عنهم ، وصرف الخطاب إلى غيرهم من السامعين تعجيبا لهم مما فعلوه))[1] .

وقد يرد الالتفات في هذا النوع إعراضا عنهم لتقبيحهم أفعالهم ، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾[2] .

إذ انتقل من الخطاب (سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) إلى الغيبة بقوله (يتبعون) ، إذ هو ايذان ((بأن تعداد قبائحهم اقتضى الإعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم))[3] . فالالتفات عن مجادلتهم بالخطاب إعراض عنهم وتحقير ، بعد أن أنكروا لقاء رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) بربه عز وجل ، متمسكين بأحجار صنعوها وسموها ، فجاء هذا الالتفات ليعلن عن قلة رجاحة عقولهم من أن يخاطبهم الله تعالى .

وقد يكون ذلك تهكما في موضع آخر كالذي في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾[4].

إذ انتقل من الخطاب (أنكم . مالئون . شاربون) إلى الغيبة بقوله (هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ) ، ((وفيه من التهكم بهم ما لا يخفى ، وقرئ (نزلهم) بسكون الزاي تخفيفا ، والجملة مسوقة من جملته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام الملقى ، غير داخلة تحت القول))[5] .

الالتفات من الغيبة إلى الخطاب

---

(1) إرشاد العقل السليم : 128/5 .

(2) النجم : 23 .

(3) روح المعاني : 58/27 .

(4) الواقعة : 51 . 56 .

(5) إرشاد العقل السليم : 196/8 .

وينتقل أسلوب الخطاب في فن الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، لعدة دلالات منها زيادة التشديد والتهديد على المخاطبين ، كما في قوله تعالى : ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[1] . فالخطاب كان غيبيا حول المشركين ؛ إذ حدث تقرير رفع الأمان عن المشركين الذين عاهدوا الله ورسوله والمؤمنين . ولم يكن رفعا جزافيا وإبطالا للعهد من غير سبب يبيح ذلك، إذ تتلو هذه الآية آيات تذكر أنه لم يحدث الوثوق بالعهد الذي عاهدوا عليه ، وقد فسق أكثرهم ، ولم يرعوا حرمة العهد ، بل نقضوا ميثاقهم . ثم ينتقل التعبير من الغيبة إلى الخطاب بقوله تعالى (فان تبتم) ، إذ وجه الخطاب إليهم مباشرة لما في ((توجيه الخطاب القاطع والإرادة الجازمة إلى الخصم ، من الدلالة على بسط الاستيلاء والظهور عليه واستذلاله ، واستحقار ما عنده من قوة وشدة))[2] .

ويرد هنا الالتفات ليجعل الأمر المنذر به شفهيا مباشرا ، ليكون ابلغ من الإنذار الغيبي ، ويتجلى ذلك في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾[3] ؛ إذ أراد سبحانه التشدد في الإنذار والتخويف ، فكان أسلوب التحول في الخطاب أسلم لإظهار هذه الدلالة[4] . وقد يأتي هذا الانتقال في الأسلوب لإفحام المجادل ، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى

(1) التوبة : 3 .

(2) الميزان في تفسير القرآن : 147/9 .

(3) يونس : 13 .

(4) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : 23/10 .

اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] ؟ .

إذ انتقل فيه الخطاب من الغيبة (قالوا اتخذ الله) إلى الخطاب (عندكم) ((لمزيد المبالغة في الإلزام والإفحام من التوبيخ والتقريع على جهلهم واختلافهم))[2] .

وقد يرد الانتقال لإلقاء الحجة على المجادلين كما في قوله تعالى:﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[3] .

فالانتقال من الغيبة (تولوا) إلى الخطاب (وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ) للمبالغة ((في تبكيتهم يريد : فإن تتولوا فما ضررتموه ، وإنما ضررتم أنفسكم ، فان الرسول ليس عليه إلا ما حمله الله وكلفه من أداء الرسالة ، فإذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه ، وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والإذعان ، فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه ، وإن أطعتموه فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة إلى الهدى ، فالنفع والضرر عائدان إليكم))[4] .

وفي الانتقال من العام إلى الخاص ، يكون أسلوب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب اسلم في إظهار الدلالة ، متجليا ذلك في قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[5].

---

(1) يونس : 68 .

(2) إرشاد العقل السليم : 151/4 .

(3) النور : 54 .

(4) الكشاف : 73/3 .

(5) الأنعام : 1 . 2 .

إذ ذكر سبحانه أمر الخلق والتدبير بصورة عامة في الآيات الأولى الخاصة بخلق السموات والأرض ، ليوضح أن الكفار ما كان ينبغي لهم أن يعدلوا بالله سبحانه غيره ، وأن ذلك كاف لمخاطبتهم بالغيبة ، ولكن في حال التحول إلى ذكر الخلق والتدبير الخاصين بالإنسان ، يحدث من جراء تهييج المتكلم والمتعجب اللائم أن يواجههم بالخطاب ويلومهم ، كأن يقول هذا خلق السموات والأرض ، وخلق الظلمات والنور ، ولكننا عذرناكم في الغفلة عن حكمه ؛ لكون ذلك أمرا عاما ، فربما أمكن الذهول عما يقتضيه ، فما عذركم انتم في امترائكم فيه ، وهو الذي خلقكم وقضى فيكم أجلا ، وأجل مسمى عنده[1] ؟ .

فقد احتج تعالى بهذه الآية على الذين عدلوا به غيره ، على الرغم مما شاهدوه ، وعلموا من خلقهم من الطين أي ، انتقال من حال إلى حال مختلف[2] ، ودخول (ثم) في قوله تعالى (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) فيه من التعجب من هؤلاء الكفار الشاكين المجادلين على الرغم من رؤية البراهين الدالة على وحدانيته سبحانه[3] ؛ إذ أخبر عن دقة صنعه من خلال بدء الآية بـ(الحمد) ، التي هي رد على الدهرية الذين ((قالوا : إن الأشياء لا بدء لها وهي دائمة))[4] .

وفي الآية عدول من نوع آخر وهو وضع المظهر موضع المضمر ، إذ وضع لفظة (الرب) موضع ضميره تعالى في قوله تعالى (الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ) ؛ وذلك ((لزيادة التشنيع والتفجيع ، والتقديم لمزيد من الاهتمام والمسارعة إلى تحقيق مدار الإنكار والاستبعاد))[5] .

ويلتفت من الغيبة إلى الخطاب في إشارة إلى اشتداد غيض المتكلم من المخاطبين ، في قوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ، ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا

1) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : 11/7 .
2) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : 78/4 .
3) ينظر : مجمع البيان : 6/4 .
4) نور الثقلين : 78/1 .
5) إرشاد العقل السليم : 106/3 .

فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً)[1] .

فعلى تقدير أن الآيات هنا جميعا من كلام الرسول (صلى الله عليه وآله) كان في قوله (ألم تروا) التفاتا من الغيبة في سياق (بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) إلى الخطاب ، إذ يعبر هذا الالتفات عن ((اشتداد وجد المتكلم وتأكيد غيضه من جهل المخاطبين وتماديهم في غيهم ، بحيث لا ينفعهم دلالة ولا ينجح منهم إثارة ، فيواجهون بذكر ما هو بمرأى منهم ومسمع ، لعلهم ينتبهون عن نومتهم وينتزعوا عن غفلتهم))[2] .

الالتفات من التكلم إلى الغيبة

ورد هذا الضرب من الالتفات لعدة دلالات ، منها ما ورد في قوله تعالى (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ)[3] ؛ إذ التفت سبحانه وتعالى في خطابه إلى الغيبة (لتطييب قلب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتثبيت المعارف المذكورة فيه))[4] .

وقد استعمل في الخطاب اسم الإشارة للبعيد (تلك) ، وذلك لتفخيم الحجة وتعظيمها ((لكونها حجة قاطعة جارية على صراط الفطرة مأخوذة بمقدماتها))[5] .

وقد يأتي هذا النوع من الالتفات أيضا للتعريض ، كما في قوله تعالى (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)[6] .

---

(1) لقمان : 11 ، 20 .

(2) الميزان في تفسير القرآن : 228/16 .

(3) الأنعام : 83 .

(4) الميزان في تفسير القرآن الكريم : 205/7 .

(5) المصدر نفسه : 205/7 .

(6) هود : 82 . 83 .

إذ عدل سبحانه وتعالى هنا من سياق التكلم (أمرنا . جعلنا . أمطرنا) إلى سياق الغيبة (مسومة عند ربك) ، ولم يقل (مسومة عندنا) ؛ ليعرض سبحانه للقوم الكافرين ((بالتهديد أو بإنهاء الحديث إلى حسهم ؛ ليكون أقوى تأثيرا في الحجاج عليهم))[1] .

وقد يرد الالتفات هنا لفضح أفعال المعاندين ، ليكونوا عبرة للآخرين ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ * وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾[2] ؛ إذ ورد الالتفات هنا ((لينعى عليهم ما أفسدوه من التفرق في الدين ، وجعل أمره قطعا موزعة ، وينعى قبائح أفعالهم إلى الآخرين ، كأنه قيل : ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله ، الذي أجمعت عليه كافة الأنبياء عليهم السلام))[3] .

وقد يأتي هذا النوع من الالتفات لإظهار صفة من صفات الالوهية كما في قوله تعالى : ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾[4] .

فالعدول هنا من التكلم (آتينا . أيدناه) إلى الغيبة بإظهار اسم الجلالة في (ولو شاء الله) ، إذ لم يقل سبحانه (ولو شئنا) ؛ إظهارا للصفة العالية ، وهي الإرادة الغالبة على كل إرادة ؛ ذلك أن المقام مقام ((إظهار المشيئة والإرادة الربانية غير مغلوبة ، والقدرة غير باطلة ، فجميع الحوادث على طرفي إثباتها ونفيها غير خارجة عن السلطة الإلهية))[5] .

(1) الميزان في تفسير القرآن : 344/10 .
(2) الأنبياء : 92 . 93 .
(3) إرشاد العقل السليم : 84/6 .
(4) البقرة : 253 .
(5) الميزان في تفسير القرآن : 322/2 .

الالتفات من الغيبة إلى التكلم :

ويتحول الخطاب من حال الغيبة إلى التكلم لدلالات خاصة ، منها الاعتناء بأمر الملتفت إليه،كالذي في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً﴾[1].

إذ انتقل في الخطاب من الغيبة بقوله (يهد . يضلل) إلى التكلم بقوله (نحشرهم يوم القيامة) ؛ ((إيذانا بكمال الاعتناء بأمر الحشر يوم القيامة على وجوههم))[2] .

ويأتي هذا الالتفات لكمال العناية بالأمر الملتفت إليه ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[3].

فبعد أن ذكر سبحانه عباده بأن الأعمال كلها غير غائبة عنه تعالى ، داعيا إلى التقوى لكي تبقى روح الحضور في نفس المشتغل بطاعة الله ، عدل سبحانه من سياق الغيبة إلى التكلم بقوله (واتقون) دلالة ((على كمال الاهتمام والاقتراب والتعيين))[4] .

ويأتي الالتفات من هذا النوع واضعا المجادل أمام الخصم الحقيقي له ؛ إظهارا لعظم ما يجادلون فيه ، كالذي في قوله تعالى ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[5] ؛ إذ حدث التحول من الكلام عن إمكان وقوع العذاب سواء قل الزمان أم كثر ؛ إذ إن العذاب واقع بالأمم والقرى الظالمة بعد إمهالها ، ثم التحول إلى التكلم عن نفسه سبحانه بقوله (وإلي المصير). فالآيات

(1) الإسراء : 97 .

(2) إرشاد العقل السليم : 196/5 ، وينظر : روح المعاني : 175/15 .

(3) البقرة : 197 .

(4) الميزان في تفسير القرآن : 79/2 .

(5) الحج : 48 .

وردت لبيان صفة من صفاته تعالى ، وهي الحلم ؛ إذ يبين أسلوب الالتفات ((أن الله سبحانه هو خصمهم بنفسه إذا خاصموا نبيه))[1] ، وفي تقديم الجار والمجرور (إلي) هنا على الاسم الذي بعده وهو (المصير) ، إشعار بهذه الخصوصية التي تفرد بها سبحانه .

وقد يرد هذا النوع من الالتفات تعظيما لله سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى : ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى * كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾[2] .

فالعدول من الغيبة إلى الخطاب تعظيما لله سبحانه و((تنبيها على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة وإيذانا بأنه مطاع تنقاد الأشياء المختلفة لمشيئته))[3] .

وقد يكون الالتفات لتربية المهابة وإدخال الروع في نفوس المعاندين ، كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾[4] ، فالعدول هنا من قوله (ربك) إلى نون العظمة في (آياتنا) ((لتربية المهابة وإدخال الروع في النفوس لترتدع عما لا يرضي الله))[5] .

(1) الميزان في تفسير القرآن : 79/2 .
(2) طه : 53 . 54 .
(3) تفسير البيضاوي : 55/4 .
(4) القصص : 59 .
(5) روح المعاني : 98/20 .

الالتفات من التكلم إلى الخطاب

إن أسلوب الالتفات في الجدل أفصح عن طريقة مثلى يتبعها الأنبياء في جدلهم لأقوامهم ، وهي التلطف بهم ، على الرغم من عنادهم ، ومنه قوله تعالى ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1] ، إذ ((أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه ، وهو يريد مناصحتهم ، ليتلطف بهم ويداريهم ، ولأنه أدخل في إمحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لروحه . ولقد وضع قوله : (وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي) موضع قوله : مالكم لا تعبدون الذي فطركم ؟ ، ألا ترى إلى قوله (وإليه ترجعون) ، ولولا انه قصد ذلك لقال : (الذي فطرني واليه أرجع)[2] ، فهذا ما يراه الزمخشري .

في حين يرى القرطبي(ت671هـ)[3] أن الالتفات هنا أفاد زجر المجادلين، إذ قال : ((وهذا احتجاج منه عليهم وأضاف الفطرة إلى نفسه ؛ لأن ذلك نعمة عليه توجب الشكر ، والبعث إليهم لأن ذلك خلاف وعيد يقتضي الزجر ، فكان إضافة النعمة إلى نفسه أظهر شكرا وإضافة البعث إلى الكافر أبلغ أثرا)) .

وقد عد أبو السعود أن هذا الالتفات للتهديد ، قال : ((تلطف في الإرشاد بإيراده في معرض المناصحة لنفسه وإمحاض النصح ، حيث أراهم انه اختار لهم ما يختار لنفسه . والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم إلى عبادة غيره ، كما ينبئ عنه قوله (واليه ترجعون) مبالغة في التهديد))[4] .

ويأتي هذا الالتفات ردا لشبهة كون القرآن نوعا من السحر أو ضربا من الشعر ، وجدلا بحتمية القرآن وصدق نزوله من الله الواحد الأحد ، وذلك كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾[5] ، فقوله (على

---

(1) يس : 22 .

(2) الكشاف : 10/4 .

(3) الجامع لأحكام القرآن : 18/15 .

(4) إرشاد العقل السليم : 163/7 . 164 .

(5) البقرة : 97 .

قلبك) بدلا من (على قلبي) دلالة على أن ((القرآن كما لا شأن في إنزاله لجبريل ، وإنما هو مأمور مطيع ، كذلك لا شأن في تلقيه وتبليغه لرسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا أن قلبه وعاء الوحي لا يملك منه شيئا وهو مأمور بالتبليغ))[1] .

ويمكن أن نشير إلى أن الالتفات لا يعتمد تغاير الضمائر في سياق الملتفت فيه ، وإنما يكون تشابه الضمائر في السياقين الملتفت عنه والملتفت إليه . إلا أن المخاطبين يختلفون فيهما ، وهو ما أطلق عليه أحد الباحثين اسم (الالتفات الدلالي الخالص)[2] ؛ إذ يختلف المخاطبون ويبقى الضمير واحدا في السياقين ، وذلك قوله تعالى : ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[3] .

فالضمير في قوله (اذكروا) للمخاطبين من بني إسرائيل ، ثم تأتي آيات تتحدث عن أحداث معينة تذكر بنعته سبحانه عن طريق الظرف (إذ) ، ثم يقول سبحانه : ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾[4] ، فالضمير واحد في السياقين وهو (واو الجمع) في قوله (يؤمنوا) ، إلا أن المخاطبين اختلفوا ؛ إذ التفت سبحانه إلى خطاب النبي والذين آمنوا . وفي هذا العدول الدلالي توبيخ وتقريع لبني إسرائيل بتحريفهم كتاب الله ؛ إذ إنه سبحانه لما ذكر قصة البقرة وعدل بعدها إلى خطاب بني إسرائيل ، عدل عنهم في إشارة ((لمكان التحريف الواقع منها بحذفها من التوراة))[5] .

وقد يكون الالتفات في الأزمنة بين الأنساق الخطابية وله صور متعددة منها

(1) الميزان في تفسير القرآن : 230/1 .
(2) البيان في روائع القرآن ، تمام حسان : 98/2 .
(3) البقرة : 47 .
(4) البقرة : 75 .
(5) الميزان في تفسير القرآن : 213/1 .

(1) الالتفات من الماضي إلى الحاضر

كالذي في قوله تعالى : ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1] ، إذ جرى الحديث ابتداء على الماضي (كانوا) ، ثم انتقل إلى الحاضر (يظلمون) ، وفي هذا الانتقال إشارة إلى دلالة خاصة هي تمادي الكفار في الظلم ، فضلا عن استمرارهم في الكفر[2] .

وقد يأتي هذا الانتقال بين الزمنيين لاستحضار الصورة لتصبح كأنها مشاهدة بالعين ، كالذي في قوله تعالى : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾[3] .

فحدث الانتقال من صيغة الماضي (دمرنا) إلى صيغة المضارع (يصنع) ، وذلك لاستحضار صورة ما صنع فرعون من العمارات والقصور[4] . وقد يكون هذا مشعرا بتصوير كثرة ما صنع فرعون وقوته ؛ لتكون حالة التدمير له إشارة إلى الغلبة والقوة التي لله سبحانه وتعالى .

والانتقال من الماضي إلى الحاضر ، دلالة على استمرار الحدث وعدم انقطاعه ، كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[5] ، إذ انتقل من الماضي (كفروا) إلى الحاضر (يصدون) إشارة إلى استمرار الصد[6] .

وقد يكون الانتقال في الأزمان في النسق اللغوي للتمثيل ، كما في قوله تعالى : ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾[7] ؛ إذ حدث الانتقال

---

(1) البقرة : 57 .

(2) ينظر : إرشاد العقل السليم : 104/1 .

(3) البقرة : 173 .

(4) ينظر : مجمع البيان : 344/4 .

(5) الحج : 25 .

(6) ينظر : إرشاد العقل السليم : 103/6 .

(7) سبأ : 53 .

من (كفروا) بصيغة الماضي إلى (يقذفون) بصيغة المضارع . وعمل هذا على إحداث تباين في التركيب ، إلا أنه عمل على تمثيل حال الكفار وهم يرجمون بالظن فيقولون ((لا جنة ولا نار ولا بعث))[1] بحال من يرمي شيئا من دون أن يراه من مكان بعيد ، يعلم ابتداء أن لا إمكان في إصابته[2] .

وفي الانتقال بين الزمنين دلالة على الثبوت ودوام الفعل الملتفت إليه ، كالذي في قوله تعالى ، في محض الاحتجاج على علمه وقدرته في الخلق الأول :

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾[3] .

إذ ذكر أولا فعل الخلق (الماضي) إشارة إلى وجود الإنسان المتدرج في الخلق والتكوين ، المتحول من حال إلى حال بعد آخر ، ثم انتقل إلى المضارع (توسوس) في دلالة على استمرار العلم بما توسوس به النفس الإنسانية ، وثبوت هذا العلم ودوامه باستمرار وجود الإنسان[4] .

فدلائل القدرة قد تمثلت في التركيب بوجود الانتقال بين الزمنين ، فضلا عن لام القسم في قوله (لقد) ، وفي اختيار لفظ (توسوس) ، إذ تعد الوسوسة ((أخفى أصناف العلم بالحضور النفساني الخفي ، إشارة إلى استيعاب العلم ، كأنه قيل ونعلم ظاهره وباطنه))[5] .

وقد يعدل التعبير القرآني من الزمن الماضي إلى الحاضر (المضارع) ، وهو في إشارة إلى لزوم صفة الفعل لفاعله وثباته ، كالذي في قوله تعالى :﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾[6] ، إذ الانتقال بين الزمنين دل على أن هذا الأمر (الكذب

(1) مجمع البيان : 229/8 .
(2) ينظر : إرشاد العقل السليم : 104/7 .
(3) ق : 16 .
(4) ينظر : الميزان في تفسير القرآن : 346/18 .
(5) المصدر نفسه : 347/18 .
(6) المائدة : 70 .

والقتل) من شأن هذا الفريق وعادته ((ففيه معنى كذبوا وقتلوا ، ويكذبون ويقتلون))[1] . وقد ذكر رأي آخر فيه ، وهو ثبوت صفة الكذب دون القتل لفريق، مع ثبوت صفة الكذب والقتل لفريق آخر . وكأن صيغة المضارع جمعت هنا الفعلين بوقوعهما ، في حين لم يتجاوز الفعل الماضي حدثا واحدا[2] .

وفي تمثيل القضايا المتعلقة بالدعوة إلى الإسلام كان الانتقال بين الأزمان السبيل الأمثل لها ، كما في قوله تعالى : ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾[3]

والجلوة هي الكشف إذ ((يقال للمريض : جلا الله عنه المرض أي كشف))، وقد يكون من الإسراع في العدو[4] ، ويكون الجلاء هنا انكشاف الظلمة ، وقد نقل ابن منظور (ت711هـ) عن الزجاج أن معنى ((إذا جلاها : إذا بين الشمس ؛ لأنها تتبين إذا انبسط النهار))[5] . أما الإعشاء فيعني الباس الشيء للشيء وتغطيته[6] ، فقد استعير الإغشاء لتصوير ظلمة الليل ، وهو يغطي الكون بظلامه كالغطاء ، إذ (الإغشاء) أبلغ في تصوير الإحاطة والشمول ، مما لو استعمل (الإلباس أو الاختلاط) مع ما في هذه اللفظة من الرقة والسلاسة ، وهي فوق ذلك تشير إلى شدة الاتصال والالتحام بين الغشاوة والمغشى ، مع ما نرى من اختلاط نور النهار بظلام الليل ، وامتزاجه به ، إلى أن يغلب أحدهما الآخر[7] .

وقد أوحى الانتقال بين الزمنين الماضي والحاضر في هذه البنية بموضوع ظهور الإسلام ودخول نوره عالم ظلام الجاهلية ، فهي صورة جدلية توقظ الأذهان لحقيقة دعوة الإسلام .

---

(1) التبيان في تفسير القرآن : 594/3 .
(2) ينظر : مجمع البيان : 388/3 .
(3) الشمس : 3 . 4 .
(4) لسان العرب : 152/14 مادة (جلا) .
(5) المصدر نفسه : 152/14 ، وينظر : مجمع البيان : 369/10 .
(6) المصدر نفسه : 362/19 . 363 ، مادة (غشا) .
(7) ينظر : المعاني الثانية في الأسلوب القرآني : 356 .

(2) الالتفات من الحاضر إلى الماضي

ويحقق هذا العدول بين الزمنين عدة دلالات ، منها تحقق الوقوع كالذي في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[1]

إذ انتقل الحدث من المضارع (تبدل) . والتبديل هو تغيير برفع الشيء . انتقل إلى بدل وأصل التبديل تغيير الشيء عن حاله ، إذ تصبح الأرض غير الأرض ، أي بصورة مخالفة للصورة المعهودة لها[2] إلى الفعل الماضي (برزوا)، الذي يعني الظهور بدون أي حاجب أو مانع . فالخطاب هنا للكافرين يخبرهم بظهورهم ((من أرض قبورهم للمحاسبة، لا يسترهم شيء))[3] .

فقد أشعرت عملية التغيير بدلالة تحقق وقوع هذا الأمر . وهو البروز للمحاسبة . وهذا مهم جدا ، إذ وهم الكافرون في الدنيا أن الله سبحانه وتعالى في غيبة عنهم ، وأنهم غائبون عنه ، فأزال الفعل الماضي هذا الوهم ليضعهم في صورة المشاهد ليوم القيامة ، بعد أن زال ((كل ستر متوهم ، وشاهدوا أن لا حاجب هناك يحجبهم عنه))[4] .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾[5] .

ولهذا الالتفات ملمح نفسي كبير ، إذ يؤكد تحقق وقوع الخضوع والانقياد من لدن الكافرين والمجادلين المعاندين ، بنزولهم عما كانوا عليه في الدنيا من الكبر وشدة الشكيمة[6] .

---

(1) إبراهيم : 48 .

(2) ينظر : لسان العرب : 48/11 ، مادة (بدل) ، وينظر : المفردات : 39 .

(3) مجمع البيان : 95/6 .

(4) الميزان في تفسير القرآن : 43/12 .

(5) النحل : 28 .

(6) ينظر : إرشاد العقل السليم : 109/5 .

ويلتفت في مواضع تعبيرية من المضارع إلى الماضي للتلويح ، كما في قوله تعالى : ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾[1] .

فالخطاب بالنهي موجه إلى موسى (عليه السلام) من لدن الله تعالى ، إلا أنه عام مراد به جميع المكلفين ، وهو النهي عن الصد عن ذكر الساعة[2] . فالعدول من المضارع (يصدنك) إلى الماضي (واتبع) للتلويح ((إلى علية اتباع الهوى لعدم الإيمان))[3] .

والعدول إلى المضارع يكشف عن خبايا النفس المجادلة في الباطل ، كالذي صوره التعبير القرآني بقوله تعالى ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾[4] .

إذ حدث الانتقال من تقليب الوجوه . بصيغة المضارع . وهو تصريف الشيء في الجهات ، بالانتقال من جهة إلى أخرى ،وذلك ما يحدث للكافرين في النار ؛ ليكون ((أبلغ في ما يصل إليهم من العذاب))[5] . فيقولون عندئذ متمنين آسفين[6] ، وهو شعور حقيقي واقع ((يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا))،ثم يلتفت إلى الماضي بعبارة : (وقالوا)،ليشعر بهذا الالتفات بأن قولهم الثاني ليس مستمرا كقولهم الأول،((بل هو ضرب اعتذار أرادوا به ضربا من التشفي بمضاعفة عذاب الذين ألقوهم في تلك الورطة،وان علموا عدم قبوله في حق خلاصهم منها))[7] .

---

(1) طه : 16 .
(2) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : 166/7 .
(3) الميزان في تفسير القرآن : 143/14 .
(4) الأحزاب : 66 . 67 .
(5) التبيان في تفسير القرآن : 363/8 .
(6) ينظر : مجمع البيان : 183/8 .
(7) إرشاد العقل السليم : 117/7 .

(3) الالتفات من المضارع إلى الأمر

أما الانتقال من المضارع إلى الأمر ، فقد ورد في بنية الجدل ، كالذي في قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[1] .

فانتقل من المضارع (أشهد) إلى الأمر (اشهدوا) ((إقامة للحجة عليهم لا لتقوم الحجة بهم))[2] ، كما يحمل هذا الالتفات دلالة التهاون بالمجادلين ، فضلا عن التهاون بينهم ؛ إذ إن ((إشهاد الله على البراءة من الشرك ، إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده ، وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب . فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما ، وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة ، كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه ، اشهد علي أني لا أحبك ، تهكما به واستهانة بحاله))[3] .

فضلا عن إثبات براءته من عبادة الأصنام ، وسقوطهم فيها ، فعدل من المضارع إلى الأمر ، ليقول ((وأشهدكم . لا أنهم أهل شهادة . لكنه نهاية للتقرير . أي : لتعرفوا أني بريء مما تشركون ، أي من عبادة الأصنام التي تعبدونها))[4] . وليعلموا بهذا الالتفات ويشاهدوا حقيقة كانوا يتغافلون عنها وهي ((سكوت آلهتهم وعجز أنفسهم من الانتقام منه ومن تنكيله))[5] ، محققا بذلك حجة عقلية على بطلان ألوهية الأصنام .

---

(1) هود : 53 . 54 .

(2) التبيان في تفسير القرآن : 9/6 .

(3) الكشاف : 404/2 .

(4) الجامع لأحكام القرآن : 52/9 .

(5) الميزان في تفسير القرآن : 301/10 .

ومنه قوله تعالى : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾[1] ، فهذا الانتقال إلى الزمن الآتي المعبر عنه بالأمر (فأتوا) ، أفصح عن طبيعة التحدي والتهديد والمواجهة التي تنبئ عن صدق الدعوة ، للإتيان بسورة مثل سور القرآن الكريم ، وهذا ((إلزام لهم على أصلهم . وهو شرطهم . إذ أصلهم فاسد يوجب عليهم أن يأتوا بسورة مثله))[2] ، ولا قدرة لهم على ما هو أقل من ذلك ، ولو كان آية .

(4) الالتفات من الماضي إلى الأمر

وقد يعدل النظم من الماضي إلى الأمر ؛ لينقل الخطاب إلى المشافهة في إشارة إلى الإيمان بعمق القضية التي أراد المخاطب إظهارها عن طريق الالتفات إليها عبر الزمن الآتي ، من الزمن الماضي . فمن ذلك ما ورد في قوله تعالى على لسان الرجل المؤمن من آل فرعون ﴿إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾[3] ، فهو موجه للكفرة المعاندين للرسل ، انتقل فيه بين الصيغتين ((إظهار للتصلب في الدين وعدم المبالاة بالقتل))[4] .

(5) الالتفات بين الأسماء والضمائر

وقد ينتقل الخطاب من الاسم الظاهر إلى الضمير ، وهو أقرب إلى أسلوب الالتفات من الغيبة إلى التكلم ، أما الانتقال من الضمير إلى الاسم ، فهو قريب من الالتفات من الغيبة إلى الخطاب . ومنه ما ورد في مجادلة المعاندين ؛ إذ أراد الله تعالى إظهار صفتهم الحقيقية التي يقفون بها مجادلين وهي الكذب ، كالذي في قوله تعالى:﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا

(1) يونس : 38 .

(2) التبيان في تفسير القرآن : 378/5 .

(3) يس : 25 .

(4) إرشاد العقل السليم : 164/7 .

سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ[1].

إذ انتقل التعبير من الضمير إلى الاسم (ممن كذب) بدل (فمنهم) اتساقا مع ألفاظ الآية (جاءكم . ربكم) ، ((تنصيصا على اتصافهم بما في حيز الصلة ، وإشعارا بعلة التحكيم ، وإسقاطا لهم عن رتبة الخطاب . وعبر عما جاءهم بآيات الله تهويلا للأمر ، وتنبيها على أن تكذيب أي آية كانت من آيات الله تعالى كاف في الأظلمية ، فما ظنك بتكذيب القرآن المنطوي على الكل ، والمعنى إنكار أن يكون أحد أظلم ممن فعل ذلك أو مساويا له ، وإن لم يكن سبك التركيب متعرضا لإنكار المساواة أو نفيها . فإذا قيل من أكرم من فلان ، أو لا أفضل منه ؟ فالمراد به حتما بحكم العرف الفاشي والاستعمال المفرد أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل))[2] .

وقد يرد هنا الالتفات لإظهار غضبه سبحانه على المعاندين والمنكرين كما في قوله تعالى : (وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)[3] . إذ ((لم يقل (وقالوا) ، بل قال (وقال الكافرون) ، إظهارا للتعجب ودلالة على أن هذا القول لا يصدر إلا عن الكفر التام . فإن الساحر هو الذي يمنع من طاعة الله ويدعو إلى طاعة الشيطان ، وهو عندكم بالعكس من ذلك))[4] .

(1) الأنعام : 157 .

(2) إرشاد العقل السليم : 202/3 .

(3) ص : 4 .

(4) التفسير الكبير : 367/26 .

المبحث الثاني

الإجمال والتفصيل

تعتمد بنى الإجمال والتفصيل على ظاهرة العدول،إذ هي ظاهرة انتقال من حالة عامة إلى حالة تفصيلية.فهي عملية تغيير في النسق وعدم الثبات على نمط واحد.فبعد أن يذكر المعنى مجملا ينتقل به إلى الخطاب إلى بيانه وتفصيله ، وفي ذلك نكتة بلاغية لدلالة معينة،يقصدها المخاطب نفسه،أو في المخاطبين أنفسهم.

ويقترب من هذا المصطلح ، مصطلحات وردت في علم البديع هي : التقسيم ، والجمع والتفريق[1] ؛ إذ تعتمد أنساقها على آلية إجمال طرف ما ثم تفصيله ، وكذلك مصطلح الإجمال والتفصيل ؛ إذ ((يشكل طبيعة أسلوبية تجري فيها الأنساق اللغوية المتشكلة وفق علاقات بنائية مختلفة ، تكشف عن الحركة العقلية التي شكلت النص المكتوب))[2] .

وتقوم بنية النص الذي يرد فيه الإجمال والتفصيل على أكثر من نوع ، فمنها البنية الثنائية ، ومنها المتعددة التي يتحرك النص فيها من إيراد ثلاثة عناصر فأكثر في تفصيل الكلام ، وذلك لإقامة العلاقات التواصلية بقصد تحديد الدلالة.

(1) بنية الإجمال والتفصيل الثنائية

تعتمد هذه البنية في عدد من أشكالها بنية إفرادية فيما يتعلق بالمستوى الشكلي للبنية اللغوية ، وهو ((أن تنتظم العناصر انتظاما مخصوصا يسمح باستكشافها طبق معايير مختلفة))[3] ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعاً * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً﴾[4] .

---

(1) ينظر : التبيان في علم المعاني والبديع والبيان ، شرف الدين الطيبي : 402 . 407 .

(2) الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم ، فايز القرعان ، مجلة أبحاث اليرموك ، مجلد 12 ، 1994 : 9 . 10 .

(3) النقد والحداثة ، محمد عزام : 78 .

(4) النساء : 172 . 173 .

فبنية الإجمال متمثلة بقوله تعالى : ((فسيحشرهم) ، أما كيفية هذا الحشر وما يحصل فيه ، فقد بينه التفصيل في طرفين متقابلين ، الأول منهما : مثل الفريق الأول من المحشورين ، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، والبدء في تفصيل الفريق المؤمن ((إبانة لفضله ومسارعة إلى بيان كون الحشر أيضا معتبرا في الإجمال . وإيراده بعنوان الإيمان والعمل الصالح لا بوصف عدم الاستنكاف المناسب لما مثله))[1] .

ثم بين ما يعقب ذلك من الثمرات بقوله : ((فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله).أما الطرف المقابل فهم الذين استنكفوا واستكبروا((والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه،وانما يستعمل من حيث الاستحقاق،بخلاف التكبر فإنه قد يكون بالاستحقاق))[2].فلهم عذاب اليم،فضلا عن عدم مناصرة أحد لهم .

ووضع الصورة التفصيلية في طرفي تقابل تضاد جعل من صورة الاثابة والإحسان مع الطرف الأول بمثابة تعذيب للطرف الثاني بالغم والحسرة ، فضلا عن عذابهم الموعودين به ، فبنية الإجمال غير مكررة ، أي أنها عنصر واحد ، فصل إلى عنصرين تفرع كل واحد منهما إلى تراكيب محددة ومرتبطة بطرف التفصيل ، فضلا عن ارتباطها ببنية الإجمال أساسا ، كما هو في الشكل الآتي :

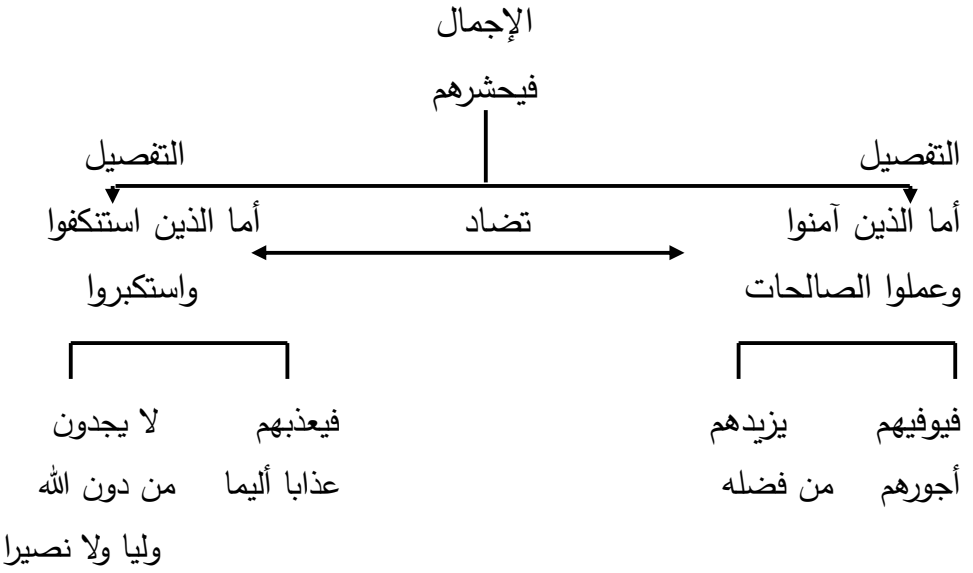

(1) إرشاد العقل السليم : 261/2 . 262 .

(2) تفسير البيضاوي : 285/2 .

فضلا عن علاقة التضاد القائمة بين بنيتي التفصيل ، كل ذلك جسد صورة المجازاة العامة للدلالة على كمال القدرة الإلهية على الخلق والإهلاك لمن تجافى عن عبادته . ويمكن أن تكون دلالة جزائية ؛ إذ تحمل بين طياتها ترغيبا وترهيبا من مجازاة الذين آمنوا بالتوفية بالأجور ، في حين يعذب الذين استنكفوا عذابا (أليما) ، أي شديدا .

ومنه قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1] .

فبنية الإجمال في (يوم التغابن) ، وقد فصل في طرفين متضادين كما في الشكل الآتي :

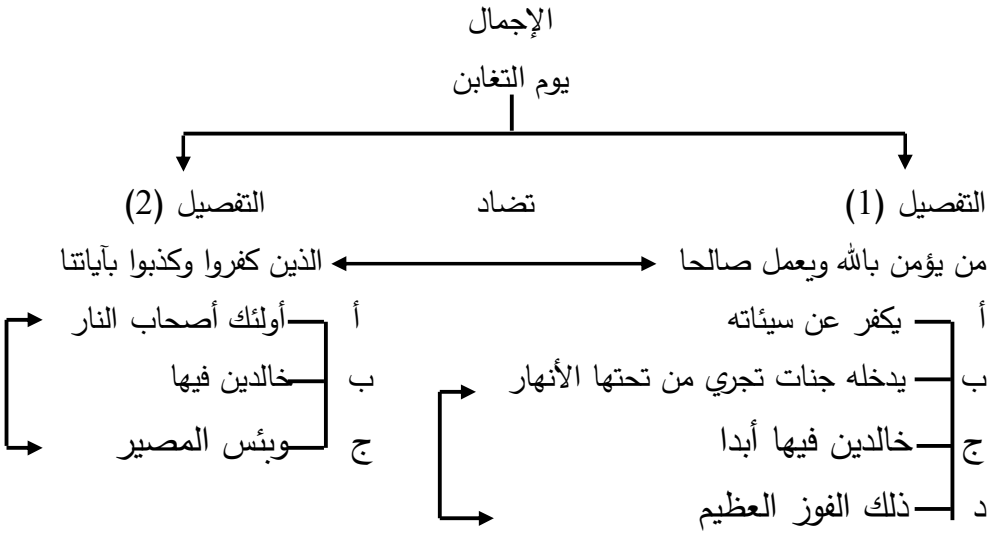

فنلاحظ هنا أن عناصر التفصيل تتماثل فيما بينهما ؛ إذ تتماثل البنى (ب) ، و(ج) ، و(د) في بنية التفصيل الأولى ، في حين تتماثل عناصر التفصيل (أ،ب،ج)

(1) التغابن : 9 . 10 .

من البنية التفصيلية الثانية ، وكلتا البنيتين تشكلان طرفي تضاد وتقابل فيما بينهما، إذ يحدث ذلك دلالات تؤكد ترابط عناصر التفصيل وتواصلها ببنية الإجمال ، فضلا عن إظهار الدلالة الجزائية بين الطرفين لتكون علامة لذلك اليوم .

وذكر الراغب[1] أن الغبن هو أن تبخس صاحبك في معاملة بينك وبينه ، بضرب من الإخفاء ، و(يوم التغابن) يوم القيامة لظهور الغبن في الواقع المشار إليه بقوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾[3] . فعلم المشركون أنهم غبنوا فيما تركوا من المبايعة ، وفيما تعاطوه من ذلك جميعا .

وقد وقف المفسرون عند قوله تعالى (يوم التغابن) مفسرين ذلك اليوم بعدة تفسيرات تقترب الواحدة من الأخرى ، فقال أحدهم إن تسمية يوم القيامة بيوم التغابن ((لنزول السعداء منازل الأشقياء ، لو كانوا سعداء وبالعكس ، مستعار من تغابن التجار))[4] ، وقيل هو ((الجمع يوم غبن أهل الجنة أهل النار))[5] ، وقيل : هو((التفاوت في أخذ الشيء بدون القيمة ، والذين أخذوا الدنيا بالآخرة بهذه الصفة في أنهم أخذوا الشيء بدون القيمة ، فقد غبنوا أنفسهم بأخذ النعيم المتقطع بالدائم ، وأغبنهم الذين اشتروا الآخرة بترك الدنيا المنقطع إليها ، من هؤلاء الذين تغابنوا عليها))[6] .

وقد أوضحت بنية الإجمال والتفصيل يوم التغابن ، إذ إن كلا الطرفين ارتكب السيئات بدليل قوله تعالى مع الطرف الأول (يكفر عنه سيئاته) ، فهو قد عمل السيئة كما فعلها الطرف الثاني ؛ إلا أن الطرف الأول توجه بميزتين لنيل الفوز

(1) تنظر : مفردات ألفاظ القرآن : 357 .
(2) البقرة : 207 .
(3) التوبة : 111 .
(4) تفسير البيضاوي : 346/5 .
(5) جامع البيان : 155/28 . 156 .
(6) التبيان في تفسير القرآن : 21/10 .

العظيم إحداهما فكرية ، والأخرى سلوكية ، وهما : (الإيمان بالله والعمل الصالح) ، فكان جزاؤه دخول الجنة . أما الطرف الثاني فقد أحدث خطيئتين لم يغفر لأهله بعدها ، وهما : الكفر ، والكذب ، فدخلوا النار الأبدية إلا ما شاء الله .

فبنية الإجمال اعتمدت على البنية الثنائية في التفصيل المعتمد على علاقات وتراكيب ، لإقامة الصلات ، والعلاقات بالإجمال[1] .

(2) بنية الإجمال والتفصيل المتعددة

تعتمد البنية المتعددة ثلاثة عناصر فأكثر في التفصيل ، إذ إن النص ((بناء وتركيب ، وتأليف ، وصياغة ، وإن هذا البناء هو كل متكامل ومعطى لساني بالدرجة الأولى ، وجوهري في قيمه الدلالية والأسلوبية))[2] ، وهذا يفضي إلى استحصال مدلولات معينة تتعدد بتعدد التراكيب .

وقد وردت البنية المتعددة من الإجمال والتفصيل في بنى الجدل ؛ لما يحتاجه هذا الفن من إحداث إقناع ومطاولة مع المجادل ، كالذي في قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[3] .

إذ دار الجدل هنا بين إبراهيم (عليه السلام) وقومه بأسلوب عملي تربوي ؛ ليثبت لهم خطأ عبادتهم للأصنام ؛ إذ سلك ابتداء أسلوب مجاراة الخصم فيما يزعم

(1) ينظر : سور القيامة دراسة أسلوبية : 99 .

(2) في بناء النص ودلالته ، مريم فرنسيس : 4 .

(3) الأنعام : 75 . 78 .

من باطل ، بأن بدأ بإبطال شبهه الواحدة تلو الأخرى ، حتى إذا ((ما بقي شيء يمكنه التمسك به دفع شبهه مرة واحدة ، وأثبت المطلوب الذي يريد إثباته))[1] .

فأجمل سبحانه صفة الطرف الأول من المعادلة وهم الموقنون ، ثم فصل كيفية وصوله إلى هذه الدرجة من خلال ثلاث بنى تفصيلية كالذي يوضحه الشكل الآتي :

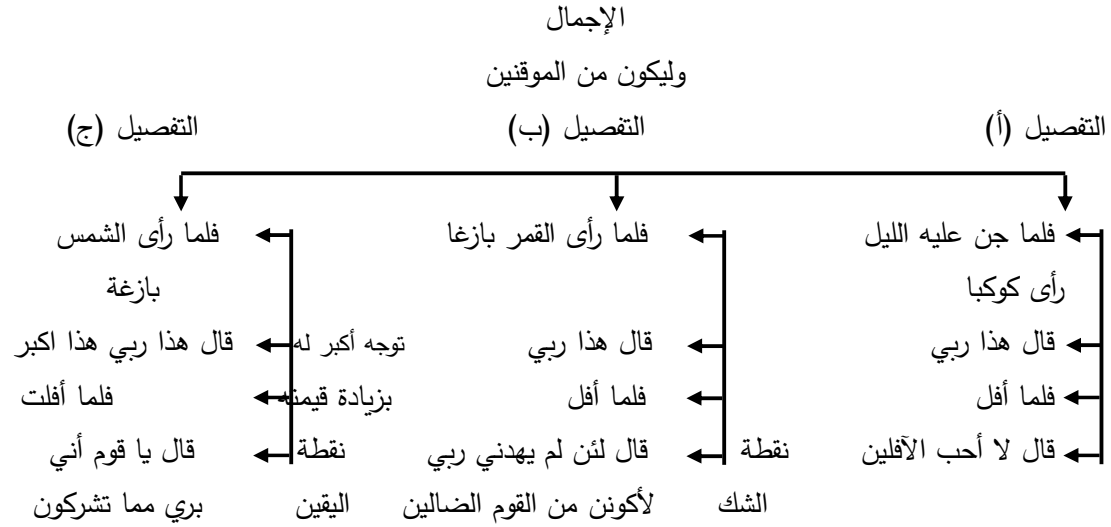

فالملاحظ هنا تواصل عناصر التفصيل وترابطها إلى بلوغ نقطة اليقين ، التي تثبت المطلوب ، وهو نبذ ما دون الله للعبادة ، عبر تراكمية الدليل من عنصر إلى آخر . فعنصر التفصيل (أ) يتحدث عن الليل ورؤية إبراهيم للكوكب وقبول أحدها ربا . مجاراة للخصم . وبعد أفوله قال (لا أحب الآفلين) ؛ إبطالا له بالحجة المشاهدة . ثم انتقل إلى البنية التفصيلية (ب) ، وهي التي يمكن عدها نقطة إثارة الشك الحسي باختياره للقمر البازغ في الليل أيضا . وهذا يدل على اقتراب البنيتين في المدة الزمنية ، واختيار القمر ؛ لبعده عن الأرض ، وقوة سطوع نوره إذا اكتمل ، إلا انه لما كان يأفل كذلك ، جعل إبراهيم (عليه السلام) يقول عند ذاك (لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ) . فيها من الرغبة للحصول على الحقيقة ، مما يمنح التركيب ايحاء نفسيا قويا لدى المتلقي بصدق المجادل للمنكرين . ثم الانتقال إلى البنية (ج) باختياره عنصر (الشمس) مصدر الحرارة والقوة والحياة عند العرب ، بقوله

(1) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية : 446/1 .

(هذا أكبر) ، وهو تركيب يوحي بنهاية الشك عند الباحث عن الحقيقة ، ونجد أن إبراهيم (عليه السلام) جعل نفسه إن لم تقع هدايته شبيها بالقوم الضالين ، وهم قومه ؛ تعريضا بهم ، وإلا لقال لأكون ضالا[1] ، وصولا لإثبات الحق قائلا : (يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) .

فقد أجمل تعالى وصول إبراهيم (عليه السلام) إلى الحقيقة بقوله تعالى (من الموقنين) ، أما تفصيل هذا اليقين ، فكان عبر ثلاث بنى تفصيلية كان الغرض الأساس منها استدراج الخصم إلى مشاهدة واقعه الذي يرفضه هو أولا . وإلا فإن إبراهيم (عليه السلام) كان موقنا ومؤمنا بعبادة الله وحده ، وقد قال ما قال وهو رسول كما يؤكد القرآن الكريم ذلك ، فضلا عن إنكاره (عليه السلام) على قومه وأبيه عبادة الأصنام ، ووصفهم لذلك بالضلال المبين .

وفضلا عن ذلك فإن أزمان بنى التفصيل وردت متقاربة ، تتجلى برؤية الكوكب في أول الليل ، ثم القمر بعد مدة منه ،ثم بزوغ الشمس صبيحة تلك الليلة. فالزمن الكوني لا يتعدى اليوم والليلة ، وإلا لم يكن لأحد ينكر وجود الله الواحد، أن يصل إلى هذه الدرجة من اليقين في هذه المدة الزمنية .

فدلالة الإجمال والتفصيل هنا دلالة تأكيد ، وتثبيت لوحدانية الله تعالى عن طريق ((إثبات صفات العجز المطلق ، والضعف المهين ، والشلل الكلي من كل حركة ، نافعة أو ضارة ، لتلك الأصنام التي يدعونها آلهة . إذن فليست هي آلهة في الواقع ، وفي العقل ، وفي النفس ، والوجدان))[2] .

وفي بنية متعددة أخرى من الإجمال والتفصيل ، يقول تعالى في محض الجدل في قضية خلق الإنسان وبعثه بعد موته إظهارا لقدرته سبحانه تعالى ؛ إذ يقف المجادل عاجزا أمامها مبهورا . وكانت الظواهر الطبيعية أحدى أدوات الإقناع الناجعة في الجدل ، فقال تعالى: (أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا *

(1) ينظر : التحرير والتنوير : 7/318 . 321 .

(2) خصائص التعبير القرآني : 1/449 .

أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ)[1] .

والسؤال في رأس الآيات لم يكن في انتظار الجواب ، وإنما ورد ليكون سبيلا لأخذ الاعتراف من أفواه المنكرين ، إذ إنهم يعترفون بخلق الله سبحانه عز وجل للسماوات والأرض، بدليل قوله تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)[2] ، هذا إلى حقيقة أخرى عليهم معرفتها ، وهي أن خلق السماوات والأرض اكبر من خلقهم أنفسهم ، ولذا قال تعالى مؤكدا ذلك باللام: ((لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ))[3] . فكان الأجدر بهم أن يقلعوا عن المجادلة والإنكار في قضية خلقهم ، وقدرته سبحانه على بعثهم بعد خلقهم الأول : (أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ)[4] . فهذه مسألة يشهد لها القياس بأجلى صوره . ولذا كان الجواب على حقيقتها بما يؤكد ذلك ، من عنده تعالى بلفظة (بلى) تنبيها لهم على ذلك ، وأنه مما لا ينكر الحس ولا العقل .

فبنية الإجمال تمثلت بقوله تعالى (السماء بناها) ، و(الأرض دحاها) ؛ إذ ورد السؤال عن الأرض ضمنا ، أي إن بنيتي الإجمال وردتا متعاقبتين ، ثم وردت أبنية التفصيل بديلا عن الجواب ، فكان تفصيل السماء بثلاثة عناصر كما يوضحه الشكل الآتي :

---

(1) النازعات : 27 . 33 .

(2) لقمان : 25 .

(3) غافر : 57 .

(4) يس : 81 .

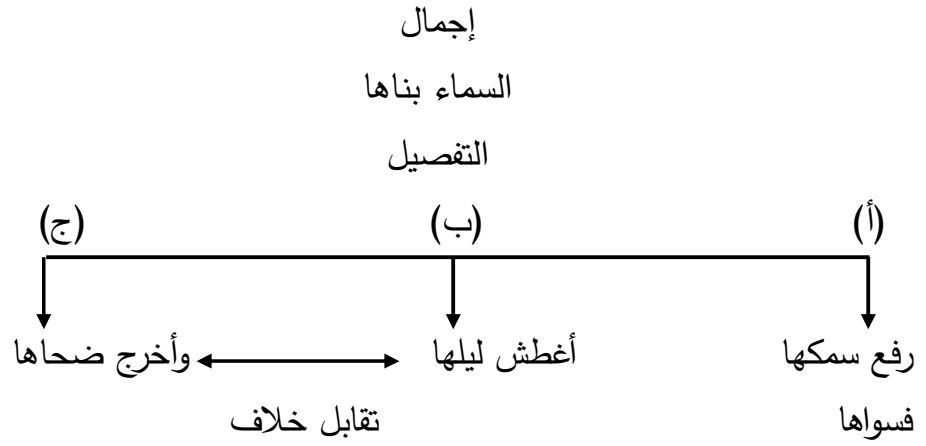

والملاحظ أن عناصر التفصيل لم تكن حديثة أو غير معلومة سابقا ، بل هي على العكس من ذلك ، وهي تفاصيل مشاهدة يوميا ، إذ شاهدها كل من هو على وجه الأرض ، إلا أن كثرة تكرارها وألفة الأنظار لها ، جعلتها غير مرئية بالعين ، فكان أسلوب الإجمال والتفصيل أسلوبا ناقلا من العين الناظرة إلى التدبر، أي أن الأسلوب منح المعاني قدرة إيحائية عالية ؛ إمعانا في لفت الأنظار إلى النعمة الإلهية والتنبيه عليها .

فإن اغطاش الليل تعني : ظلمته ، إذ كل أغطش لا يبصر[1] ، أما إخراج النهار ، فهو إبانته وظهوره[2] . فالبنيتان (ب . ج) متقابلتان ، إذ إغطاش الليل هو أحلك ساعاته ، حيث لا قمر بازغ ، وأما إخراج الضحى وهو ((وقت انبساط الشمس))[3] ، أي ارتفاعها ووضوحها ، فيتبع حركة الحياة على وجه الأرض . وقد أوحى بهذا المعنى قوله تعالى على لسان نبيه موسى (عليه السلام) في حواره مع السحرة ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾[4] . وفي هذا إشارة

(1) التبيان في تفسير القرآن : 10 /260 .
(2) المصدر نفسه : 260/10 .
(3) مفردات ألفاظ القرآن : 294 ، مادة (بسط) .
(4) طه : 59 .

إلى أنه سبحانه وتعالى قد حدد زمن الالتفات والانتباه إلى هذه الظواهر ، وفيه دلالة على أهميتها في هذه الأزمان .

أما العنصر (أ) من التفصيل وهو (رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا)[1] ، فقد اختار الله سبحانه حركة الرائي لها من الأسفل إلى الأعلى في إشارة إلى التعمق والتدبر في النظر بدلالة الفعل الماضي (رفع) ، وهي حركة تناظر حركة الرائي للشيء المرتفع ، فضلا عن لفظة (السمك) التي تستعمل ((دليلا على النظر من أسفل الشيء إلى أعلاه ، بقصد معرفة قامته))[2] . فالعنصر (أ) يحدد الحركة أو الزاوية المراد رؤيتها من هذا العالم الفسيح .

أما قوله تعالى (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا) ففيه إشارة إلى أن بسط الأرض حدث بعد رفع السماء وبنائها ، فالدحو يعني البسط ، أي بسطها للعيش وتيسيرها له[3] . وقد فصل البسط بثلاثة عناصر أيضا ، كما في الشكل الآتي :

إجمال

والأرض بعد ذلك دحاها

التفصيل

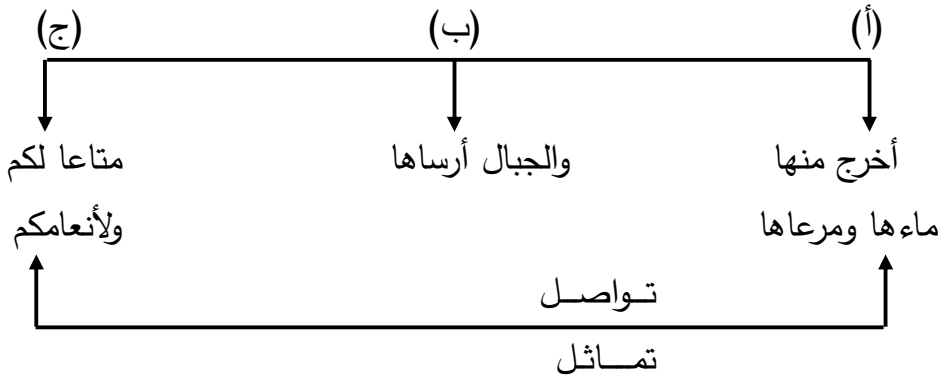

فنجد أن بين البنيتين (أ) (ج) علاقة تواصلية وترابطا ، إذ إخراج الماء من الأرض متاع للإنسان ، وإخراج المرعى متاع للأنعام . أما البنية (ب) فتتميز بكونها أحد معالم الأرض البارزة الدالة على الثبات ،والقوة ،والعظمة ؛ إذ إن الإرساء هو

(1) النازعات : 28 .

(2) تأملات في سورة النازعات ، حسن محمد باجودة : 83 .

(3) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : 260/10 .

الإثبات بالثقل . فالسفينة ترسو أي تثبت بثقلها ، فلا تزول عن مكانها . فالبنية الثانية (ب) أشارت إلى عظمة خلق الأرض السابحة في الفضاء التي أرسيت بجبال عظام ثقيلة ثابتة عليها ، فهي أوتاد الأرض ، وأرسيت بثقلها[1] ، وعناصر التفصيل للأرض أيضا كانت أمورا متاحة ومشاهدة ، والتفصيل لها ورد للفت الأنظار إليها ، بعد أن ألفتها النفوس ، مع غيابها عن الحس والوجدان حتى صارت كأنها غير مرئية ، فلا تضاد بين أطراف التفصيل بل بينها تواصل .

فدلالة الإجمال والتفصيل هنا دلالة تنبيهية على كمال قدرة الله تعالى على خلق الأشياء بميزان مقدر محسوب ، فهي من ثم دلالة تذكير ودعوة للتدبر والتفكر في خلقه سبحانه ؛ وصولا إلى الاعتراف بقدرته على البعث بعد الموت .

(1) التبيان في تفسير القرآن : 261/10 .

المبحث الثالث

تحولات بنى مشاهد القيامة

وردت بنية الجدل في مشاهد القيامة لتضع المجادل ، ثم المتلقي أمام حقائق غيبية ، وتمنحه فرصة العودة إلى التفكير العقلي والقبول بالقضايا الإسلامية المعروضة ، ومنها صورة الحشر التي تكررت في مواضع من القرآن الكريم . إذ نلاحظ أن أنساقها تتغير في عدد المرات التي ظهرت ، فتتجزأ دون أن تعني تعدد مرات الحشر ، وإنما تهدف إلى رسم صورة متكاملة تنتهي بالحدث المركزي في النازعات .

وهذه الصورة تتدرج في رسم الحدث ، على أساس قوة حدوثه ، إذ تكون بتحذيرات كفيلة بإنزال الرعب في النفوس بقوله تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾[1] ، إذ إن بداية الحدث (صوت) معبرا عنه بـ(النفخ في الصور) لتمكن الذهن من تصور الحدث .

وبالانتقال إلى بنية أخرى نجد تحولا جديدا في بنية الحشر ، بإضافة ألفاظ تؤكد (الرعب) من هذا النفير ، بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾[2]، وقوله تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾[3] ، يلحظ ازدياد (الصور) قوة ؛ وذلك عند اقترانه بالفزع والخروج من الأجداث ، إذ تشكل هذه الإضافات تكملة للحدث لم تذكر في بدايته ؛ إذ يقترن الفزع بـ((شدة الإسراع والإجابة))[4] .

وتتوالى صور الحشر لتفسح للخيال مجالا أكثر للوقوف على هذا اليوم في

---

(1) ق : 20 .

(2) النحل : 87 .

(3) يس : 51 .

(4) التبيان في تفسير القرآن : 207/7 .

قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾[1] ، وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً﴾[2] ؛ إذ تؤكد الآيتان أن هذا الحشر لا يستثنى منه أحد .

وقد فسر الصور بـ(البوق) ودار الحديث في التفاسير على وصفه ومادته، وأكثر ما دار حوله بأنه آلة البوق ينفخ فيها والى غير ذلك[3] ؛ ولكن آيات (الصور) ـ والله أعلم . لا تعني بها هذه الآلة (البوق) بقدر ما أرادت أن تحدد بأن الحشر سيعلن عنه يوما ما ،وإعلانه سيكون على غفلة تثير الإزعاج والرعب؛ أو أن صوت الحشر صوت مميز ، يختلف عن سائر الأصوات المسموعة في العادة ؛ وإلا فنحن جميعا سمعنا النفخ عن طريق البوق ، فضلا عن أن بناء فعل النفخ للمجهول تركيز للحدث على النفخ بالذات ، وفيه دلالة واضحة على عظم هذا الصوت في النفوس وأذاه .

وقد وردت بنية الحشر المجادل بها بأنساق طويلة ، لم تلبث أن قصرت كلما اقتربنا من سور القيامة القصار ، تكثيفا للحدث ، فنجد قوله تعالى : ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾[4] ، أنها تباغت الأنفس بـ(إذا) التي أضفت عنصر المفاجأة على البنية في إشارة إلى أن الصوت سيأتي مباغتا . ولم تكتف عند هذا الحد ، بل وصفت الصوت بـ(النقر) وهو الضرب ، وإصدار صوت مؤلم في الأذن[5] ، ودلالة النبر على (القاف) تؤكد حدته ، و(الراء) يشير إلى تردده واستمراره في الاذن . ولا تلبث الأذن أن تهدأ من هذا الصوت الضارب حتى يعاودها مرة أخرى . بمدة قليلة . هذا الصوت ،متمثلا بـ(الناقور) بالألف والواو الممدودين، فقوله تعالى (نُقِرَ فِي النَّاقُورِ) صورة

(1) النبأ : 18 .

(2) الكهف : 99 .

(3) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : 174/10 ، وجامع البيان : 23/20 ، ومجمع البيان : 408/7 .

(4) المدثر : 8 .

(5) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : 503 ، مادة (نقر) .

مادية أحدثها صوت الجناس الاشتقاقي في اللفظين،فالجناس في القاف والراء أحدثا صوتا يضرب عند مركز الشيء وفي صميمه .

وفي بنية جديدة يقول تعالى ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾[1] ، وقوله تعالى ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾[2] ، إذ الداعي هنا : صوت أحد ما . ولهذه اللفظة تداعيات في الفكر البدوي ، ثم الفكر العربي ، منها الداعي للحرب أو الاستغاثة ، أو صورة تداعي اللبن في الضرع ، ونزوله طوعا[3] ، إذ يقترن هذا الصوت (الداعي) بالاستجابة الفورية ،لقوله (مهطعين إلى الداعي) أي مسرعين إلى إجابة الداعي[4]، فضلا عن لفظة (عوج) إذ أشارت إلى كون سامعي الداعي ((لا يقدرون أن لا يتبعوه ... وهو كما تقول : دعوتني دعوة لا عوج لك منها ، أي لا أعوج لك ولا عنك))[5] ؛ إذ إن من سمع هذا الصوت سيكون مجبرا على اتباعه والامتثال له ، بدليل اقترانها بألفاظ مثل ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾[6] ، وفي موضع آخر (داخرين)[7] ، أي : أذلاء صاغرين[8] .

وفي موضع آخر تتشكل البنية في انساق مغايرة بقوله تعالى ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[9] ، فبنية الحشر تأخذ عدة تحولات ، لكنها تقف عند دلالة واحدة من زوايا مختلفة ؛ اتساعا في الوصف .

---

(1) طه : 108 .
(2) القمر : 6 .
(3) ينظر : التعابير القرآنية والبيئة العربية ، د. ابتسام الصفار : 28 . 33 .
(4) ينظر : مجمع البيان : 307/9 .
(5) لسان العرب : 332/2 .
(6) القمر : 8 .
(7) النمل : 87 .
(8) مجمع البيان : 408/7 .
(9) ق : 41 .

وفي بنى أخرى تتكثف دلالة الحشر بأنساق جديدة فيقول عز وجل : ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾[1] ،فالواو في (يسمعون) تعود إلى الناس، وحرف (الباء) في قوله (بالحق) للمصاحبة ، أي أنهم يسمعون الصيحة مصاحبة وملتبسة بالحق الذي هو البعث .

وقد تجسم (يوم الخروج) باسم الإشارة (ذلك) ، وفسر هذا الخروج بقوله تعالى ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾[2] ، و(سراعا) حال للمجرور (عنهم) ، وقدمت شبه الجملة (علينا) على (يسير) لغرض الاختصاص ، أي أن الله سبحانه وتعالى يختص بهذا الأمر ، وهو عليه يسير ، ولا يتيسر مثل هذا الأمر العظيم إلا له سبحانه ، فهو القادر على ذلك .

وفي بنية أخرى تزداد الصورة تكثيفا ورهبة ؛ إذ يقول تعالى :﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾[3] ، وقوله تعالى : ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[4] .

فالآيتان تؤكدان أمر الحشر بالصيحة ؛ بصرف النظر عن كونها عن طريق (البوق،والناقور ،والداعي)،واستكمالا لتفسير هذه الصيحة وصفت بلفظة (الواحدة)، لتأكيد عدم استغراقها لزمن متطاول ، إذ هي كما حددها التعبير في السياق مرة واحدة .

وفي بنية أخرى مؤكدة لهذه الصيحة ومصورة لها ورد في قوله تعالى :

(1) ق : 42 .
(2) ق : 44 .
(3) يس : 29 .
(4) يس : 53 .

﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾[1] . فاسم الإشارة هنا للتحقير ، وتهوين أمر المعاندين ، وتشمل (الأحزاب) الذين أهلكهم الله من قبل . والمعنى : وما ينظر هؤلاء الكفرة الذين هم أمثال أولئك الطوائف المهلكة في الكفر ، والتعذيب[2] ، (إلا صيحة واحدة) تأتيهم (مالها من فواق) . و(الفواق) حادثة متكررة أمام البدوي مشتق من فواق الناقة ، وهي المدة التي تستدعي نزول اللبن في الضرع[3] ، والبدوي يعرف هذه المدة التي لا تساوي قدرا زمنيا مقيسا في حساباته ، بل إن سرعة قيام الساعة وضحتها آيات أخر ، منها قوله تعالى : ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[4] .

ولفظة (محضرون) تفسر لفظة (خامدون) التي استعيرت من خمود النار ، لتوضح حالة المعاندين يوم الحساب . فهم متحرقون تأكلهم الحسرة على ما فعلوا في حياتهم ، وسبب هذه الحسرة أنهم محضرون ، أي محضرون للعذاب .

وفي بنية أخرى بقوله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[5] ؛ إذ أضيف لهذا النسق (ينظرون) ، و(تأخذهم) بدلا من (إذا) . وجملة (هم يخصمون) ، أصلها يختصمون ، كسرت (الخاء) فيها لالتقاء الساكنين، وهي من المخاصمة والجدال[6] . فهم يختصمون فيما بينهم في أنهم لا يبعثون بعد مماتهم ، فهم على الرغم من معرفتهم وتأكيد أمر البعث لهم ، ما زالوا

(1) ص : 15 .
(2) ينظر : مجمع البيان : 346/8 .
(3) المفردات : 388 ، مادة (فوق)
(4) النحل : 77 ، وينظر : القمر : 50 .
(5) يس : 49 .
(6) لسان العرب : 181/12 .

يقولون ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[1] .

وأشار التركيبان الفعليان (ما ينظرون) ، و(تأخذهم) إلى البغتة في الأخذ ، ولفظة (الأخذ) أكثر ترهيبا وتأكيدا للإحاطة من (إذا) في سياق الآيات السابقة لها في التوضيح .

وفي بنية جدلية من بنى يوم القيامة يقول تعالى ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾[2] . و(إنما) هنا توكيد حصر خرجت للإثبات ، وعبر بضمير الغائب (هي) عن القيامة ، وهو ضمير استقرار حاسم بدل (كانت) ، إذ أفادت استباقا زمنيا للحدث .وقوله تعالى (زجرة واحدة) خبر مرفوع واصفا لحالة البشر ، على حين أن (صيحة واحدة) خبر منصوب ، كان يصف حالة الخمود ، فالصورة في هذه البنية تتكثف ، ولكنها تتسع في مدلولها .

والزجرة هي الصوت فضلا عن كونها النهر بشدة ، مستمدة من زجر البعير[3].ففيها معنى الإهانة والإذلال[4]،وهي أدل وأقوى في الجرس من لفظة (الصيحة) .

وقوله تعالى (ينظرون) في هذه البنية يعني انتظارهم للعذاب ، وهذا يفسر (الخمود ،والإحضار) في البنيتين الأخريين السابقتين في البحث لها . فهذه التحولات في الأنساق من (خامدون) ، و(محضرون) ، و(يخصمون) إلى (ينظرون) تحولات استثنائية بإطار مبدأ التردد ، وظيفته ترويج المعنى وتكثيفه في الخطاب القرآني[5] ، وهو العذاب الواقع بالمنكرين المعاندين ، ليتضح المعنى من

---

(1) يس : 48 .

(2) الصفات : 19 .

(3) لسان العرب : 318/4 ، مادة (زجر) .

(4) مجمع البيان : 300/8 .

(5) تحولات البنية في الخطاب القرآني ، محاضرات ألقاها د. حيدر لازم على طالبات الدكتوراه .

جوانبه كلها ، فهو عذاب نفسي ، وجسدي ، وذهني .

وإذا انتقلنا إلى بنية أخرى وجدنا تحولا جديدا فيها مكثفا لصورة الحشر ، إذ يقول تعالى ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾[1] ، (فالباء) للمصاحبة أو الإلصاق ؛ فهم بعد هذا لابد أن يحضروا لساحة الحشر ، بعد أن تكثفت فيها صور الأنساق السابقة في البحث فـ :

خامدون + محضرون + ينظرون + زرقا + همسا + خشعا = الساهرة .

ويمكننا أن نمثل لهذه التحولات في بنية الجدل لمشاهد القيامة بالمخطط الآتي :

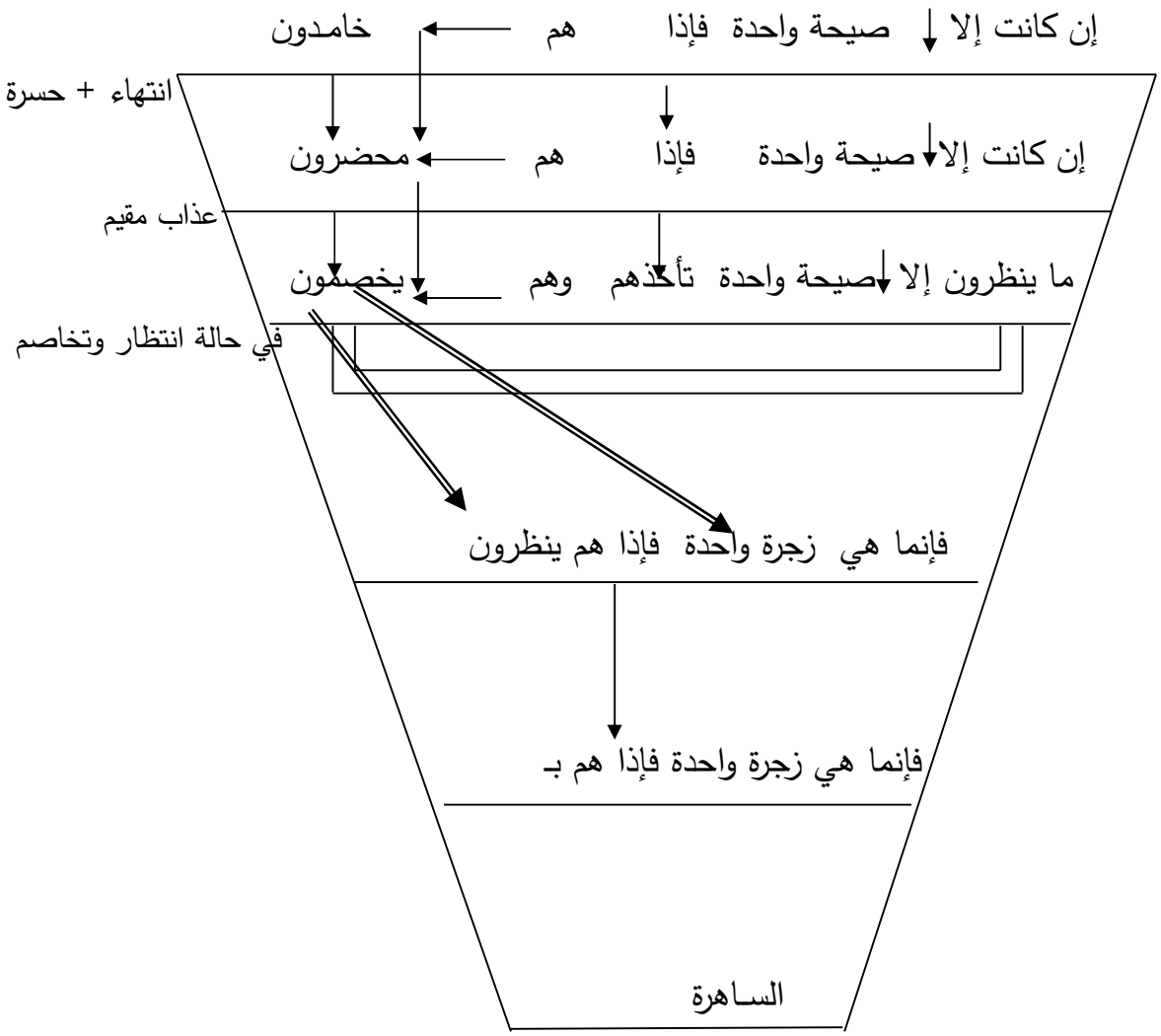

(1) النازعات : 13 . 14 .

ومن تحولات البنى الجدلية ما وردت متناظرة ، تطلع على دلالات خاصة، يفسرها السياق العام للبنية الناشئة فيه ، إذ تتغير البنية في تركيبها من نسق إلى آخر ، على الرغم من تأكيدها لحدث واحد .

ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾[1] ، وقوله تعالى ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾[2] ، وقوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[3] .

ونستطيع أن نحدد البنى التي حدث فيها تغير في النسق على الوجه الآتي :

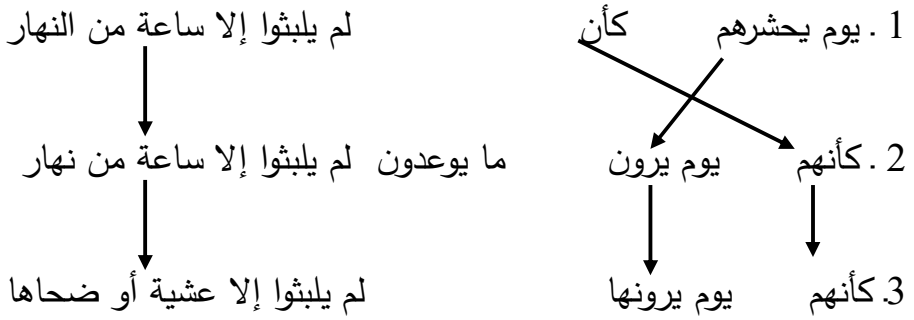

فالأنساق هنا تتحدث عن يوم القيامة بقوله (يوم يرونها) ، وقوله تعالى:(يوم نحشرهم) مراد به يوم الحساب /الساعة ، إذ قال تعالى في محكم كتابه:(يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ)[4] ، وقوله تعالى:((يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً))[5] ، ففعل (الحشر) موظف ليوم القيامة ،

(1) يونس : 45 .
(2) الأحقاف : 35 .
(3) النازعات : 46 .
(4) ق : 44 .
(5) طه : 102 .

وصيغة المضارعة تفيد وقوعه في المستقبل .

أما (الساعة) ، فهي الجزء من ((أجزاء الليل والنهار ...والليل والنهار معا أربع وعشرون ساعة ، وإذا اعتدلا فكل واحد منهما اثنتا عشرة ساعة ... والساعة الوقت الحاضر ...وقد تطلق الساعة على مجموع اليوم والليلة ، أو تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أو الليل . يقال : جلس عندك ساعة من النهار أي وقتا قليلا منه))[1] .

أما ورودها في القرآن الكريم فقد جاء بمعنيين الأول قصد بها الجزء القليل من الزمن الدنيوي[2] ما عدا موضعا واحدا ، قصد منها فيه وقت العسرة أو صعوبة الأمر[3] . وأما المعنى الثاني فهو (يوم القيامة)[4] ، وقد حددت الدكتورة عائشة عبد الرحمن المعروفة بـ(بنت الشاطئ) أسلوب القرآن الكريم في استعمال لفظة الساعة ، فإذا وردت هذه اللفظة (ساعة) نكرة عني بها برهة من الوقت قصيرة ، من دون تحديد لها بالدقائق والثواني . أما إذا وردت معرفة فهي تعني ساعة الآخرة[5] .

وقد جسم يوم الحشر وهو (يوم القيامة) ، وخاصة في النسقين الأول والثاني بإسناده إلى (الرؤية) ، وفي هذا دلالة على طغيانه على كل حدث . وقد ارتبطت هذه الرؤية بحالة نفسية تعتري الناظرين لها والواقعين فيها ، واحساسهم بمدى قصر المدة التي قضوها في حياتهم الدنيا ؛ بفعل انقضائها لرؤيتهم الساعة .

وقد أكد اللبث الوجيز في الدنيا بأسلوب القصر المكون من النفي والاستثناء (لم يلبثوا إلا) ، فالتركيب اللغوي للنسق عبر عن الانقلاب النفسي الذي يصيب النفس في ذلك اليوم الآتي ، إذ صدر الفعل المضارع (يلبثوا) أداة الجزم (لم) لتقلب معناه إلى المضي ، وكأنه حالة استرجاع سريعة للماضي في لحظة مستقبلية وقد وردت أداة الحصر (إلا) لإثبات المدة .

---

(1) لسان العرب : 33/10 مادة (سوع) .

(2) ينظر : الأعراف : 34 ، والتوبة : 117 ، والنحل : 61 ، والروم : 55 ، وسبأ:30 .

(3) ينظر : مجمع البيان : 157/11 .

(4) ينظر : يوم الدين والحساب : 33 . 34 .

(5) ينظر : التفسير البياني : 143/1 . 144 .

وهذا التركيب يكرر في الأنساق الثلاثة ، مولدا إيقاعا قارا في الذهن . فالنفي في (لم) وتعالقه بـ(إلا) وظيفته توكيدية للحدث الرئيس من النسق ، وهو (مدة اللبث) ، التي يستشعرها الإنسان بعد رؤيته للحدث وهي (القيامة) .

والصيغة التشبيهية (كأن) لم تغب عن الأنساق الثلاثة لتوضح (مدة اللبث) بصورة تقريبية . أي أن هذه المدة قد تقل عنها ، فضلا عن حالة التذبذب والهذيان التي يعيشها المخاطبون في هذه البنية المستشعرة من هذا التشبيه .

وقد عبر في النسقين الأول والثاني عن مدة اللبث بـ(ساعة من نهار) . وتخصيص الساعة بأنها جزء من (النهار) ، أكمل في الرؤية وأوضح ، إذ لا يمكن أن يخطئ أحد مدة اللبث هذه ؛ لكون ساعات النهار اعرف حالا من ساعات الليل ، الذي ينقضي عند اغلب الناس بالنوم ، من دون أن تحس ساعاته وهي تنقضي . فضلا عن دلالة الساعة هنا المعبر بها عن الوقت القصير المحدد .

أما في النسق الثالث ، فنجد التعبير عن المدة ورد قوله تعالى (عشية أو ضحاها) ، فعلى الرغم من التحديد الزمني للبث ؛ بأن (العشية) من صلاة المغرب إلى العتمة ، أو . على قول . من زوال الشمس إلى طلوع الفجر[1] .

أما (الضحى) فهو وقت محدد في صدر النهار بعد ارتفاع النهار بقليل ، وهو وقت وضوح الشمس ، وسمي قديما بتسمية دالة عليه موحية له،وهو ((شباب النهار))[2] . وقد اتسم الزمن في هذه البنية بالترجح ما بين المساء والنهار ، وفي هذا تأكيد لعنصر المباغتة ، وعلى الرغم من أن المباغتة لا تبتعد بدلالتها عن النسقين الأول والثاني ، إلا أنها في هذا النسق (الثالث) تحتل مساحة نفسية إيحائية أوسع ؛ لأن المتلقي للنسق/الحدث سيظل في حالة توجس دائم من وقت قيامها ، مما يزيد من مقدار الترقب لها ، وفي هذا إعظام للساعة ولوقت حدوثها .

فالبنى المتعددة هنا أكدت حدثا واحدا بصورة متعددة ، تركيزا للحدث ، وتثبيتا له .

---

(1) لسان العرب : 60/15 . مادة (عشو) .

(2) لسان العرب : 209/19 ، مادة (ضحى) .

الخاتمـــة

الخاتمة

بعد هذه الرحلة بين آيات القرآن الكريم وأسلوبه المعجز في الكشف عن عوالم بشرية لم تشاهد أو تسمع من قبل ، وعوالم كونية حاضرة وغير حاضرة ، مسوقة من أجل خدمة الدعوة إلى الإسلام ، والإيمان بالله تعالى ، والاعتراف بربوبيته تعالى ، توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج الآتية :

1. إن البنية هي نسق من العلاقات الداخلية تشير إلى معنى معين .
2. لم يتحدد مصطلح (الخطاب) بمفهوم واحد ، وهو لذلك لم يتعين بالتخاطب بين اثنين أو أكثر ، بل قد يدل إلى المعاني والأفكار بأي شكل كانت .
3. (الجدل) علم لا يتعلق بأدلة معينة ، بل هو قدرة ، أو ملكة يؤتاها الشخص ، ولو لم يحط بشيء من الكتاب ، والسنة ونحوهما ، ولا يتحدد بكونه في الباطل حسب ، بل قد يكون جدلا في الحق ، لذا استعمله الأنبياء والرسل مع أقوامهم ، ومع الله سبحانه وتعالى ، فقد أمر به في مواضع ، فمنه المرضي ، ومنه غير المرضي . فليس الجدل جميعه مذموما ، كما هو متعارف عليه . وقد تعددت أنواعه أيضا منه (الجدل الشيطاني) ، و(الجدل المتكلف) . وهو يختلف عن جدل الفلاسفة وأصحاب المنطق ، وقد اعتمد الجدل في القرآن ، العقل ، والفكر غير المتعصب .
4. تعددت القضايا التي خاطب القرآن الكريم فيها مجادليه ، ومنها قضية الربوبية ،وقضية صدق الرسول في نزول القرآن عليه ، وقضية نبوة البشر ، والصفات الإلهية وغيرها من القضايا .
5. تعددت وسائل القرآن في أسلوب الجدل ، فتارة يعمد إلى إسناد الجدل بالحقائق والبراهين ، وتارة يستعمل الطريقة العقلية ، وتارة أخرى الطريقة الحسية ، واستعمل كذلك أسلوب التدرج في إقناع الخصم .
6. ورد عدد من الألفاظ قريبة من مفهومها من لفظة الجدل ، وتفترق عنه بعدد من الاختلافات . ومن هذه الألفاظ التي قد تدل على الباطل ، مثل (مارى ، وخصم ، وسلق ، وشاق) ، وألفاظ لا تدل على باطل ، مثل (شجر ، ونازع ، وحاور) .

7. (للمستوى الصوتي) أثر واضح في البنية الجدلية ، إذ اختيرت الفاصلة في البنية الجدلية ، اختيارا دقيقا لتوازي المنحى الإقناعي الجدلي . فتارة تعتمد الأصوات المجهورة ، وتارة تعتمد الأصوات المهموسة ، وتأتي بمقاطع طويلة وبأخرى قصيرة . كما أن (للنبر) أثره في إظهار الدافع النفسي الذي كان وراءه المجادل من النص الذي جادل فيه ، وهذا ما أكده التكرار بإيقاعه ، متمثلا بالتكرار الصوتي المقيد ، وذلك بتكرار ألفاظ بكامل أصواتها ، أو لطائفة منها، متمثلا بالجناس ، والتكرار الحر بتكرار أصوات معينة في السياق الواحد لإظهار دلالة خاصة ، منها تركيز الانتباه على اللفظة المكررة ، أو تعبيرا عن قوة الجدل وصراحته ، أو رسم التخبط الذي يقع في المجادلون ، كما أظهرت بنية الجدل المتوازية ودلالات خفية لا يمكن تحديدها من غير التوازي ، فنجد بنى توازت على أساس (التكرار) ، وأخرى على أساس (التوازن) ، فضلا عن (التوازي) الحاصل في فاصلة البنية الجدلية .
8. إنمازت دلالات التركيب للجملتين الاسمية ، والفعلية بإظهار (الواقع النفسي) للمستعمل لهما ، فمنها وردت لإظهار الإنكار ، والتعجب ، ولإظهار القدرة الإلهية ، والتعريض ، وغيرها من الدلالات ، كما أظهرت الجملة الفعلية دلالة التجدد في الفعل ، واستحضار الحدث ، والتوبيخ ، وبطلان الأمر المجادل فيه، فقد أكد الفعل الماضي دلالة الاستعطاف ، والمبالغة في الإنكار .
9. خرج الاستفهام في البنية الجدلية إلى عدة دلالات ، منها: التقرير ،والإنكار ، وإنكار بداعي التكذيب ، وبداعي الجحود والتعجب ، والتنبيه على الأمر .
10. تعددت أنماط الجملة الشرطية في البنية الجدلية لإنتاج دلالات عدة ، منها : إثبات القدرة الإلهية ، وإلزام الحجة ، وتعيين الحدث المشكوك في وقوعه ، وإظهار الدلالة الباطنية ، والدلالة على العجز عن الأمر .
11. وردت البنية الجدلية (تراكيب تقابلية) ذات أنماط بسيطة تعتمد المفردات في الطرفين المتقابلين ، وأنماطا معقدة تعتمد التراكيب في طرفي التقابل . مشيرة إلى دلالات عدة ، منها إظهار صورة المجادل التي سيؤول إليها بسبب جداله وعناده ، وكيفية المواجهة لأمر الجدال ، ووضع المجادل أمام الحقيقة .

12. (للالتفات) في البنية الجدلية تأثير نفسي في كل من المخاطب والمخاطب ، إذ ورد بعدة حالات ، منها : الالتفات في الضمائر ، كالالتفات من الخطاب إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى الخطاب ، ومن التكلم إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى التكلم ، ومن التكلم إلى الخطاب ، إلا انه لم يرد فيه الالتفات من الخطاب إلى التكلم ، وقد خرج لدلالات ، منها : الإعراض عن المخاطبين ، أو التنبيه على عدم صلاحهم في الخطاب ، أو التعجب ، والتقبيح ، والتهكم ، وزيادة التهديد والتشديد . وقد يلتفت في الأزمنة لإظهار اشتداد غيظ المتكلم من المخاطبين ، أو للاعتناء بأمر الملتفت إليه ، أو للتعظيم ، أو لتربية المهابة .
13. وردت بنى الجدل (بصورة الإجمال والتفصيل) ببنية ثنائية للدلالة على كمال القدرة الإلهية ، وإظهار الدلالة الجزائية لطرفي التفصيل ، ووردت كذلك ببنية متعددة ، إذ تعتمد على أكثر من عنصر في التفصيل ، لتعدد الدلالات مع تعدد عناصر التفصيل ؛ ليظهر المعنى متكاملا في جميع جوانبه من دون إعطاء فرصة للطعن فيه أو الجدال .
14. ولتكثيف المعنى ، وتركيز الحدث المجادل فيه ، ترد البنية الجدلية بعدة أنساق متغايرة الواحدة عن الأخرى ، على الرغم من تناولها لموضوع واحد ، مثل موضوع الحشر والجدال في صدق وقوعه ، وبغتة حصول الساعة ، فضلا عن إظهار الحال التي سيكون عليها المجادلون يوم القيامة .

المصادر والمراجع

ثبت المصادر

القرآن الكريم

الكتب

- الإتقان في علوم القرآن ، شيخ الإسلام جلال الدين السيوطي (ت911هـ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ط3 ، 1370هـ . 1951م.
- إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن ، محمد بن محمد بن محمد الغزي (ت1061هـ) ، تحقيق خليل محمد العربي ، دار الفاروق الحديثة ، القاهرة ، 1415هـ .
- أثر اللسانيات في النقد الأدبي الحديث ، توفيق الزيدي ، الدار العربية ، للكتاب ، طرابلس ، 1984م .
- إحياء النحو ، الدكتور إبراهيم مصطفى ، لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، 1937م .
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، تفسير العلامة أبي السعود ، دار الفكر ن بيروت ، لبنان ، (د.ت) .
- أساس البلاغة ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ) ، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط2 ، 1405هـ . 1985م .
- أساليب الاستفهام في القرآن ، عبد العليم فودة ، مؤسسة دار الشعب ، القاهرة .
- أساليب النفي في القرآن الكريم ، الدكتور احمد ماهر البقري ، الكتاب العربي الحديث للطباعة ، 1989 .
- أسلوب الدعوة القرآنية ، د. عبد العاني محمد سعيد بركة ، دار غريب للطباعة ، ط1 ، 1983م .
- الأسلوب والأسلوبية ، بيير جيرو ، ترجمة : منذر عياشي ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، (د.ت) .
- الأصوات اللغوية ، الدكتور إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة محمد عبد الكريم حسان ، 1999م .

- الأصوات اللغوية ، الدكتور عبد القادر عبد الجليل ، عمان ، دار صفاء ، ط1 ، 1418هـ . 1998م .
- الإعجاز في نظم القرآن ، محمود السيد شيخون ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ط1 ، 1978م .
- إعجاز القرآن ، لأبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، بتحقيق السيد احمد صقر ، دار المعارف ، مصر ، 1963م .
- إعجاز القرآن والبلاغية البنيوية ، مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط9 ، 1393هـ . 1973م .
- الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني (ت356هـ) ، تحقيق : سمير جابر ، دار الفكر ، بيروت ، ط2 ، (د.ت) .
- الأفعال لابن القطاع (ت515هـ) بيروت (عالم الكتب) .
- أقنعة النص قراءات نقدية في الأدب ، سعيد الغانمي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 1991م .
- الألسنية العربية
- انفتاح النص الروائي (النص . السياق) ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1989م .
- الإيضاح في علوم البلاغة ، المعاني والبيان والبديع ، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي البصرة سعد الدين القزويني (ت739هـ) المعروف بالخطيب القزويني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1405هـ . 1985م .
- البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي (ت754هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط2 ، 1978م .
- البرهان في علوم القرآن ،بدر الدين محمد بن عمر الزركشي (ت794هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ط1 ، 1376هـ .
- البرهان في وجوه البيان ، ابن وهب الكاتب ، تحقيق : د. احمد مطلوب ، د. خديجة الحديثي ، مطبعة العاني ، بغداد ، 1967م .

- البلاغة العربية قراءة أخرى ، الدكتور محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية ، ط1 ، 1997م .
- بناء الأسلوب في شعر الحداثة (التكوين البديعي) ، الدكتور محمد عبد المطلب ، القاهرة ، 1988م .
- بنية اللغة الشعرية ، جان كوهن ، ترجمة : محمد الولي ، ومحمد العمري ، دار توبقال ، المغرب ، ط1 ، 1986م .
- البنيوية وعلم الإشارة ، ترنس هوكز ، ترجمة : مجيد الماشطة ، مراجعة : الدكتور ناصر الحلاوي ، سلسلة المئة كتاب ، بغداد ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، ط1 ، 1986م .
- البيان في روائع القرآن ، الدكتور تمام حسان ، عالم الكتب ، ط2 ، 1320هـ . 2000م .
- تاريخ آداب العربي ، مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط2 ، 1974م .
- تاريخ ابن خلدون للعلامة ابن خلدون (ت808هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط4 ، (د.ت) .
- تأملات في سورة النازعات ، الدكتور حسن محمد باجودة ، دار الاعتصام ، القاهرة (د.ت) .
- تأويل مشكل القرآن ، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت276هـ) ، شرحه ونشره السيد احمد صقر ،دار التراث ، القاهرة ، 1393هـ . 1973م
- التبيان في أقسام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت751هـ) ، دار الفكر ، (د.ت) .
- التبيان في تفسير القرآن ، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت460هـ) ، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، ط1 ، 1409هـ .

- التبيان في علم المعاني والبديع والبيان ، شرف الدين حسين بن محمد الطيبي (ت743هـ) ، تحقيق : الدكتور هادي عطية مطر الهلالي ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، ط1 ، 1407هـ . 1987م .
- تحليل الخطاب الروائي ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 1989م .
- تحليل الخطاب الشعري ، استراتيجية التناص ، د. محمد مفتاح ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1985م .
- التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية ، د. محمد مفتاح ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 1996م .
- التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، فونولوجيا المعرفة ، الدكتور سلمان العاني ، ترجمة : الدكتور ياسر الملاح ، السعودية ، ط1 ، 1983م .
- التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، دار المعارف ، القاهرة ، 1963م.
- التطور اللغوي ومظاهره ، رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، 1981م .
- التعابير القرآنية والبيئة العربية في مشاهد القيامة ، د. ابتسام مرهون الصفار ، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ، ط1 ، 1387هـ . 1967م .
- التعبير القرآني ، الدكتور : فاضل صالح السامرائي ، بيت الحكمة ، جامعة بغداد ، (د.ت) .
- التعريفات ، لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني (816هـ) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد (د.ت) .
- تفسير البغوي ، المسمى : معالم التنزيل ، أبو محمد الحسن بن مسعود الفراء البغوي ، (ت516هـ) ، تحقيق خالد العك ، ومروان سوار ، دار المعرفة ، بيروت ، سنة 1407هـ . 1987م .
- التفسير البياني للقرآن الكريم ، د. عائشة عبد الرحمن ، بنت الشاطئ
- تفسير البيضاوي (ت791هـ) ، دار الفكر بيروت ، 1416هـ . 1996م ، تحقيق عبد القادر عرفات العشا حسونة .

- تفسير التحرير والتنوير ، الاستاذ محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، 1984 .
- تفسير الصافي ، المولى محسن الفيض الكاشاني (ت1091هـ) ، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي ، طبع مؤسسة الهادي ، قم المقدسة ، الناشر مكتبة الصدر ، طهران ، ط2 ، 1416هـ .
- التفسير الكبير (مفاتح الغيب) ، محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين (ت604هـ) ، طبع بالمطبعة البهية المصرية ، ط1 ، 1357هـ . 1938م .
- التقابل والتماثل في القرآن الكريم ، فايز القرعان ، المركز الجامعي للنشر ، 1994 م .
- تهذيب اللغة ، الأزهري أبو منصور محمد بن احمد (ت37هـ) تحقيق : يعقوب عبد النبي ، ومحمد أبي الفضل إبراهيم ، مراجعة : محمد علي النجار ، الدار المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة (مطابع سجل العرب) .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ) ، ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار ، دار الفكر ، بيروت ، 1405هـ .
- الجامع لأحكام القرآن ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت671هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، 1405هـ .
- الجدل في القرآن ، حسن الشرقاوي ، مطبعة التقدم .
- جدلية القرآن ، د. خليل أحمد خليل ، دار الطليعة ، بيروت ، ط1 ، 1977م .
- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، الدكتور ماهر مهدي هلال ، وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، دار الرشيد للنشر ، سلسلة دراسات رقم (195) ، 1981م .

- جمهرة اللغة ، لأبي بكر بن الحسن بن دريد (ت321هـ) ، تحقيق وتقديم الدكتور رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1978م .
- جينالوجيا المعرفة ، ميشيل فوكو ، ترجمة : أحمد السلطاني ، وعبد السلام بنعبد العالي ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1988م .
- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ومعه شرح الشواهد للعيني ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي وشركاه ، (د.ت)
- حفريات المعرفة ، ميشال فوكو ، ترجمة سالم يفوت ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1986م .
- حلية المحاضرة في صناعة الشعر ، تحقيق : د. جعفر الكناني ، دار الرشيد ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ، 1979م .
- الحوار في القرآن ، السيد محمد حسين فضل الله ، الدار الإسلامية ، ط1 ، 1399هـ .
- خزانة الأدب وغاية الأرب ، تقي الدين أبو بكر علي المعروف بابن حجة الحموي (ت837هـ) ، شرح : عصام شعو ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1987م .
- الخصائص ، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني (ت392هـ) ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، الطبعة الرابعة ، 1990م .
- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية ، الدكتور عبد العظيم إبراهيم محمد المطمعي ، الناشر مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى (1413هـ . 1992م) .
- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، الدكتور حسام سعيد النعيمي ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، دار الرشيد للنشر ، سلسلة دراسات (234) ، 1980م .
- دراسات في علم أصوات العربية ، داود عبدة ، مؤسسة الصباح ، الكويت ، (د.ت) .

- دراسة الصوت اللغوي ، أحمد مختار عمر ، ط1 ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1976م .
- درة التنزيل وغرة التأويل ، الخطيب الإسكافي ، أبو عبد الله (ت402هـ) برواية أبي الفرج الاردستاني ، ط1 ، 1393هـ . 1973م .
- دلائل الإعجاز في علم المعاني ، عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) ، تعليق وشرح محمد عبده ، ومحمد محمود التركيزي الشنقيطي ، تحقيق السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، 1398هـ . 1978م .
- دلالة الألفاظ ، الدكتور إبراهيم أنيس ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ط2 ، 1963م .
- دليل الدراسات الأسلوبية ، جوزيف شريم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1984م .
- دليل الناقد الأدبي ،إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا، ميجان الرويلي ، ود. سعد البازعي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، بيروت ، ط2 ، (د. ت) .
- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها ، وألقابها ، وتفسير معانيها ، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ) ، تحقيق : أحمد حسن فرحات ، توزيع دار الكتب العربية .
- روح الإسلام ، سيد أمير علي (ت171هـ) ، تعريب عمر الديراوي ، مطبعة كرم ، بيروت ، 1961م .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل محمود الآلوسي (ت1270هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- زاد المسير في علم التفسير ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي القرشي (ت597هـ) ، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن عبد الله ، دار الفكر ، بيروت ، ط1 ، 1407هـ .
- شرح المفصل ، للشيخ العالم موفق الدين بن يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت643هـ) ، دار صادر ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر (د.ت) .

- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة (ت276هـ) ، القاهرة ، 1958م .
- الصحاح في اللغة ، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، (ت393هـ) ،
- الطبيعة في القرآن الكريم ،د. كاصد ياسر الزيدي ، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، العراق ، 1980م .
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، بهاء الدين السبكي (ت773هـ) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر ، 1937م .
- عصر البنيوية من ليفي شتراوس إلى فوكو ، اديث كيرزويل ، ترجمة ، د. جابر عصفور ، دار آفاق للصحافة والنشر ، 1985م .
- علم الأصوات ، برنيل مالبريج ، تعريب ودراسة الدكتور عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب ، القاهرة .
- علم الأصوات العام ، د. بسام بركة ، مركز الإنماء القومي ، لبنان ، (د.ت) .
- علم اللغة العام ، فردنياند ديسوسير ، ترجمة : الدكتور يوئيل يوسف عزيز، مراجعة النص العربي : الدكتور : مالك يوسف المطلبي ، الكتاب الثالث من سلسلة آفاق عربية ، بغداد ، 1985م .
- علم اللغة المبرمج ، الأصوات والنظام الصوتي ، مطبق على اللغة العربية، الدكتور كمال إبراهيم البدري ، الناشر عمادة شؤون المكتبات ، ط2 ، جامعة الملك سعود ، 1408هـ . 1988م .
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني (ت456هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة (مطبعة حجازي) ، ط1 ، (1353هـ . 1934م) .
- عيار الشعر ، ابن طباطبا (ت478هـ) ، تحقيق : محمد زغلول سلام ، منشأة المعارف الإسكندرية ، مطبعة التقدم ، ط3 ، (د.ت) .
- الفاصلة القرآنية ، عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ ، الرياض ، 1982 .

- الفهرست ، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن النديم (ت385هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، 1978م .
- في بناء النص ودلالته ، مريم فرنسيس ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 1988م .
- في التحليل اللغوي ، خليل أحمد عمايرة ، تقديم الأستاذ الدكتور حسن العاني ، سلسلة دراسات وآراء في ضوء علم اللغة المعاصرة (3) ، الأردن ، الزرقاء ، مكتبة المنار ، ط1 ، 1407هـ . 1987م .
- القاموس المحيط ، الفيروزآبادي (ت817هـ) ، الناشر : محمد عبد اللطيف الخطبل ، مصر (المطبعة والمكتبة الحسينية) ، (د.ت) .
- قضايا الشعرية ، رومان ياكبسون ، ترجمة : محمد الولي ، ومبارك حنون ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1988م .
- الكتاب لسيبويه ، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت (د.ت) .
- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت395هـ) ، تحقيق محمد علي البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (د.ت) .
- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني (ت749هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان (د.ت) .
- كتاب الموسيقى الكبير للفارابي ، لأبي نصر محمد بن محمد بن طرخان (ت339هـ) ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، (د.ت) .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان (د.ت) .
- لسان العرب ، العلامة ابن منظور (ت711هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، نشر أدب الحوزة ، ط1 ، 1405هـ .

- اللغة الشعرية دراسة في شعر حميد سعيد ، محمد كنوني ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، بغداد ، ط1 ، 1997م .
- اللغة العربية معناها ومبناها ، الدكتور : تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1973م .
- اللهجات العربية في التراث ، الدكتور أحمد علم الدين الجندي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا . تونس ، 1398هـ . 1978م .
- مباحث في علم المعاني ، د. محمد طاهر الحمصي ، منشورات جامعة البعث ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية (د.ت) .
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لضياء الدين بن الأثير (ت637هـ) ، قدم له وحققه الدكتور: أحمد الحوفي ، والدكتور بدوي طبانة ، مطبعة نهضة مصر ، الفجالة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1379هـ . 1959م .
- مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت208هـ) ، تحقيق : فؤاد سزكين ، بيروت ، ط1 ، 1970م .
- مجمع البحرين ، الشيخ فخر الدين الطريحي (ت1085هـ) ، تحقيق السيد أحمد الحسيني ، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية ، ط2 ، 1408هـ .
- مجمع البيان في تفسير القرآن ، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت560هـ) ، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط1 ، 1415هـ .
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح ، لابن جني (ت392هـ) ، تحقيق : علي النجدي ناصف وآخرين ، دار سزكين للطباعة والنشر ، استانبول ، ط2 ، 1406هـ . 1986م .
- مخارج الحروف وصفاتها ، ابن الطحان الأشبيلي (ت 560هـ) ، تحقيق محمد يعقوب تركستاني ، بيروت ، 1984م .
- مدارات نقدية في إشكالية النقد والحداثة والإبداع ، فاضل ثامر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 1978م .

- مدارك التنزيل ، النسفي ، أبو البركات عبد الله بن أحمد (ت710هـ) ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه بمصر .
- مشكلة البنية ، فؤاد زكريا ، مكتبة مصر الفجالة ، دار مصر للطباعة ، 1976م .
- المصطلحات الأدبية المعاصرة ، ترجمة : سعيد علوش ، الدار البيضاء ، منشورات المكتبة الجامعية ، 1984م .
- المعاني الثانية في الأسلوب القرآني ، فتحي احمد عامر ، منشأة المعارف ، 1976م .
- المعاني في ضوء أساليب القرآن ، د. عبد الفتاح لاشين ، دار المعارف ، القاهرة ، ط3 ، 1978م .
- معاني القرآن للفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت207هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، ط3 ، 1403هـ . 1983م .
- معاني القرآن ، للأخفش الأوسط ، أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت215هـ) ، تحقيق د. فائز فارس ، ط2 ، 1401هـ . 1981م .
- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، د. سعيد علوش ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، سوشبيرس ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1985م .
- معجم النقد العربي القديم ، احمد مطلوب ، بغداد الشؤون الثقافية العامة ، ط1 ، 1989م .
- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، قام بإخراجه : إبراهيم مصطفى ، وأحمد حسن الزيات ، وحامد عبد القادر ، ومحمد علي النجار ، أشرف على طبعه : عبد السلام هارون ، طهران (المكتبة العالمية) ، (د.ت) .
- معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ)، طبعة جديدة مصححة ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 1422هـ . 2001م .

- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت761هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني ، القاهرة، 1405هـ .
- مفتاح العلوم ، لأبي يعقوب السكاكي (ت626هـ) ، تحقيق أكرم عثمان سلمان ، دار الرسالة ، بغداد ، ط1 ، 1982م .
- المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني (ت502هـ) ، دفتر نشر الكتاب ، ط1 ، 1404هـ .
- مفهومات في بنية النص ، ترجمة : وائل بركات ، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا ، دمشق ، ط1 ، 1996م .
- مقال في الإنسان ، عائشة عبد الرحمن ، بنت الشاطئ ، دار المعارف ، 1969م .
- المقتضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (210هـ . 285هـ) ، تحقيق : محمد عبد الخالق عظيمة ،لجنة إحياء التراث الإسلامي ، عالم الكتب، بيروت ، 1386هـ .
- من أسرار التعبير صفاء الكلمة ، عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، 1403هـ . 1983م .
- من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد بدوي ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، ط3 ، 1950م .
- من وحي القرآن ، الدكتور : إبراهيم السامرائي ، مؤسسة المطبوعات العربية ، بيروت ، ط1 ، 1401هـ 1981م .
- مناهج البحث في اللغة ، الدكتور تمام حسان ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1400هـ . 1979م .
- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، أبو محمد القاسم الأنصاري السجلماسي ، تحقيق علال الغازي ، مكتبة المعارف ، الرباط ، المغرب ، ط1 ، 1401هـ . 1980م .

- منهاج البلغاء وسراج الأدباء (ت 684هـ)، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، بيروت ، دار المغرب الإسلامي ، ط2 ، 1981م .
- الموازنات الصوتية في الرؤية البلاغية ، الدكتور محمد العمري ،منشورات دراسات سال ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1991م .
- الموسوعة الفلسفية العربية ، د. معن زيادة ، معهد الإنماء العربي ، المجلد الأول ، ط1 ، 1986م .
- الميزان في تفسير القرآن ، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت1402هـ) الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة .
- ميشال فوكو تكنلوجيا الخطاب ، تكنلوجيا السلطة ، تكنلوجيا السيطرة على الجسد ، محمد علي الكبيسي ، دار سيراس للنشر ، تونس ، ط1 ، 1993م .
- النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، تأليف عباس حسان ، دار المعارف بمصر ، ط3 ، (د.ت) .
- نحو منهج جديد في البلاغة والنقد ، دراسة وتطبيق د. سناء حميد البياتي ، منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي ، ط1 ، 1988م .
- النص والخطاب والإجراء ، بوجراند ، ترجمة تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 1982م .
- نظام الخطاب ، ميشيل فوكو ، ترجمة ، د. محمد سبيلا ، دار التنوير ، بيروت ، لبنان ، 1984م .
- نظرية البنائية في النقد الأدبي ، د. صلاح فضل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط3 ، 1987م .
- نقد الشعر ، قدامة بن جعفر (ت337هـ) ، تحقيق : د. محمد عبد المنعم خفاجي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، (د.ت) .
- النقد والدلالة ، محمد عزام ، دراسات نقدية عربية ، دمشق ، 1966م .

- النكت في إعجاز القرآن ، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت384هـ) ، ضمن كتاب : ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، بتحقيق محمد خلف الله ، والدكتور محمد زغلول سلام ، ط2 ، دار المعارف ، مصر ، 1387هـ . 1968م
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، محمد بن عمر فخر الدين الرازي (ت606هـ) ، تحقيق وتقديم د. إبراهيم أنيس ، ود. بركات حمدي أبو علي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، مكتبة الدراسات البلاغية (26)، 1985م.
- نور الثقلين ، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت1112هـ)، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، الناشر مؤسسة إسماعيليان ، قم ، ط4، 1412هـ .
- وجوه تحسين الكلام ، د. رفعت إسماعيل السوداني ، مطبعة الأمانة ، القاهرة ، ط1 ، 1411هـ . 1991م .
- يوم الدين والحساب ، د. شكري محمد عياد ، ط1 ، 1980م .

الرسائل والأطاريح الجامعية

- أسلوبية الحوار في القرآن الكريم ، سول حمود حسين الدوري ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، أطروحة دكتوراه ، 1995 .
- الأسلوبية في النقد العربي الحديث دراسة في تحليل الخطاب ، فرحان بدري كاظم علي ،أطروحة دكتوراه ،كلية التربية ،ابن رشد ، جامعة بغداد ،2001م.
- البنى والدلالات في لغة القصص القرآني دراسة فنية ، عماد عبد يحيى ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، 1412هـ . 1992م .
- الترغيب والترهيب في القرآن الكريم ، دراسة بلاغية ، موسى سلوم الإمارة ، رسالة ماجستير ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، 1998م .
- التوازي في القرآن الكريم ،وداد مكاوي حمود الشمري ، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، 1422هـ . 2001م .
- الجملة الشرطية في الشعر العراقي المعاصر ، مالك محمد المطلبي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، 1978م .
- الحوار في القرآن الكريم ، إسماعيل إبراهيم علي محمد السامرائي ، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة ، جامعة بغداد ، 1410هـ . 1989م .
- سور القيامة دراسة أسلوبية ، مواهب عباس رافع الدليمي ،رسالة ماجستير، كلية التربية ، جامعة الأنبار ، 1420هـ . 1999م .
- شعر صلاح عبد الصبور دراسة أسلوبية ، أنسام محمد راشد ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، 1418هـ . 1997م .
- المحاجة في القرآن الكريم دراسة دلالية ، أسيل متعب مطرود الجنابي ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية للبنات ،جامعة بغداد ، 1422هـ . 2002م.
- المكونات الصوتية للإيقاع وأنماطه في الشعر والنثر ، حامد مزعل الراوي ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1966م ز
- نظام الجملة العربية ، سناء حميد البياتي ، رسالة ماجستير ، كلية آداب ، جامعة بغداد ، 1983م .

المجلات

- الإجمال والتفصيل في القرآن الكريم ، دراسة تحليلية ، فايز القرعان ، جامعة اليرموك ، إربد ، الأردن ، مجلة أبحاث اليرموك ، مجلد 12 ، العدد 1، 1414هـ . 1994م .
- الجرس والإيقاع في تعبير القرآن ، الدكتور كاصد ياسر حسين الزيدي ، آداب الرافدين ، العدد التاسع ، أيلول 1978م .
- الخطاب العلماني العربي المعاصر تاريخيته وبنيته الموضوعية ، عبد الأمير كاظم ، بحث في المؤتمر الثالث لجامعة فلاديليفيا ، عن سيمياء الخطاب الدعائي ، رجاء أحمد آل بهيش ، بحث محفوظ ، جامعة بغداد ، الآداب ، 1997م .
- الخطاب المرجعيات السيميائية ، السوسيولوجية ، الإيديولوجية ، د. عمار بلحسن ، كتابات معاصرة ، بيروت ، المجلد 3 ، العدد 11 ، آب . أيلول .
- مفهوم البناء الفني في النقد العربي الحديث ، مرشد الزبيدي ، مجلة الأقلام ، السنة 24 ، العدد (8) ، بغداد ، 1989م .

Baghdad University
College of Education for Women
Department Arabic language

The argument structure in the Koranic Addressing Stylistic Study

A Dissertation
Submitted to the council of college of Education for women-Baghdad University in partial fulfillment of the requirements for the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic and its Literature

By
Khawla Abdul Hameed AL- Timimi

Supperviser By
Prof. Dr . Gassid Yassir AL-Zaidi

Abstract

The art of Mugamats is regarded as one of the most important prose types in Arabic literature. It occupied on influential position since its rise and development by Bada al-Zaman al-hamathani in the fourth Higri century. The development of such a prose type had continued by succeeding writers up to al-Sarakasti in al-Andlus during the fifth Higri century. al-Sarakasti's writings are distinguished by certain artistic features that make them distinvt from other Mugamats. Due to such distinctive features, he called his writings al-Mugamat al-Lizumia which are characterized by homonymy, rhythm and parallelism.

These Mugamats have not been adequately studied so as to bring to light its characteristics and artistic beauty. Therefore, the present study is concerned with highlighting these characteristics in a detailed manner. This dissertation consists of an interodustion and three chapters. In the introduction, the salient objective features for these Mugamats have been outlined, the most distinguished of which is the social one where the writer was criticism for. Such criticism was due to some social phenomena just like begging or the trade of slevery. In addition, the political, economical, administrative and religious features have been dealt with. The some holds true for stylistic features which distinguished some of his mugamats.

As for the first chapter (the phonetic level). The most salient phonetic and rhythmic characteristics of these Mugamats have been treated.

Concerning the second chapter (the structural level), the structural features of al-Mugamat al-Lizumia as far as the general frame works are concerned have been personted. It is also true to say that narration, dialogue, interrogation, vocative, fromting and postponement are discussed within the some chapter.

As to the third chapter (the semantic level), the components constituting the artistic picture such as simile metaphor, metonomy and polydemy have been investigted.

The study has came up with some conclusions:

1. **These Mugamats are distinguished by phonetic and rhythmic features that make them distinct from other types of Mugamats. Rhythm occupies an influential position in these Mugamats where it remains damunant in the majority of cases.**
2. **These Mugamats are distinguished by certain constaints the writer sticks to .**
3. **Not all these Mugamats are entitled, some of which are given titles.**

عنوان الباحثة

الاسم : خولة عبد الحميد التميمي

جامعة بغداد / كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية

عنوان الأطروحة : بنى الجدل في الخطاب القرآني دراسة أسلوبية

المشرف : الأستاذ الدكتور كاصد ياسر الزيدي

تاريخ المناقشة : 2006/6/19